



مأة عام

من الكدم والكفاح وتجارب النجم

قصة حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيسي



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

مائة عام

من الكدح والكفاح وتجارب النجاح

قصة حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيسي

مائة عام من الكدح والكفاح وتجارب النجاح
قصة حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبياعي

د.محمد أبوبكر حميد

الدار العربية اللبنانية للطباعة والنشر

dar.arab.lebanon@gmail.com

القاهرة - بيروت - دبي

الطبعة الأولى ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 32451/2025

الترقيم الدولي: 978-977-6714-29-4

متعهدو التوزيع:

مكتبة دار الثلوثية - الرياض

مكتبة كنوز المعرفة - جدة

دار الوفاق الحديثة - القاهرة

د. محمد أبو بكر حميد

مائة عام

من الكدح والكفاح وتجارب النجاح

قصة حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعى

الدار العربية اللبنانيّة

القاهرة - بيروت - دبي

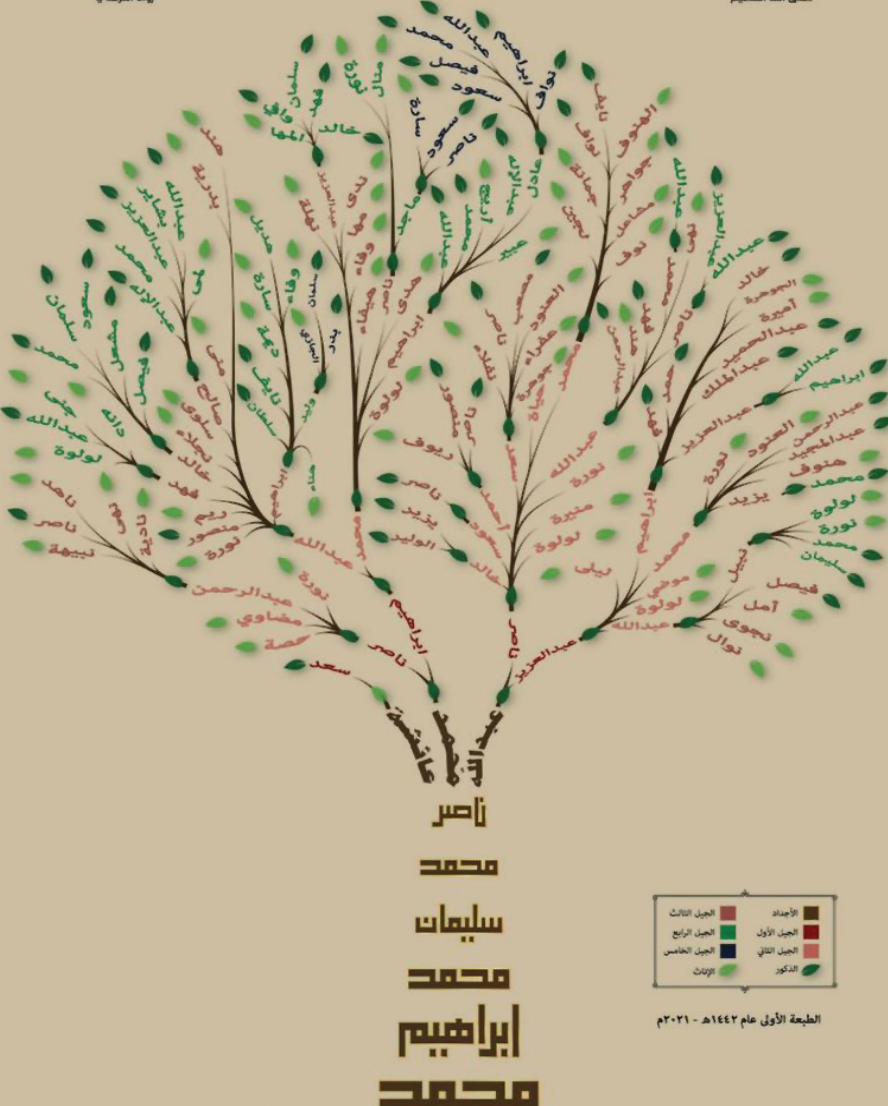
شَجَرَةُ أَسْبَاطِ الْمُسْتَيْعِيِّينَ

من الهديمة من بنى ثور من سبيع

قال النبي ﷺ
 إنكم من أسباطكم فالجائعون به
 أخافكم من جملة المحرم محبة في المهر
 فثانية العمال ملائمة في الملايين
 يهواه العز الدين

قال الله تعالى:

(إِنَّا إِلَهُنَا لَنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنَّا
 وَجَعَلْنَاكُمْ شَفَوْهَا وَقَبَالَ لِتَعْرَفُوا إِنَّا أَكْرَهُكُمْ
 عَنِ الدِّينِ إِنَّمَا تُنْهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا
 يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ خَبِيرًا
 صدق الله العظيم



إهداء

إلى أبناء الجيل الذي يعيش في هذا العصر الزاهر ،

ولم يعرف معاناة الذين سبقوه

أهدي تجربة مائة عام من الكدح والكفاح وتحقيق النجاح

عاشها عبدالله بن إبراهيم السبيعي

يرسم القدوة من خلال شخصية

«العصامي الصبور» ، «والتاجر الصدوق»

«ومسلم الخلق» ..

المؤلف

المحتويات

الصفحة

الموضوع

٥	إهداء
٩	تقديم بقلم معالي د. علي بن إبراهيم النملة
١٣	قصة هذا الكتاب
١٩	الفصل الأول: من وادي سبع في الخرمة إلى وادي الرمة في عنيزه
٢٧	الفصل الثاني: أسرة محمد بن ناصر بن سليمان السبيعي في عنيزه بالقصيم
٣٧	الفصل الثالث: إبراهيم بن محمد بن ناصر السبيعي .. المسافر دائمًا (١٢٩٧ هـ = ١٣٤٤ هـ)
٥١	الفصل الرابع: قصة كفاح أم أرملة تحدث الصعاب وسفر ابنها محمد إلى مكة المكرمة (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م - ١٩٢٧ م)
٦١	الفصل الخامس: عبدالله بين كتابي عنيزه وتربيه والدته له بعد سفر أخيه محمد (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م)
٧٥	الفصل السادس: عمان في المسجد (١٣٥١ م - ١٩٣٤ هـ = ١٣٥٣ - ١٩٣٢ م)
٨٧	الفصل السابع: عبدالله بن إبراهيم السبيعي في مكة المكرمة بين دكان عمه ناصر ومدرسة الخلوصي (١٣٥٣ - ١٩٣٤ هـ = ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م)
١٠٣	الفصل الثامن: عبدالله بن إبراهيم السبيعي في مكة المكرمة من صبي بسوق الجودريه إلى سقاء بئر الحمام
١١١	الفصل التاسع: قصة النجاح في سوق الجودريه وتأسيس الشركة وشراء أول بيت بمكة المكرمة (١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م)
١٢٥	الفصل العاشر: قصة انتقال الشركة من مكة المكرمة إلى جدة

الصفحة

الموضوع

الفصل الحادي عشر: الشراكات التجارية ومبدأ الشراكة المتخصصة	١٣٥
الفصل الثاني عشر: الحياة الزوجية	١٥١
الفصل الثالث عشر: الحياة والبيوت التي سكنها في جدة	١٦٥
الفصل الرابع عشر: عبدالله بن إبراهيم السبيعي .. التربية بالقدوة في تعامله مع أبنائه وبناته	١٧٥
الفصل الخامس عشر: عبدالله بن إبراهيم السبيعي .. عقليته التجارية وتعامله مع موظفيه	١٩١
الفصل السادس عشر: أغلى من الحب .. جمال الأخوة وروعتها بين الشقيقين محمد وعبد الله شيخوخته	٢٠٣
الفصل السابع عشر: عبدالله بن إبراهيم السبيعي .. برنامج حياته وعاداته من شبابه إلى شيخوخته	٢١٩
الفصل الثامن عشر: عبدالله السبيعي .. الدين والإيمان في حياته	٢٣٥
الفصل التاسع عشر: حب عبدالله السبيعي للمساكين والفقراء والأيتام	٢٤٣
الفصل العشرون: الوجه الأبيض والعمل الخيري في حياة عبدالله بن إبراهيم السبيعي .. تقريظ بقلم د. مقبل بن صالح الذكير ..	٢٥١
الفصل الحادي والعشرون: بركة العمر كلها .. تقريظ بقلم د. محمد بن عبدالله المشوح ..	٢٧٥
الفصل الثاني والعشرون: في مواجهة تحديات المرض والشيخوخة .. تقريظ بقلم د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي ..	٢٩٣
الفصل الثالث والعشرون: ما بعد الخاتمة .. ما الذي بقي من عبدالله السبيعي؟! .. تقريظ بقلم د. محمد بن عبد الله المشوح ..	٣٠١
تقريظ بقلم د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي ..	٣١٣
تقريظ بقلم د. محمد بن عبد الله المشوح ..	٣١٧
تقريظ بقلم د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي ..	٣٢١



تقديم



بِقَلْمِ مَعَالِي
د. عَلَى بْن إِبْرَاهِيم النَّمْلَة

إن التأريخ للعصامية والعصاميين مشروعٌ حبيبٌ إلى النفس؛ لما يفضي إليه من استنهاض «قيمة» القدوة، التي يُبيّن فيه الكاتب أو الراوي عن العصامية والعصاميين مدى المعاناة التي يمرُّ بها العصاميون حتى يصلوا إلى ما أراد الله تعالى أن يصلوا إليه وزيادة ببركةٍ من الله تعالى وفضلٍ، ثم بما يجدون أنفسهم في محيط يحتاج إليهم في اقتداء تجاربهم ومعاناتهم ودعومهم، بحسب معطيات الزمان والمكان، من منطلق التحدث بنعمة الله تعالى، وشكلاً من أشكال شكر الله تعالى على ما أتَمَ عليهم من تحقيق طموحاتهم وزيادة.

وقد أصبحت الكتابة عن هذه القدوات واجباً اجتماعياً وثقافياً، تليه ظروف الزمان، بعيداً عن هاجس الشهرة والأضواء ومحظوظ النفس. هذا الزمان الذي تنتشر فيه دعاية غير صادقة ولا دقique ومحبطة في الوقت نفسه حول جيل هذا الزمان وتغلب «غير المبالغة» بينهم، مع تجاهل بعض الناقدين للعبارة الذهبية: «أنزلوا أولادكم منازلهم، فإن زمامهم غير زمانكم». فتنتفي بهذه العبارة فكرة التهوين من إمكانات الأجيال وقدراتهم، بحسب معطيات زمامهم.

ولعلَّ من خير من يكتب عن هذه الشخصيات العصامية أخي وصديقي المارس التمرّس في هذا المجال وغيره من الأنشطة الثقافية والفكرية

الدكتور محمد أبو بكر حميد، صاحب الجهود المتواصلة في الكتابة عن العصاميين القدماء. ومن هذه الكتابات الممتلية ما نحن بصدده الكتابة عنه حول أحد رموز العصامية في هذا البلد المبارك؛ رجل الأعمال المبارك الحال «عبدالله بن إبراهيم السبيعي»، الذي يجسّد مفهوم القدوة والطموح وتحمّل الصعاب والعقبات. فكان لزاماً على صاحبي المؤلف الفاضل، في سبيل التمهيد إلى الوصول إلى ما وصل إليه الحال «أبو إبراهيم» أنْ يعود بالزمان إلى النشأة، حيث الفاقة والعوز، مما يجسّد مفهوم العصامية الذي تدور هذه الكلمة حوله. دون إغفال ما مرّ بأخيه الوجيه «محمد بن إبراهيم السبيعي» صاحبه في المعاناة والعصامية، الذي تحتاج حياته إلى وقفة خاصةٍ، لا تقلُّ عن هذا الجهد المبارك الذي قام به صاحبي الدكتور محمد أبو بكر حميد.

وقد استطاع مؤلف هذا الكتاب، الكاتب الخبير في هذا المنحى، أنْ «يسبر غور» هذه الحياة الحافلة بالإنجاز، من خلال خبرته في هذا المجال الحيوي في إبراز هذه القدوة. فأحاط بتاريخ الأسرة في الخرمة، وبحياة الحال «عبدالله السبيعي» منذ النشأة والتعليم في عنيزة، ثم الانتقال إلى مكة المكرمة ليبدأ الكفاح والريادة إلى جوار أخيه محمد، ثم الانتقال إلى جدة مع بقاء قلبه مرتبًا بمكة المكرمة؛ ولكن كسباً للعيش، ثم مسيرته بين أقاربه وأسرته وأولاده، وحسن تربيتهم بالقدوة، وبروز حبه للخير بينهم، وتعزيز هذا البعد فيهم وحثّهم عليه، وكونه مدعّاً للبركة والزيادة في الخير والإحسان إلى النفس بالإحسان إلى الآخرين. وما نقص مالٌ من صدقة. وأفرح ما يفرجه في أولاده بنين وبناتٍ أنْ يكونوا خيراً منه.

وتقول الرواية أنَّ أحد أعيان هذا البلد المبارك قد بني مسجداً قريباً من سكنه، فأضحي يتردد عليه لينظّفه. فلما عُرض عليه أنْ يترك نظافة المسجد لمن هو مخصوص للقيام بها قال كلمة تهزُّ القلوب. قال: «أنا أس垦 في بيت نظيف، فلا أريد أن يكون بيتي أنظفُ من بيت الله».

وأقرب من هذا عنایة الحال «عبدالله» بالمسجد الذي بناه قريباً من سكنه، فأصحى يؤذن فيه؛ لأنه يدرك ما للمؤذن من مكانة عالية عند الله تعالى. وهذا من العناية ببيوت الله تعالى؛ ليبني الله تعالى له ولكلّ من بنى مثله بيوتاً في الجنة. بفضل الله تعالى وكرمه.

ولقد أكرمني وشَرَّفني أخي وصديقي الدكتور محمد أبو بكر حميد بكتابته هذه الكلمة كتقديم لهذا الكتاب المفيد في مجاله، لعله يكون جهداً المقلّ في مسار البرّ بهذا الرمز المبارك من رموز العصامية والمعاناة. كان الحال عبد الله السبيعي مَنْ يبرُّ بالقريب والبعيد، فحرّيٌّ بمن برّ بهم أو بأهلهم أنْ يبرُّوا به بما ينفعه بعد رحيله، بعد أنْ ترك خلفه ثلاثة، وأحسبه كذلك: الصدقة الجارية، والولد الصالح من بين وبنات يدعون له ويزيدون، والعلم الذي يُتتفع به. وفضل الله عظيم.

رَحِمَ الله تعالى الحال الوجيه «عبدالله بن إبراهيم السبيعي» ووالديه وأسرته رحمةً واسعةً، وغفر لهم، وجعل الجنة مثواناً ومثواهم ووالديهم وأهلهم وأولادهم. والحمد لله رب العالمين.



قصة هذا الكتاب

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

د.محمد أبو بكر حميد



لا تُقاس قيمة الإنسان الحقيقية بما يجمعه من أطيان وأموال في حياته، ولا بما يتركه من ثروة من بعده لورثته، وإنما تُقاس قيمته في الدنيا وفي الآخرة بما تعامل به مع الناس بخلقٍ حسنٍ، وما قدّمه في حياته لخدمة دينه ووطنه ونفع به أمته، وما خلّفه بعد رحيله من أعمال صالحٍ تخالد ذكره في الدنيا، وتشفع له عند ربِّه في الآخرة.

وكان عبدالله بن إبراهيم السبيعي مثالاً لهذا النوع من الناس، يستحق الإعجاب بقصة كفاحه وعصاميته، ويستحق المحبة لحبه للناس وتواضعه لهم، ويستحق الاحترام لوفائه ومرؤته وحرصه على خدمة الناس، ويستحق الدعاء بما قدّمه لما أبقىه من بعده في الدنيا خالصاً لوجه الله تعالى، ولا نزكي على الله أحداً.

ويبقى التصدي للكتابة عن عبدالله بن إبراهيم السبيعي ليس لأنه رجلٌ مالٌ وأعمالٌ فقط بل لأنه أكثر من ذلك، فـما أكثر رجال المال والأعمال الذين لم يخدموا إلا أنفسهم وورثتهم.

ولهذا فإني عندما أكتب عن رجل المال والأعمال الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي في هذا الكتاب، فإني أقف طويلاً عند ملامح «التاجر الصدوق» في شخصيته، مؤكداً على العبرة والعظة في قصة حياته، وعلى الدرس في عصامتيه؛ فهدف هذا الكتاب تقديم «القدوة» من أخلاقه وأعماله الخيرة التي تستحق أن تنشرها على الناس.

لم تكن الكتابة عن مثل هذه الشخصية سهلة ولا هينة، فالرجل - رحمه الله - عاش مائة عام، عاصر فيها جيلين من الناس؛ عاصر الذين رحلوا خلال الخمسين سنة الأولى من حياته، وعاصر الذين ولدوا في الخمسين سنة الثانية من حياته. وعاش حياة مباركة بتوفيق الله له، فكانت مائة عام مليئة بالكدح والكفاح، ومليئة في الوقت نفسه بتجارب النجاح التي تجعله نموذجاً رائعاً لـ«العصامي الصبور» و«التاجر الصدوق» و«المسلم الخلوق».

ولولا تعاون أبنائه وبناته وأولاد أخيه، والذين عملوا معه، وأصدقائه ومحبيه.. لو لا تعاون هؤلاء جميعاً معي بتقديم المعلومات الصحيحة عنه لما تكَّنْتُ - بعد توفيق الله - من الحصول على مادة هذا الكتاب، خاصة في الفصول التي تعنى بحياته الخاصة مثل بِرِّه ومحبِّته الشديدة لوالدته، وطريقة تربيته لأولاده وبناته، وأسلوبه في التعامل معهم.

تعاون معي أبناءه وبناته بِرَّا بوالدهم، وحرضاً على تقديم سيرة حياته قدوة للناس، فالتفيتُ ابنه الأكبر الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيعي في منزله بجدة، وسجلتُ معه ساعات طويلة في ثلاث لقاءات؛ لأنَّه

عاصر المراحل الأولى من حياة والده وتاريخ كفاحه وأعماله، فحدثني عن تاريخ بدايات الكفاح التي عاشها مع والده، وبقصص عن محنته وعطفه على العاملين معه، وعن البيوت التي سكنوها، وعن حياة الأخوين الشقيقين محمد وعبدالله في بيت واحد بأسرتيهما حياة أسرة واحدة لرجل واحد..!

ثم التقيت الأخوين الأستاذ صالح بن عبدالله السبيعي وأخيه الأستاذ فهد بن عبدالله السبيعي في مكتب شركتهما الكائن في شارع حراء بجدة، وسجلتُ معهما أحاديثً وذكرياتً وأحداثًا عن حياة والدهما في المراحل التي عاشهما معه في بيته، وفي مكتب العمل، وعن أسلوب تعامله معهما، والدروس التي اكتسبوها منه من خلال تعامله مع الناس في التجارة، وفي الإنسانية، وفي حب الخير و فعله.

والتحقتُ بعض بناته؛ التقيتُ ابنته أم هيثم الأخت منى بنت عبدالله السبيعي زوجة د. سليمان السحيمي في لقاءين مطولين مُسَهِّلين، اللقاء الأول في بيت والدها في جدة؛ حيث تحدثتُ عن مراحل حياته التي عاشتها معه قبل زواجهما، والمراحل التي عاشتها بالقرب منه بعد زواجهما. ثم التقيتُ بها لقاءً ثالثاً في بيتهما بالرياض؛ حيث استكملت الحديث عن الوجه الخيري والإنساني في شخصية والدها، وعن عقله وقلبه، ومزايا الأب الحنون في حديث ذكريات طويل احتلطاً أثناء حديثها المؤثر بالشجن والدموع التي لم تستطع حبسها.

وأثناء هذا اللقاء، رتبت الأخت أم هيثم حضور شقيقتها الكبرى أم عادل الأخت هند بنت عبدالله السبيعي زوجة الشيخ إبراهيم بن محمد السبيعي، فسجلتُ معها حديثاً تاريخياً عن المراحل المبكرة في حياة والدها،

وعن برنامج حياته في شبابه، وعن حياتهم في البيوت التي سكناها في جدة.

كما التقى الأخت سلوى بنت عبدالله السبيعي زوجة الأستاذ محمد عبدالله الـ عبداللطيف في منزلها بجدة، وكان حديثها مركزاً على منهج والدها في تربية بناته بطريقة مختلفة عن تربيته لأبنائه الذكور، وكيف كان دقيقاً وواعياً في مراعاة الفوارق بين الجنسين.

والتقى أكثر من مرة بـ ابن أخيه وزوج ابنته بدرية الأستاذ ناصر بن محمد السبيعي في مكتبه بالرياض، وأفادني بمعلومات وقصص عن روعة الحب الذي جمع بين الأخوين الشقيقين الشيختين محمد وعبد الله أثرت الفصل الخاص بالعلاقة بين الشقيقين (أعلى من الحب).

كما تحدثت هاتفياً عدة مرات مع أم الوليد الأخت هدى بنت محمد السبيعي زوجة الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيعي وحصلت منها على ما يفيد عن الحياة الأسرية التي عاشتها مع عمها الشيخ عبدالله رحمه الله.

كما التقى أيضاً العميد عبد الملك القاسم زوج ابنته ريم في منزله بجدة، حيث تحدث عن روح الأبوة وحنانها الذي تعامل به الشيخ عبدالله السبيعي مع أزواج بناته

واستكملت رسم شخصية الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي بمن بقي من الرجال الذين عاشوا معه خارج بيته، خاصة الذين عملوا معه فترات طويلة، وعاصروا مراحل حياته، ولعل أقدم هؤلاء من الأحياء الأستاذ أحمد سالم بامعس الذي عمل إلى جواره أكثر من خمسين عاماً، وروى لي ما شهده معه أثناء مرحلة كفاح الأخوين.

ومن المحدثين الذين عملوا معه في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته الأستاذ أحمد صالح باحفين الذي التقى به في مكتبه بمكة المكرمة، وأذهلني بوجود صور ضخمة للشيخ عبدالله السبيعي خلف مكتبه، فلما استقبلني لاحظ عجبـي من وجود الصور الكبيرة بهذا الحجم، قال لي: هذا الرجل أبي الروحي، وصاحب الفضل الأول علىـ بعد الله سبحانه وتعالـ، إنـها قصة وفاء مشوقة، وروى ليـ من قصص حبـ الشيخ عبدالله السبيـعي للخير ونفعـ الناس ما لا يتسع لها جـمـيعـاـ هذا الكتاب.

وبالمثل التقى الأستاذ عبدالعزيز القحطاني الذي صحبـه في السنوات الأخيرة موجـهاـ تربـويـاـ للأـحفـادـ، وقارئـاـ لهـ في مجلسـهـ بـمنـزـلهـ، ومنـهـ عـرـفـتـ الكـثـيرـ عنـ ثـقـافـةـ الشـيـخـ عـبدـالـلـهـ، وـاهـتـامـاتـهـ بـالـقـرـاءـةـ، وـالـكـتـبـ التـيـ يـمـيلـ إـلـيـهـاـ.

أما عنـ الجـانـبـ الخـيرـيـ الذـيـ وـضـعـتـهـ فـصـلـ بـعنـوانـ (ـالـوـجـهـ الـأـبـيـضـ)ـ فقدـ تـحدـثـ عـنـهـ وـأـثـرـاهـ صـدـيقـهـ وـتـلـمـيـذـهـ الذـيـ أـعـدـهـ الشـيـخـ عـبدـالـلـهـ بـمـثـابـةـ ابنـ لـهـ الدـكـتـورـ عـادـلـ بـنـ مـحـمـدـ السـلـيمـ الذـيـ قـامـ مـتـطـوـعاـ بـأـدـوارـ مـحـورـيةـ إـلـيـ جـوـارـ الشـيـخـينـ مـحـمـدـ وـعـبدـالـلـهـ فـيـ إـنـشـاءـ مـؤـسـسـهـاـ الـخـيرـيـةـ الـمـشـتـرـكـةـ التـيـ كانـ أـمـينـهـاـ الـعـامـ، وـبـقـيـ مـلـازـمـاـ لـلـشـيـخـ عـبدـالـلـهـ طـوـالـ حـيـاتـهـ، وـشـاهـدـاـ عـلـىـ إـنـجـازـاتـهـ الـخـيرـيـةـ، وـأـكـملـ هـذـاـ جـانـبـ دـ.ـ حـسـنـ شـرـيمـ أـمـينـ عـامـ مـؤـسـسـةـ عـبدـالـلـهـ السـبـيعـيـ الـخـيرـيـةـ بـالـرـيـاضـ بـمـاـ رـوـاهـ لـيـ مـنـ مـشـاهـدـ، وـعـاـشـهـ مـنـ موـاقـفـ مـعـهـ، وـبـمـاـ أـتـاحـهـ لـيـ مـنـ مـعـلـومـاتـ وـصـورـ فـيـ أـرـشـيفـ الـمـؤـسـسـةـ.

ولـاـ يـسـعـنـيـ هـنـاـ ذـكـرـ أـسـمـاءـ كـلـ مـنـ التـقـىـ بـهـمـ مـنـ أـضـافـوـاـ الـمـادـةـ هـذـاـ الـكـتـابـ فـيـ فـصـولـهـ الـمـتـنـوـعـةـ، وـتـحـدـثـوـاـ عـنـ عـبدـالـلـهـ السـبـيعـيـ الـإـنـسـانـ مـنـ أـصـدـقـاءـ وـمـوـظـفـينـ وـمـعـلـمـينـ وـعـمـالـ وـسـائـقـينـ، فـمـاـ تـحـدـثـوـاـ بـهـ كـانـ كـلـمـةـ حـقـ،

وشهادة صدق تقال بعد رحيله، لا يتغرون بها منفعةً ولا رياءً، وأصدق ما يقال عن الإنسان ما يقال في غيابه، وخاصة بعد وفاته.

وبعد.. فإني لا أزعم أنني كتبتُ كل ما جمعته وسمعته عن شخصية هذا «العصامي الصبور» و«التاجر الصدوق» و«المسلم الخلوق»، ولا أظن أن هؤلاء تحدثوا بكل شيء عن هذا الرجل، فله في حياته الخيرية خبايا بينه وبين ربه لا يعلمها الناس.

ولن أتحدث عن فصول هذا الكتاب، فهي تتحدث بنفسها بما حوتة لن يقرأها. وما أوردته في هذه الفصول يهدف لتقديم القدوة للجيل الحاضر، وأبناء الأجيال القادمة في العصامية والكدح والكفاح وتحقيق النجاح.

رحم الله عبد الله بن إبراهيم السبيعي وأثابه عن ما قدم، وكتب له الجنة برحمته التي وسعت كل شيء..

وما توفيقي إلا بالله العلي القدير، عليه توكلت، وبه أستعين، وإليه أنيب، والصلوة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، والحمد لله رب العالمين..

محمد أبو بكر حميد

الرياض ٤٤٧/٦/٤ امطوالق ٢٥/١١/٢٠٢٠ م



الفصل الأول



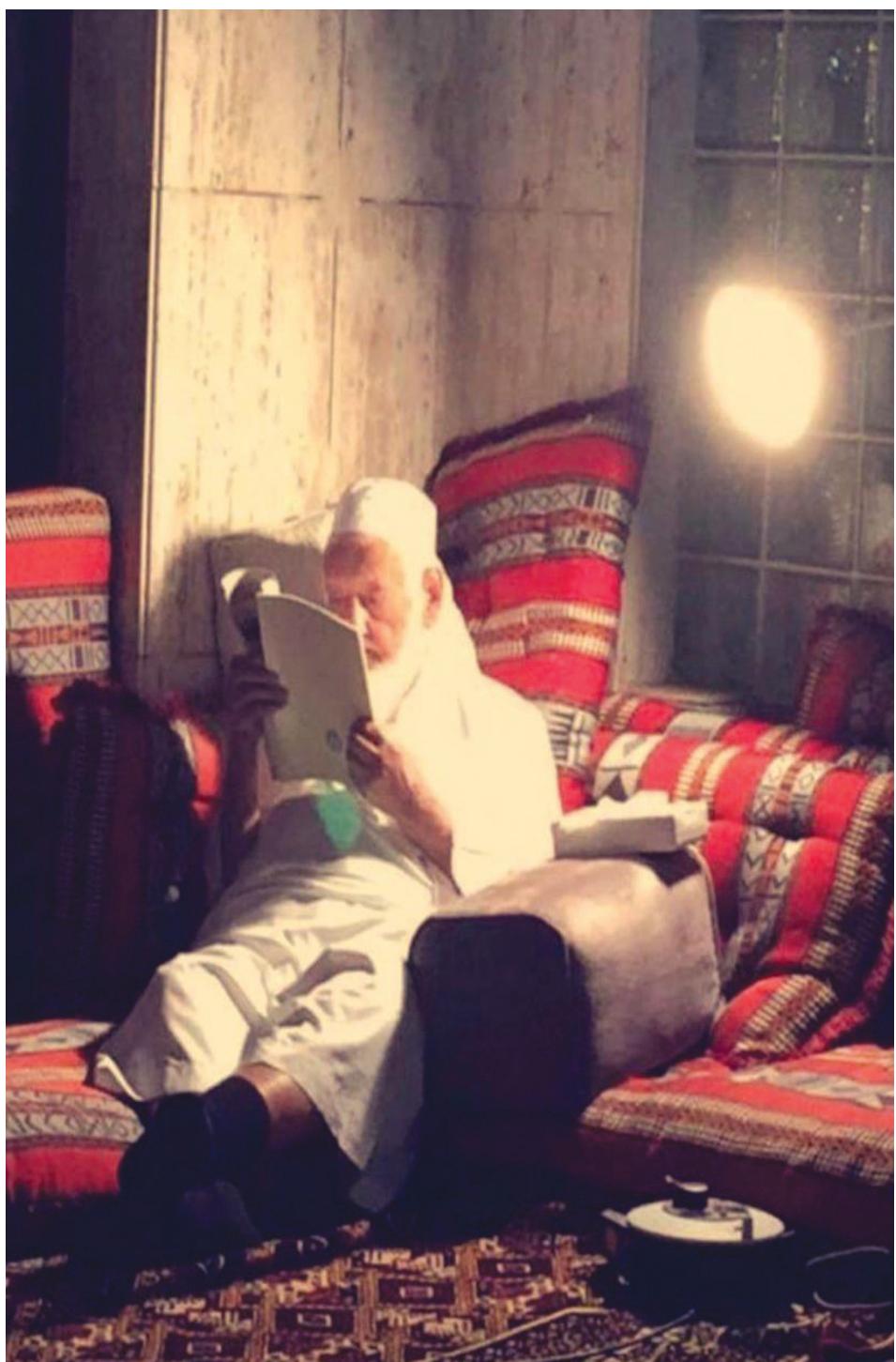
قصة الأجداد

من وادي سبيع إلى وادي الرمة

عاش أجدادي في منطقة الحرمَة بالحجاز التي كان يحكمها الأشراف باسم الدولة العثمانية فترة طويلة من الزمن قبل انتقالهم إلى عنيزة وقبل استقرار الحكم السعودي الظاهر بها .

عبد الله بن إبراهيم السبيع





عاش أجداد الشيخ عبدالله بن إبراهيم السُّبَيْعِي في منطقة الخُرْمَة بالحجاز التي كان يحكمها الأشراف باسم الدولة العثمانية فترة طويلة من الزمن قبل انتقامهم إلى عنزة وقبل استقرار الحكم السعودي الزاهر بها. وقد شهد والده إبراهيم بن محمد السُّبَيْعِي وأجداده ما كان بالحجاز من حروب ونزاعات على السلطة تنتهي بالموت أو بالخلع.



تقع الخُرْمَة على ضفاف وادي سُبَيْع الشهير وتمتد واحاتها الزراعية على ضفتي هذا الوادي

الخُرْمَة موطن السبعان

الخُرْمَة مدينة خضراء تشتهر بالزراعة، ولأهلها تاريخ مُشرف متواتر في نُصرة القيادة السعودية والقتال تحت رأيتها منذ الدولة السعودية الأولى إلى ظهور الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة. وقد توارثت العائلات التي عاشت على ضفتي وادي سُبَيْع في الخُرْمَة عادات وتقالييد ذلك المجتمع المحافظ، وانتشرت في ربوع المملكة العربية السعودية.

على ضفاف وادي سُبيّع

تقع الخُرْمَة على ضفاف وادي سُبيّع الشهير، وتمتد واحاتها الزراعية على ضفتي هذا الوادي لمسافة لا تقل عن مائة كيلو متر تقريباً، وكان أغلب سكانها من قبيلة سُبيّع ومن الأشراف. وتكون أهمية الخُرْمَة في موقعها الاستراتيجي بين منطقتي نجد والحجاز، وهو موقع أكسبها شهرة تجارية لمورر القوافل بها أثناء رحلاتها بين مدن الجزيرة العربية وببلاد الشام.

عرق سُبيّع والرمال الذهبية



لم تقتصر ثروة الخُرْمَة على اخضرارها وتنوع الزراعة فيها وجمال كثبانها الرملية التي تُعرف بـ «عرق سُبيّع»، ولكن رمال عرق سُبيّع وأراضي أخرى في الخُرْمَة كانت تخفي تحتها كنوزاً مناجم الذهب. والخُرْمَة عميقة الجذور في التاريخ، ولها عراقة ضاربة في القدم منذ عصور ما قبل الإسلام، ومن أشهر آثارها المرتبطة بقبيلة سُبيّع قلعة أثرية تسمى (قلعة المسهر) تُطل على وادي الخُرْمَة الكبير في ارتفاع جبلي يكشف المنطقة المجاورة، ويعتبر برج مراقبة حربي

قام ببنائه مجموعة من (السباعان) من قبيلة السلمان السُّبَيْعِيَّة قبل أكثر من ٣٥٠ سنة^(١).

الخُرْمَة فِي نَصْرَة دُعْوَةِ السُّلْفِيَّةِ وَالْمُلْكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

للخُرْمَة مع آل سعود تاريخ مبكر ورائد، فقد انضمت الخُرْمَة للدولة السعودية الأولى، وأصبح أغلبية أهلها يؤيدون الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وفي سبيل هذه الدعوة خاضت الخُرْمَة معارك كثيرة إلى جانب قادة وملوك آل سعود عبر العصور^(٢).

قبيلة سُبَيْع.. شرف الأرومة وعراقة العربة

قبيلة سُبَيْع قبيلة عربية كبيرة وشهيرة ، لها تاريخ طويل عريق يمتد عبر العصور، أنجبت خلاله عظماء وفرسان وشجعان وشعراء، وينسبها بعض المؤرخين إلى قبائل العارض^(٣). وتُعد قبيلة سُبَيْع من هوازن المضدية العدنانية، وتعود إلىبني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصافة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من ذرية سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهما السلام.

ومن المؤرخين من يقول أن القبيلة اكتسبت اسمها من سُبَيْع بن عامر ابن مؤسس القبيلة، في حين أن آخرين يرون أن سُبَيْع أطلق على القبيلة لبطولة رجالها الأبطال السبعان في الحروب، وسُبَيْع لغة تصغير سَبَع.. وأول ما عُرفت سُبَيْع كقبيلة في التاريخ القديم كان عام ٩٦٩هـ الموافق ٣٥٨ م؛ وذلك عند تأسيس حلف خندف^(٤).

(١) عبدالله الحضبي السُّبَيْعِي، «الخُرْمَة»، سلسلة هذه بلادنا، جمعية الفنون السعودية، ص ٤٢ بتصرف.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبدالله بن خيس، تاريخ اليمامة، مؤسسة الجزيرة الصحفية، ١٩٨٢م، الرياض، ص: ١٠٩.

(٤) حلف قديم، ضم قبيلة مطير وقبيلة سبيع وقبيلة ثقيف وغيرهم.

ديار ومساكن قبيلة سُبَيْع



قبيلة سُبَيْع من أكثر القبائل العربية التي ارتبط اسمها بمواطن سكناها وموقع ديارها مثل وديان سُبَيْع، وعرق سُبَيْع، وحرة سُبَيْع، وحزم سُبَيْع... وغيرها. وذلك لأن القبائل الكبيرة تحافظ على أوطانها، خاصة إذا كانت منيعة بجبارها وحرارتها وأوديتها كما هو الحال في مواطن سُبَيْع. والموطن الأصلي لقبيلة سُبَيْع منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية، وتوجد فروع لها وسط وغرب وشرق شبه الجزيرة العربية، وينزل قسم كبير منهم في عالية نجد في الحُرْمَة ورنية العفيرية والغريف وعرق سُبَيْع وبيشة والصاقب والهضب^(١).

عنيزة وطن الجدود ومغانى الصبا

عاشت قبيلة سُبَيْع في الحُرْمَة منذ زمن بعيد كما ذكرنا، ثم ارتحل أجداد الشيخ عبدالله بن إبراهيم السُّبَيْعي من الحُرْمَة إلى عنيزه بالقصيم منذ عام ٦٣٠ هـ الموافق ١٢٣٢ م تقريباً، حيث أسسواها واستقروا بها، ولكن أعماهم وتجارتهم جعلتهم يخرجون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف والرياض وغيرها من المدن سعياً وراء لقمة العيش.

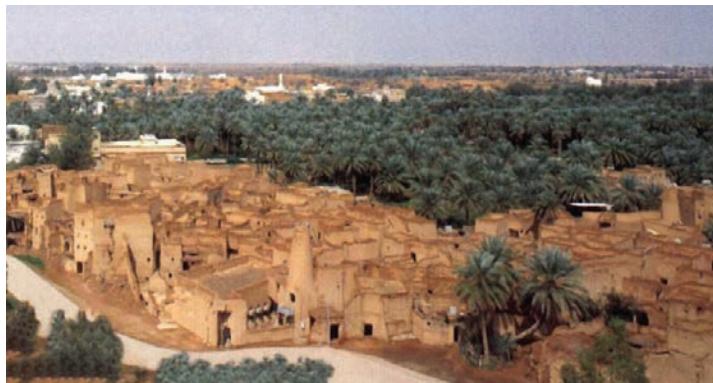
وال تاريخ والجغرافيا يحدثانا عن عنيزة المدينة التاريخية التي اكتسبت أهميتها منذ القدم بسبب موقعها الجغرافي المميز على الجزء الشمالي الأوسط من هضبة نجد، وعلى مجرى وادي الرمة جنوباً حيث تحيط بها كثبان رمال

(١) عمر رضا حالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، ط١٩٤٩، ١٩٤٩، دمشق، ص ١٢٤.

الغميس شماؤلاً، ورمال وغابات الغضا جنوباً. وتتحدث المصادر كثيراً عن اسم عنيزة^(١).

ويحدثنا التاريخ أيضاً بأن عنيزة تُعدُّ من أقدم مدن منطقة القصيم، وهي روضة المزارع والبساتين ووفرة المياه وصفاء التربة. ولكن هذا وحده لا يصنع المدن العظيمة، فما أكثر المدن ذات الموضع الجغرافي الأهم من عنيزة، والأفضل من عنيزة لكنها لم تصنع مجداً يسجله التاريخ لها، لأن المجد الحقيقي يصنعه الإنسان بيده وبعزيمته وبأخلاقه وفكره.

تأسيس عنيزة ٦٣٠ هـ وفترة الحكم السبعيني لها



أغلب ما يميل إليه المؤرخون أن الاتساع المدنى لم يحدث في عنيزة إلا بعد هجرة زهري بن جراح إليها من الخرماء فكثراً جيرانه والتازلون حوله

في عام ٦٣٠ هـ الموافق ١٢٣٢ م تقريباً ارتاحل زهري بن جراح بن صايل الشوري السبعيني هو وأخوه زهير من الخرماء إلى عنيزة، وأنجب زهري السبعيني أربعة أبناء، وهم: سرور، وعلي، وغنم، وعويم. فعمراً (آل جراح) روضة عنيزة، حيث ابتنوا بيوتهم، واستقروا فيها، فحكموا عنيزة، ثم أسسوا أحياها،

(١) عبد العزيز الرشودي، الفكر التربوي عند الشيخ عبدالرحمن السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٢٩٠ م، ص ٢٠٠.

فكان أول ما أنشأوا فيها ديرة (المليحة) عام ٦٣٠ هـ، ثم (الخريزة)، ثم (الجادة) على التوالي. وكان آخر ديرة تم إنشاؤها ديرة (العقيلية)، وقد أنشأها عقيل بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن بكر بن عتيق بن جبر بن نبهان بن سرور بن زهري بن جراح الثوري السبيعي، وكان ذلك في حدود عام ٩٠٠ هـ الموافق ١٤٩٥ م.

وأغلب ما يميل إليه المؤرخون أن الاتساع المدنى لم يحدث في عنيزه إلا بعد هجرة زهري بن جراح إليها من الخرمة، فقد كثُر جيرانه والنازلون حوله، وتشكلت أحيا عنيزة مع اتساعها بكثرة سكانها، وتكونت بذلك عنيزه من أربع ديرات، كل ديرة لها سور خاص بها: وهي ديرة آل الجناح ويتبعه الضبط، والخريزة والعقيلية والمليحة. وبطبيعة الحال نشأت نزاعات بين تلك الديرات، وظلت مستمرة بينهم لعدة قرون^(١).

وفي عام ١٠٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م، غزى عنيزة أمير مكة المكرمة أحمد بن زيد، فنهب حارة العقيلية ونكل بأهلها، فاتفقت الحارات الثلاث: العقيلية والخريزة والمليحة على أن يكون الأمير فوزان بن حميدان بن حسن بن معمر السبيعي أميراً عليها باستثناء الجناح، فظل فوزان أميراً عليها حتى قتله آل جناح منبني خالد بقيادة دويس بن صعب، وظل دويس أميراً عليها حتى أخر جه حميدان بن معمر^(٢). ثم تعاقب على إمارتها مجموعة من الأمراء من سبيع قبل أن يصل إلى آل السليم كما هو معروف.

(١) د. محمد بن عبدالله السليمان، هذه بلادنا عنيزة، المرجع السابق، ص ٥١.

(٢) انظر: كتاب «خزانة التوارييخ النجدية»، عبدالله آل بسام، ج ٥ ص ٤٩ وما بعدها بتصرف.

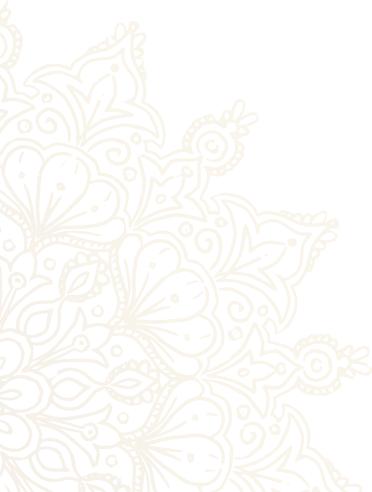
الفصل الثاني

أسرة

محمد بن ناصر بن سليمان السبيعى
في عنزة بالقصيم

نشي أسرتنا إلى الهلاوية من بني ثور من قبيلة سبع المعرفة، ومن أوائل أجدادي الذين
سكروا عنزة بالقصيم جداً المباشر محمد بن ناصر بن سليمان بن إبراهيم بن محمد
السباعي من مواليد أواخر القرن الثالث عشر الهجري

عبد الله بن إبراهيم السبيعى





جزور أسرة السبيعى

كان أول من توفرت لدينا عنه معلومات من أجداد الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعى في عنيزه بالقصيم هو الجد المباشر محمد بن ناصر بن سليمان بن إبراهيم بن محمد السبيعى من مواليد الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى، وتنتمي أسرته إلى الأهلايمة من بني ثور من قبيلة سبيع المعروفة.

محمد بن ناصر السبيعى (١٣٣٢-١٢٧٠ هـ)



أغلب الظن أن مولد محمد بن ناصر السبيعى كان في عنيزه في حدود سنة ١٢٧٠ هـ

نرجح أن مولد محمد بن ناصر السبيعى كان في عنيزه في حدود سنة ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣ م على اعتبار أنه أنجب ابنه الأول في سن الخامسة والعشرين، وبافتراض أنه تزوج أصغر من تلك السن بعده سنوات، فالناس كانوا يتزوجون في ذلك الوقت في سن مبكرة، ولهذا نفترض أيضاً أنه مات له من قبل طفل أو طفلان في ظل الظروف الصحية التي مرت بها البلاد في تلك الأزمة الشديدة والإمكانيات والخدمات الطبية^(١). وأبناء محمد بن ناصر

(١) حمد بن ناصر العبدى، معجم بلاد القصيم، المجلد ٤، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦ م، ١٦٠٩، ص

السبيعي ثلاثة هم: ناصر وإبراهيم وعبدالله، وقد توفي عبدالله قبل إبراهيم في ظروف لا نعلمها.

أما الحالة المادية لمحمد بن ناصر فنستطيع القول إنه عاش في كفف أبيه مثل معظم أبناء عصره، حيث كان أغلب الناس يعيشون على الكفاف، وكانت أحوال الناس المادية متقاربة، وتتراوح بين امتلاك مزرعة أو استئجار مزرعة أو تبادل بضائع أو الضرب في الأرض بالسفر للتجارة في البلدان المجاورة. وكانت حركة أسفار العقيلات^(١) في ذلك الزمن في أوجها، فلا عجب أن يكون من الذين ترددوا على السفر مع العقيلات شأنه شأن الكثير من رجال القصيم في ذلك الزمن، وقد إشتهر بين العقيلات بالشجاعة والإقدام ومواجهة الصعاب، فكان يسافر مدة طويلة قد تصل إلى عدة شهور، ثم يرجع وقد ورث أبناؤه من بعده هذه العادة، وكانوا يسافرون إلى العراق وسوريا ومصر وفلسطين وغيرها^(٢).

مهنة محمد بن ناصر السبيعي

ولهذا فإننا عندما نقول إننا نعتقد أن الجد محمد بن ناصر بن سليمان السبيعي مارس التجارة، فإننا نقصد النوع البسيط من التجارة، فهو لم يكن يملك مالاً يديره بل كان يدير مال غيره بما كسبه في الأسفار مع العقيلات من خبرة ودرأية بالمعاملات، ولهذا كان يقوم بأعماله التجارية بالاستدامة من الآخرين أو من خلال مشاركتهم؛ حيث يكون شريكاً بمجهوده وخبرته، ويقوم الشريك الآخر بتزويده بالمال الكافي لذلك.

- (١) العقيلات هم جماعة من الرحالة اكتسبوا في سبيل الرزق لقب العقيلات لتميزهم بلبس «العقال» الذي لم يكن يستخدم كثيراً في نجد آنذاك، وللمؤرخ حمد الجاسر رأي آخر يقول إنه أطلق عليهم لقب «عقيل» نسبة إلى قبيلة «عقيل» العامرية التي سكنت «نجد»، وكانت تمارس تجارة الإبل مع الأقطار المجاورة.
- (٢) حديث شخصي مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيعي في منزله بجدة بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠٢٣م، وأيضاً محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، المجلد ٤، دار الثلوثية للنشر التوزيع، ٢٠١٦م.



في هذه البيئة التي يطوي كثير من أهلها القفار لطلب الرزق نشأ محمد بن ناصر السبيعى وإذا أردنا أن نعرف نوع التجارة التي كان يمارسها فهي لن تخرج عما كان يتاجر فيه العقيلات، فقد كانت تجارتهم تتركز على الإبل والأغنام، وأحياناً الخيول، ويصدرُونها من القصيم إلى بلاد الكويت والعراق والشام والأردن وفلسطين ومصر، ويستوردون الأسلحة والقهوة والشاي والسكر والأواني والملابس وغيرها من ضروريات المعيشة^(١). وفي الشتاء يتوجهون شماليّاً نحو الهمال الخصيب والعراق، ويُفضّلون الشتاء على فصل الصيف نسبة لتحمل المواشي، ويتخَّرون السوق الجيدة للإبل والخيول والأغنام ومتجاهتها^(٢).

زواج محمد بن ناصر السبيعى بـ حصة بنت محمد الوائل

في هذه البيئة التي يطوي كثير من أهلها القفار من أجل طلب الرزق نشأ وشب محمد السبيعى في رعاية والده ووالدته، ولما بلغ سن الزواج، وكانت سن الزواج في ذلك الزمان مبكرة، اختارت له والدته فتاة من

(١) إبراهيم المسلم، رحلتي مع العقيلات، دار الثلوثية للطباعة والنشر، الرياض، ٢٠١٤م، ص ٢٤

(٢) د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، نجديون وراء الحدود، دار جداول للطباعة والنشر، بيروت

عنيزة وهي حصة بنت محمد سليمان الوacial تعود جذورها إلى فرع البدران من قبيلة الدواسر حيث استقرت في بلدة وacial التي استمدت العائلة منها اسمها، وهي بلدة من توابع جلاجل بمنطقة سدير.

ونرجح أن حصة بنت محمد سليمان الوacial أنجبت لـ محمد بن ناصر السبيعي ابنه البكر ناصر بن محمد بن ناصر السبيعي سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م)، ثم تلاه بعد ستين تقريباً ميلاد ابنه الثاني إبراهيم بن محمد بن ناصر السبيعي عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠م، ثم ابنه الثالث عبدالله بن محمد بن ناصر السبيعي الذي لا نعلم عنه شيئاً. وربما أنجب غير هؤلاء لأننا نعلم أن الكثير من الأمهات في ذلك الوقت كن يفقدن أطفالهن صغاراً بسبب تفشي الأمراض والأوبئة وعدم توفر الرعاية الصحية الكافية.

وفاة الجد محمد بن ناصر السبيعي



طراز العمارة الطينية في بيت ناصر بن محمد السبيعي

لا نعرف تاريخ وفاة الجد محمد بن ناصر السبيعي بالتحديد، ولكننا نستطيع التقدير والتوقع بمعايير ذلك العصر الذي لم يكن الناس فيه يعمرون طويلاً. فإذا كنا قد رجعنا مولده في حدود عام ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣م، فإن وفاته قد تكون في نحو الستين من عمره أو دونها أو أكثر منها بقليل، وما نرجحه أن وفاته كانت عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م)، والله أعلم.

الابن الأكبر ناصر بن محمد بن ناصر السبيعى

(١٣٧٦-١٨٨٣ هـ = ١٩٥٧ - ١٣٠٠ م)



بيت ناصر بن محمد السبيعى في عنزة الذي يعد من معالمها التراثية.

ولد ناصر بن محمد بن ناصر بن سليمان بن إبراهيم بن محمد السبيعى على الأرجح سنة ١٣٠٠ هـ ووفاته كانت سنة ١٣٧٦ هـ. نشأ ناصر في كنف والديه في عنزة، وأغلب الظن أنه عندما شب عن الطوق سافر معه في رحلات العقيلات مرة أو مرات. عمل في التجارة إلى جانب والده، وأخذ عنه الكثير. ويذكر بعض أهل عنزة من معاصريه بأنه برع في التجارة بعمل في أكثر من مجال ونجح فيها جميعاً.

وبعدما هاجر إلى مكة المكرمة بدأ بدعان في سوق الجودري ثم توسع بدعان أكبر في سوق المدعي في أكثر من مجال من بينها تجارة السجاد. ويوجد حدث طريف في حياته التجارية إذ استورد بطانيات شتوية ومكة كما هو معروف معتدلة الطقس، فسخر منه بعض التجار وتوقعوا بضاعته الكساد، فكان يقول إن كان لي



سلام العماره الطينية في بيت ناصر السبيعي

فيها رزق سياتيني، ثم هبت بعد فترة موجة برد فباء كل البطانيات وكسب فيها كثيراً..! وكبرت مكانته حتى أصبح من وجهاء القصيم في مكة المكرمة يستضيف في بيته القادمين من عنيزه وغيرها للحج والعمره وغيرهما^(١) وكان رحمه الله شهما كريما اشتري بيته كبيراً في مكة المكرمة لينزل فيه أهله وضيوفه الكثرا، وتميز هذا البيت باحتواه على حمام تركي حديث، لكنه من ورعينه وتقواه باعه على إثر فتوى تقول أن بعض بيوت مكة المجاورة للحرم وقف لا يجوز امتلاكه.. ! ثم قام ببناء بيت في عنيزه كلفه الكثير فكان كالقصر في ذلك الوقت سناتي لوصفه.

ولابد أن نلفت النظر هنا أن كبر المكانة لا يعني في ذلك الزمن كثرة الأموال والثراء المادي، فأحوال الناس كانت متقاربة، وإنما ينال المكانة بين الناس آنذاك كريم النفس، عالي الهمة، المحب للناس، الخدوم لهم. وكان ناصر السبيعي من هؤلاء فلا عجب لرجل بهذه الأخلاق والقيم أن يخدم الأرمدة زوجة أخيه إبراهيم وولديها، وأن يقف معهم موقفاً شهماً كريماً. وقد كان له الكثير من المواقف التي جعلت لسان عبدالله السبيعي يرطب بالدعاء كلما ذكر عمه ناصر.

(١) إبراهيم المسلم، رسجال من القصيم، الدار الثقافية للنشر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢ م. ص ٧٧

بيت ناصر بن محمد السبيعى في عنيزه⁽¹⁾

أنشئ هذا البيت الشبيه بالقصر شرق عنيزه القديمة والواقع بين سور الأول (العقدة) والسور الثاني المحاذى لمجرى شعيب البويطن (السلسلة) في (محللة المقيلة) وشيد على مساحة ٨٨٠ متراً ونظرًا لكبر المساحة وحجم المبنى وتعدد أدواره كان البناء بنظام (العروق) الذي يتسم بالقوة والصلابة مما رفع تكلفة البناء التي لا يستطيع تحملها إلا القليل من تجار نجد في ذلك الزمن.



وللبيت أربعة مداخل رئيسية ويكون

من ثلاثة أدوار ويشمل (خلوة) بدروم ودور أرضي بحديقة بالجهة الشمالية كانت تحتوي على نخيل وأشجار الليمون وحظائر، أما الدور الثاني فكان يشغل صالات طعام متعددة (معشى) تسع لأكثر من سبعين ضيوفاً ومجموعة من غرف. وقد تم بيع البيت بعد وفاته من قبل الورثة.

وقف ووفاء الشقيقين لعمهما جامع ناصر بن محمد السبيعى

وفاء لعمهما ناصر بن محمد السبيعى أنشأ الشقيقان محمد وعبد الله جامعاً بكافة مراقبه وخدماته بمدينة الملك فهد الطبية في الرياض، وُعُدُّ من إنجازات مؤسسة محمد وعبد الله السبيعى الخيرية.

(١) حصلت على المعلومات ومجموعة صور من الأستاذة الأديبة نهى بنت عبد الرحمن بن ناصر السبيعى

عبدالرحمن بن ناصر بن محمد السبيسي

عبدالرحمن بن ناصر بن محمد السبعي
-١٩٢٨ - ١٤٢٠ هـ = ١٣٤٧)



عبدالرحمن بن ناصر السبيعى الابن الوحيد الذى
امتدت من خالله ذرية ناصر بن محمد السبيعى

الله تبارع في ١٤٢٠ هـ توفي في ٣ / ١٠ سلطاً مثقباً يحب القراءة والاطلاع، راقياً في سلطنة عمان عمل في مؤسسة النقد العربي السعودي وأمانته وحرصه على مواعيد العمل وتحمّل مسئولياته بنجاح واقتدار، ثم عمل في بنك القاهرة بالخبر بالمنطقة الشرقية، وبها بنك القاهرة بالخبر بالمنطقة الشرقية، وبها في وظيفة في رأس المشعاب ثم عمل في مع والده لسنوات، بعدها انتقل وعمل بمدينة عنزة في ١٤٣٧ هـ وعاش بها فترة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وحصة ومضاوي، ولد عبد الرحمن محمد السبيعي بين ثلاث بنات هن نورة (١٩٩٩م) هو الابن الوحيد لناصر بن

وقد تكاثرت الأسرة وكبرت شجرتها في ذرية عبدالرحمن الذي أنجب من زوجته مريم بنت فهد بن مساعد السويلم أربع بنات، هن: نادية ونهى وناهد ونبية، وولد واحد هو ناصر. وظلت هذه الأسرة محافظة على الإرث العائلي من القيم والأخلاق، وهو ما يذكره الناس لهم بالثناء والتقدير.

الفصل الثالث

المسافر دائمًا
إبراهيم بن محمد بن ناصر السبيسي
(١٢٩٧ - ١٣٤٤ هـ = ١٨٨٠ - ١٩٢٥ م)

كان مولدي أثناء غياب والدي في المدينة المنورة، وقد أوصى والدتي قبل مغادرته عنيزة في سفره الأخير بأنها إذا أنجبت ذكراً أن تطلق عليه اسم عبدالله وفاءً لأخيه عبدالله الذي توفي مبكراً.

عبد الله بن إبراهيم السبيسي



إبراهيم بن محمد السبيعى ميلاده ونشأته في عنيزة

يكتنف المعلومات عن شخصية إبراهيم بن محمد بن ناصر بن محمد بن سليمان بن إبراهيم بن محمد السبيعى الكثير من الغموض. وأهميته لا تتحصر في كونه والد الرجل الذي نكتب سيرته في هذا الكتاب فقط، بل أيضًا لأنه شخصية تستدعي حياته وأحداثها الوقوف المتأني عندها.

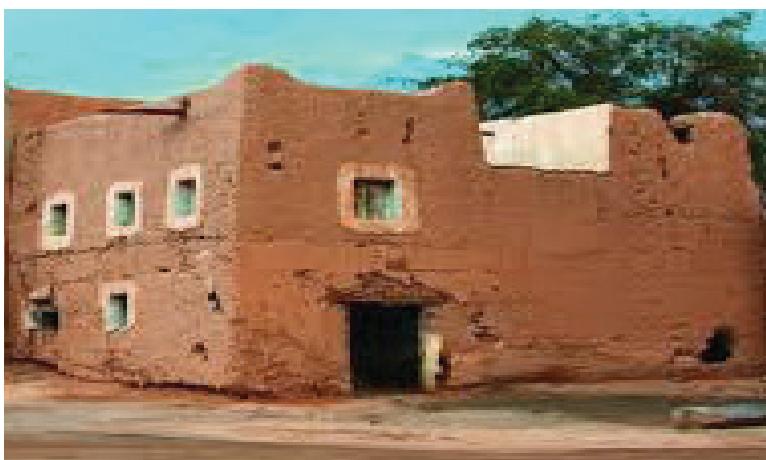
ما يستحق الوقوف والتأمل في حياة إبراهيم بن محمد السبيعى أنه عاش غريباً ومات غريباً، ولد في عنيزة بالقصيم في آخر القرن الثالث عشر الهجري، في عام ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٨٠م، ووالدته كما سبق القول حصة بنت محمد بن سليمان الوacial، وماتت في المدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م، رحمه الله.

نشأ إبراهيم وهو الابن الثاني لمحمد بن ناصر بن محمد بن سليمان بن إبراهيم بن محمد السبيعى (١٢٩٧هـ - ١٣٤٤هـ) في كنف والده؛ حيث تلقى تعليمه الأولى في كتاب عنيزة، فانضم إلى حلقة تحفيظ القرآن، وحفظَ بعض سور القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة التي كان يتعلّمها الصبيان بالكتابة على التراب؛ لعدم توفر الأقلام أو قلة وجودها في ذلك الوقت.

زواج إبراهيم بن محمد السبيعى

من نورة بنت ناصر العماش

(م ١٣٢٧ / م ١٩٠٩)



تم ذلك الزواج في عنيزه، وقرت به عينا الوالدين محمد السبيعى وحصة الوacial اختارت حصة بنت محمد بن الوacial لابنها إبراهيم فتاة من أسرة كريمة هي نورة بنت ناصر العماش من أهل البدائع^(١) بالقصيم، يعود نسبها إلى قبيلة قحطان العربية المعروفة. وتم ذلك الزواج في عنيزه، وقرت به عينا الوالدين محمد السبيعى وحصة الوacial. ولكن إبراهيم السبيعى المسافر دائمًا لم يقم مع زوجته في عنيزه بعد زواجه سوى ثلاثة شهور فقط ثم سافر..! فكانت هذه أطول مدة متصلة قضتها مع زوجته طوال حياته..!^(٢)

(١) البدائع: جمع بديعة، بمعنى حديثة، وسميت بذلك لأنها حديثة ومبدوعة، ولأن آبارها لم تكن آباراً قديمة، بل إن آبارها ابتدعت حديثاً.

(٢) هدى بنت محمد السبيعى، من حديث الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعى عن والده، كتاب «رحلة الفقر والغنى»، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢٠١٧، م، ص ٣١

والمعروف أنه لا توجد توارييخ دقيقة لأحداث ذلك الرمن، فكان الناس يؤرخون ولادتهم وزواجهم ووفياتهم بالأحداث، وهي توارييخ تقريبية تؤرخ السنة ولا تدقق في تاريخ اليوم والشهر إلا بالتقريب. لهذا لا يوجد تاريخ موثق وقت زواج إبراهيم بن محمد السبيع من نورة بنت ناصر العماش، ولم تصلنا معلومة عنه من مصادر الأسرة ولا غيرها. ولكننا نصل لبعض الاستنتاجات من التوارييخ المعروفة لدينا فنرجح أن ذلك الزواج حدث عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) وقد يغير استنتاجنا بعض المعلومات المتداولة عن سن نورة العماش غداة وفاة زوجها.

أغلب الظن أن ميلاد إبراهيم بن محمد السبيع كان سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)، وهذا يعني أنه لم يتزوج مبكرًا، ونستطيع أن نفترض أن سبب تأخير زواجه انشغاله بالأسفار طلباً للرزق.

والمرجح لدينا أن إبراهيم بن محمد السبيع تزوج عام ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م تقريباً، وقررت بزواجه عينا والده ووالدته، وقد أنجب ابنه محمداً عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥م بعد ست سنوات من زواجه، وغالباً بعد وفاة والده. وهذه المدة الطويلة تضعنا أمام افتراضين؛ أولهما أن الزوجة تأخرت في الحمل بسبب طول مدة أسفار الزوج الذي يقال إن المدة التي عاشها مع زوجته إلى وفاته لا تصل إلى عام واحد، وهذا مؤكد لأن مصدر هذه المعلومة ابنه الشيخ محمد..! وثانيهما أن زوجته قد حملت خلال هذه المدة، وكان أطفالها يموتون كعادة أطفال ذلك الزمن بسبب الأوبئة، وقصة انتشار الأوبئة وقتذاك مؤكدة أيضاً؛ لأنها حقيقة تاريخية.. ولهذا نعتقد أن كلا الافتراضين يصحان معًا.

رحلات إبراهيم بن محمد السبيعى تجارته ومناطق أسفاره



أحب إبراهيم السبيعى السفر الذى بدأه مع العقيلات واعتاده حتى عاش حياته كلها مسافراً..!

بدأ إبراهيم بن محمد السبيعى رحلاته مع العقيلات في حياة والده، وقد حرص والده الشيخ محمد أن يصطحب ابنه إبراهيم منذ أواخر سنوات صباه في بعض رحلاته التجارية مع العقيلات إلى بعض مدن الجزيرة العربية وال العراق ومصر والسودان. وكان هدف الأب كعادة العرب قدیماً في تنشئة أبنائهم أن يتعود الابن على مشقة السفر وعلى فراق أمه ووطنه، وأن يرى عالماً آخر غير وطنه، ويتعرف على أطياف من الناس وأنواع مختلفة من المعاملات غير التي يعرفها عن وطنه. وقد أكسبت هذه الرحلات التي صاحب فيها إبراهيم والده خبرة ومهارة وحذقاً، فأحب السفر طلباً للرزق واعتاده حتى عاش حياته كلها مسافراً..!

وبعد وفاة والده اقتصر إبراهيم على أسفاره التجارية في حدود معينة داخل البلاد، فكان يتنقل بين القصيم ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف؛ ببيع هناك تم الـ القصيم والسمن البلدي والبرى، وإذا شاقه حب السفر خارج الحدود يسافر إلى العراق والشام؛ حيث يجد البضائع المتنوعة التي يعود بها

معه ليبيعها في القصيم، ولكنها تظل في كل الأحوال تجارة بسيطة تسد الحاجة وتساعد الحال^(١).

كانت رحلاته التجارية المتكررة بين القصيم ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف يشتري من كل مدينة ما يناسب المدن الأخرى خاصة إنتاج الموسم، كما اشتغل إبراهيم السبياعي في مأكولات الباذلة مثل الجراد والبقل وهكذا^(٢). ويصف ابنه الشيخ عبدالله أن الجراد يُطبخ ويحفف ويؤكل يابسًا مع الرز والجريش والمرقوق، إذ كان في القصيم مثلً يقول: «إذا جاء الجراد كب الدواء، وإذا جاء الفقع احفظ الدواء»؛ لأن الفقع ثقيل على المعدة عسير الهضم، أما الجراد خفيف على المعدة لذذ المأكول ويتغذى على الأشجار. وكانت هذه هي الأنواع التي تؤكل في القصيم^(٣).

في سنة حرب جراب

مولد محمد بن إبراهيم السبياعي ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م

إذا أردنا أن نتحقق تاريخ ميلاد ابنه محمد فيقال إن محمد بن إبراهيم السبياعي ولد في سنة جراب، وهي سنة ١٣٣٣هـ الموافقة لسنة ١٩١٥م^(٤). وجраб اسم مكان معركة وقعت في ٧ ربيع الأول ١٣٣٣هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩١٥م في منطقة جراب شمال الأرطاوية شرق الزلفي، بين قوات الملك عبدالعزيز وقوات سعود بن عبدالعزيز بن رشيد.. والخلاصة من هذا كله أن ميلاد محمد بن إبراهيم السبياعي كان غالباً في شهر ربيع الأول من ذلك العام ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٥م.

(١) من تسجيلات الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبياعي عن نفسه وذكريات حياته.

(٢) التسجيل السابق.

(٣) التسجيل السابق نفسه.

(٤) «رحلة الفقر والغني»، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م، ص ٢٤

ميلاد عبدالله بن إبراهيم السبيعى ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م

أثناء ظروف الاحتقان والتوتر السياسي

بعد تسعه أعوام من ميلاد ابنها محمد، حملت نورة بنت ناصر العماش بولدتها عبدالله، قد يبدو هذا الحمل متأخراً جداً بعد مولد الطفل الأول، ولكن معلومات الأسرة تفيد أن الوالدة نورة العماش حملت بنتاً بعد ابنها محمد، وقبل حملها بابنها عبدالله، ولكنها توفيت طفلة، ولعلها حملت بآخرين بعد محمد، لكنهم ماتوا أطفالاً، فقد عُرف ذلك الزمان بقلة من يعيش من الأطفال.

لهذا لم يعش لها بعد محمد إلا ابنها عبدالله الذي ولد عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤م قبل دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة بعام واحد، وقبل عامين من دخوله المدينة المنورة. وكان إبراهيم بن محمد السبيعى قد أوصى زوجته نورة قبل مغادرته عنيزه في سفره الأخير بأنها إذا أنجبت ذكراً وأن تطلق عليه اسم عمه عبدالله الذي توفي مبكراً. كانت نورة العماش خائفة على ابنها عبدالله، فقد كان وباء الجدري متشاراً في تلك الفترة، وعم كثيراً من نواحي القصيم ومنها عنيزه، ووحصد الموت أرواح عشرات من الناس، خاصة الأطفال، وكان أهل القصيم يطلقون على العام الذي يتشر فيه المرض عام «قل الصحة».

هل عاد إبراهيم ليرى ابنه عبدالله؟!

كانت أول عودة لإبراهيم السبيعى بعد زواجه إلى عنيزه سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)، وذلك بعد خمس سنوات، وكان معه ثلاثة ريال عاد بها من حصيلة سفر خمس سنوات ليرى ابنه محمد لأول مرة، وقد بلغ خمس سنوات من عمره. ثم بقي عدة شهور وسافر عائداً إلى مكة ليقى هناك عدة سنوات أخرى، ويعود في زيارة قصيرة تحمل فيها زوجته بابنها عبدالله. ثم غادر إلى المدينة المنورة في رحلته الأخيرة التي لم يعد بعدها ولم يقدر له رؤية ابنه عبدالله^(١).

(١) من حديث الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعى عن والده، المرجع السابق، ص ٣١

الطريق إلى المدينة المنورة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)



سبق لإبراهيم السبيع التردد على المدينة المنورة لتجارته البسيطة المعتادة بين القصيم ومدن الحجاز كانت تجارة السلاح في تلك الفترة منتشرة، خاصة السلاح الشخصي، فقد كان الأمن قبل العهد السعودي ضعيفاً. ورأى إبراهيم محمد السبيع في سنواته الأخيرة في ذلك استجابة لهوايته الشخصية في اقتناء قطع السلاح، واكتسب من اقتناء السلاح القديم خبرة تنظيفه وتجديده صلاحيته للاستعمال. وكان قد سبق له التردد على المدينة المنورة مرات عدّة لتجارته البسيطة المعتادة بين القصيم ومدن الحجاز. ومثله مثل كثير من المسلمين الذين يعيشون بعيداً عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، كان قلبه يتمنى أن يبقى في إحدى هاتين المدينتين المقدستين، فكثيرٌ من أهل القصيم يعيشون في مكة المكرمة، ومنهم عمه ناصر وغيره من أهل القصيم.

ولعل الله قد جعل له سبباً في العمل بإصلاح السلاح القديم وتنظيفه ليجتذبه إلى مدينة رسول الله ﷺ، ويحسن خاتمه فيها، الخاتمة التي يتمناها كل مسلم يحب لقاء ربه في أحب الأماكن وأعزها وأقربها إلى الجنة..!

قصة لقاء إبراهيم السبيعي بإبراهيم النشمي



نرجح لقاء تم بين السبيعي والنশمي في حدود سنة ١٣٤١ هـ بعد ارتباط النشمي بالملك عبدالعزيز

نعتقد أن لقاءً تم بين إبراهيم بن محمد السبيعي وإبراهيم بن عبد الرحمن النشمي (١٣٩٨ - ١٤١٣ هـ = ١٨٩٦ - ١٩٧٨ م) في المدينة المنورة بناء على معرفة سابقة، وأغلب الظن أن هذا اللقاء تم بعد عمل النشمي مع قوات الملك عبدالعزيز التي حاصرت المدينة المنورة فيما بعد. وتتحدث المصادر التاريخية أن بداية اتصال النشمي بالملك عبدالعزيز كان بعد حادثة منع الحجاج النجديين عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م، وكان الملك عبدالعزيز قد سمع عن النشمي وخبرته ونجاحه في

التجارة بالسلاح، وكان الملك بحاجة إلى هذه الخبرة مثلما هو بحاجة للسلاح. اتصل محمد بن صالح الشلهوب - مسؤول خزانة المالية بالقوات السعودية - بالنشمي، واتفق معه على تزويد قوات الملك عبدالعزيز بالبنادق والذخيرة. ولما رأى الملك عبدالعزيز من النشمي إخلاصاً ونجاحاً في مهماته منحه ثقته، وعقد العزم على الاعتماد عليه في مهام أكبر^(١).

ونرجح أن هذا اللقاء تم بين السبيعي والنشمي في حدود عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٣ م بعد ارتباط النشمي بالملك عبدالعزيز، وكان إبراهيم السبيعي وقتذاك يزاول الترحال بين القصيم ومدن الحجاز ليبع بضاعته البسيطة، ولهذا تتوقع أن النشمي التقى إبراهيم السبيعي بعد أن علم أن السبيعي له خبرة في

(١) نجيب الريحاني، «تاريخ نجد الحديث»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٤١٨

تنظيم وإصلاح السلاح. وقد كان إبراهيم السبيع يكبر النشمي بستة عشر عاماً، ورغم أن النشمي من أهل شقراء إلا أنه عاش منذ صباه وشبابه في عنيزه، ومارس التجارة والأسفار مع العقيلات بين القصيم والمدينة المنورة، وربما رأى في بعض هذه الرحلات إبراهيم السبيع، وعلم عن همته العالية وإخلاصه الشيء الكثير.

إبراهيم السبيع ينضم إلى رجال الملك عبدالعزيز

١٣٤٣ـ١٩٢٥ م

عندما بدأ حصار المدينة المنورة في شعبان ١٣٤٣هـ الموافق مارس ١٩٢٥م كانت علاقة النشمي بالملك عبدالعزيز قد أصبحت مباشرة، فتتحدث المصادر التاريخية أنه في ٢٩ رجب ١٣٤٣هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٢٥م أرسل الملك عبدالعزيز رسالة إلى إبراهيم النشمي يثنى فيها عليه وعلى الأخبار التي يرسلها له، ويوصيه بالكتابة إليه باستمرار وتعريفه له بالوضع العسكري في المدينة المنورة^(١). ثم في ١٨ شوال

١٣٤٣هـ الموافق ١١ مايو ١٩٢٥م أمر الملك عبدالعزيز بإبقاء إبراهيم النشمي مكانه في قيادة القوات المحاصرة للمدينة المنورة، وكان ذلك في نص الوثيقة المؤرخة في ١٨ شوال ١٣٤٣هـ الموافق ١١ مايو ١٩٢٥م^(٢).



أرسل الملك عبدالعزيز رسالة إلى إبراهيم النشمي يثنى فيها عليه وعلى الأخبار التي يرسلها له

(١) وثيقة من دارة الملك عبدالعزيز، برقم ٣٦٥، بتاريخ ٢٠/٩/٩١٣٤٣هـ (١٣ أبريل ١٩٢٥م).

(٢) وثيقة من دارة الملك عبدالعزيز، رقم ٥١٤، في ١٨ شوال ١٣٤٣هـ (١١ مايو ١٩٢٥م).

وقد أشارت هذه الوثيقة إلى أن إبراهيم النشمي أصبح قائداً للحصار⁽¹⁾، وقد استمر حصار المدينة المنورة حوالي عشرة شهور، وانتهي في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ الموافق ٥ ديسمبر ١٩٢٥ م، وملابساته معروفة في كتب التاريخ. وأغلب الظن أن إبراهيم السبيعي عندما بدأ العمل مع إبراهيم النشمي لم يكن يعلم شيئاً عن علاقة النشمي بالملك عبدالعزيز وبالهدف الكبير الذي يعمل من أجله. وأغلب الظن أيضاً أنه بعد توطد العلاقة بين الرجلين اللذين تجمعهما المعرفة القديمة أبلغ النشمي السبيعي بالهدف الكبير، وعرف السبيعي أن النشمي يعمل مع رجال الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة، وأن العمل معه لم يعد عملاً تجاريًّا ولا وظيفة، بل عملاً وطنيًّا وإسلاميًّا قبل ذلك كله وبعده.

وبهذا أصبح إبراهيم السبيعي - رغم بساطته وبعده عن السياسة - من رجال الملك عبدالعزيز، وجنديًّا من جنوده تحت قيادة إبراهيم النشمي الذي كان معظم العاملين والتعاونيين معه من أهل القصيم الذين كانوا يحلمون بالهدف السامي الذي يوحد الحجاز مع نجد في دولة قوية توفر عقيدة التوحيد في القلوب، وتنشر الأمان في ربوع الجزيرة العربية.

إبراهيم السبيعي مرابطًا على أسوار المدينة المنورة

منذ صدرت أوامر الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - بحصار المدينة المنورة في شهر شعبان ١٣٤٣ هـ الموافق مارس ١٩٢٥ م⁽²⁾، ظل

(١) جريدة أم القرى، عدد ١٨، في ٢٢ رمضان ١٣٤٣ هـ (١٥ أبريل ١٩٢٥ م)، صفحة ٢. حيث عمل إبراهيم النشمي على سياسة الحصار المرنة، وقد شجعه الملك عبدالعزيز على ذلك، فبعث إليه برسالة يوصيه فيها بالاستمرار على هذه السياسة، واستخدام الحزم في الحصار في ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٣ هـ (١٨ يونيو ١٩٢٥ م).

(٢) عبدالله بن خميس، «تاريخ اليمامة»، ص ٤٨



ظل إبراهيم السبياعي مرابطًا على أسوار المدينة المنورة في ضاحية العيون بقرب جبل أحد.

إبراهيم بن ناصر السبياعي مرابطًا على أسوار المدينة المنورة في ضاحية العيون بقرب جبل أحد شمال المدينة المنورة مع القوات التابعة لإبراهيم النشمي على مدى عشرة شهور حتى انتهى الحصار في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ الموافق ٥ ديسمبر ١٩٢٥ م ودخول القوة السعودية المدينة المنورة سلماً.

ملابسات وفاة إبراهيم السبياعي

هنا تضطرب الأخبار على طريقة وفاته رحمة الله، فهناك من أفراد أسرته من يقول إنه توفي أثناء الحصار ودفن في البقيع. ولكن السيدة هدى بنت محمد السبياعي تذكر في كتابها عن والدها^(١) أن جدها إبراهيم توفي في شعبان ١٣٤٤ هـ الموافق فبراير ١٩٢٦ م، أي بعد شهرين من دخول قوات الملك عبدالعزيز المدينة المنورة، ولأن الجميع يتفق على أنه دفن في البقيع، فإن وفاته في شعبان في رأينا أقرب للصحة، لأنه لو توفي وهو على أسوار المدينة المنورة مع المحاصرين لما أستطاعوا دفنه في البقيع وهي لا زالت تحت حكم الهاشميين.

والحقيقة أن الرجل لم يكن مسنًا، فقد كان في السابعة والأربعين من العمر. ولكن السؤال الذي يبدر إلى الذهن بعد هذا كله: لماذا بقي في المدينة المنورة شهرين بعد الاستيلاء عليها ولم يعد المسافر إلى أهله المشتاق

(١) «رحلة الفقر والغني»، مرجع سابق، ص ٢٤

إليهم وخاصة مولوده الجديد عبدالله؟! فقد طال انتظاره لمولود بعد ابنه محمد، ولا شك أنه وجد نفسه هذه تكاد تطير شوقاً لعنيزة وللأحبة فيها. أحس بشوق جارف لزوجته الصابرة المحتسبة، وللإلقاء نظرة على طفله المولود عبدالله وضمه إلى صدره، فطالما تمنى على الله أن يرزقه بمولود ذكر يؤنس وحدة أخيه محمد. ولكنه أصيب بمرضٍ لا نعلم كنهه، ولم يستطع العودة إلى الأحبة في عنيزة، فكان ذلك سبباً عدم مبادرته بالسفر بعد دخول المدينة المنورة في الحكم السعودي.

وهكذا رحل المسافر دائمًا إبراهيم السبيعي في عنفوان رجلته، رحل وفي نفسه غصة تؤلمه، وفي قلبه شوق لم ينطفئ لزوجته ولديه، فهو لم يعش مع زوجته إلا تسعه شهور من إحدى عشر عاماً عاشها مسافراً غريباً يضرب في الأرض طلباً للرزق الحلال⁽¹⁾. رحل وفي قلبه أمل كان يتمنى أن يتحقق، وهو أن تقر عيناه برؤية ولديه وأمهما. ولكنَّ عزاءه كان عظيماً، فقد اختاره ربِّه إلى جواره في خير البقاع، ودفن في البقيع.

بر الشقيقين محمد وعبد الله السبيعي بوالدهما

جامع إبراهيم بن محمد السبيعي ومجموعه الخيري

براً بوالدهما أقام الشقيقان محمد وعبد الله السبيعي لوالدهما إبراهيم جاماً ومجماً خيراً يتباهي في مدينة تنحه بجنوب المملكة، وهو من إنجازات مؤسسة محمد وعبد الله السبيعي الخيرية.

(1) من حوار مع ابنه الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي، «رحلة الفقر والغنى»، ص 25



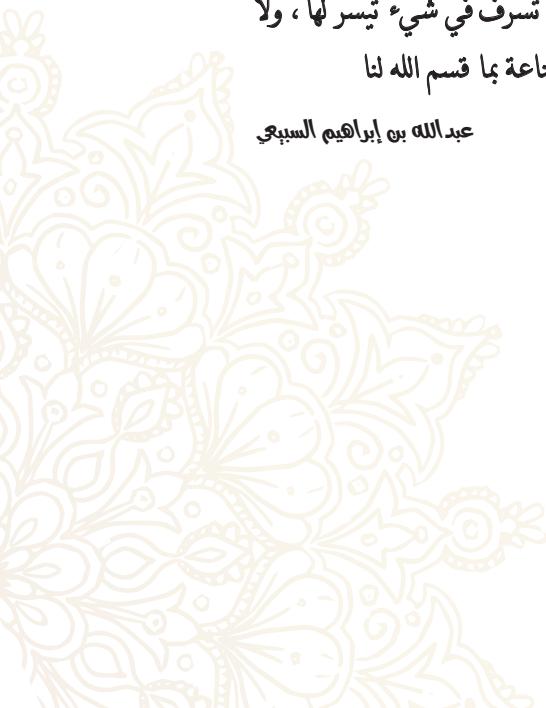
الفصل الرابع



قصة كفاح نورة العمادش وسفر ابنها محمد إلى مكة المكرمة (م ١٣٤٤ - ١٩٢٥ هـ)

تجاوزت والدتي حزنها على رحيل والدي الذي عاش مسافراً ومات غريباً، والتقت لتدبر
أمر معيشتنا، فكانت تشتري لليوم وفي حسابها الغد، لا تصرف في شيءٍ يسر لها، ولا
يدخلها طمع فيما أيدي الآخرين، فزرعت في قووسنا القناعة بما قسم الله لنا

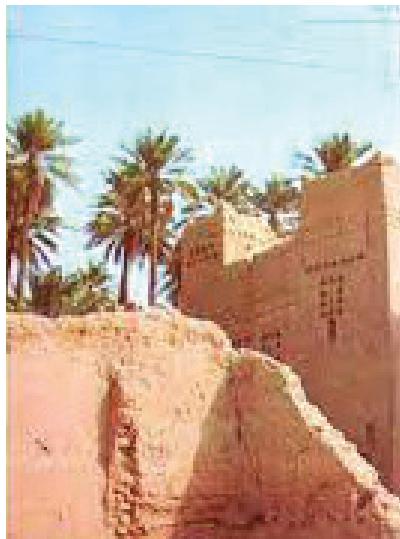
عبد الله بن إبراهيم السبيع





رحل عن نوره بنت ناصر العماش زوجها إبراهيم بن محمد السبيعي عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م بعد دخول قوات الملك عبدالعزيز المدينة المنورة بقليل، وهو في عنفوان رجولته في السابعة والأربعين من عمره، وكانت نوره حين رحيل زوجها في قمة شبابها في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها، وحزنت على زوجها حزناً عميقاً، حزناً ظل مقيماً في قلبها طوال العمر رغم أن هذا الزواج لم يدم طويلاً لكثره أسفار الزوج. تقبلت نوره الصدمة صابرة محتسبة، ولم تلن عزيمتها، ولم تركن إلى الحزن والشكوى والأسى، بل ضمت ولديها إلى جناحها. أما والدة زوجها حصة الوacial التي آثرت العيش معهم لمشاركة في رعاية حفيديها اليتيمين ولم ترد أن تكون عبئاً على أرمالة ابنها، فكانت تبيع بعض الحاجيات أمام البيت لتسكب رزقها بيدها بجانب الأرمالة الشابة التي شمرت عن ساعديها تعمل من أجل رزقها ورزق هؤلاء جميعاً.

الحياة في بيت إبراهيم السبيعي بحارة الضليعة



كانت البيوت في عنيزه كلها من طين
تكاد أن تلتتصق بعضها

كانت البيوت في عنيزه مثل سائر بيوت القصيم، بل في نجد كلها؛ بسيطة، مبنيّة أغلبها من الطين إلا فيما ندر، لأن أحوال الناس من الناحية الاقتصادية متقاربة، ولم تكن توجد الفوارق المعيشية الكبيرة التي طرأة على الناس فيما بعد. وكان البيت الذي تركه إبراهيم بن محمد السبيعي لأسرته بسيطاً جداً ويقع في حارة الضليعة على مقربة من مدرسة الضليعة التي ظهرت فيما بعد.



مدرسة الصليعة التي أنشئت على مقربة من البيت الذي عاشت فيه الأميرة نورة العماش

يصف الشيخ عبدالله في أحد أحاديث ذكرياته بأن هذا البيت الذي عاش فيه صباح يتكون من غرفتين أساسيتين، تسكن إحداهما الجدة حصة الوالصل والدلة إبراهيم السبيعي، والغرفة الثانية تشغله زوجته نورة العماش وطفلها محمد وعبدالله ومساحة صغيرة تستخدم كمخزن للبيت. ويشارك الأميرة نورة العماش في غرفتها إلى جانب ولديها فرش النوم وما جمعته من حطب، حتى أصبح الولدان محمد وعبدالله ينامان في هذه الغرفة - لضيقها وازدحامها - بجوار الحطب..! وما ترويه ذاكرة الشيخ عبدالله عن أيام شفاف العيش في عنيزة أن أمه كانت تحفظ في المخزن بكمية لا بأس بها من الحمص ادخالاً للظروف المعيسية الصعبة، وأبلغت ولديها أن ذلك أمانة عندها حتى لا يأكلان منه، ولكنها أحياناً ترق لهما وتعطيهما منه، بحجة أن صاحبته سمح لها بذلك^(١)!

(١) حديث الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي عن ذكريات الكدح والكفاح، تسجيلات الأسرة وأرشيف مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية.

تجاوز حزنها بالعمل الدؤوب

تجاوزت نورة العماش حزنهَا على رحيل زوجها الذي عاش مسافرًا ومات غريباً، والتفتت لتدبر أمر معيشتها وأولادها، وحرضت لعفة نفسها أن تعمل ما دامت تستطيع العمل، فشمرت عن ساعديها، وكانت امرأة مقتصدة، واشتغلت في بيته بالتطريز، خاصة تطريز الحرير بالزري وخياطة الزينة، فأقبل عليها الناس. وإلى جانب ذلك اشتغلت بخياطة بعض الملابس الرجالية وحياكة الطواقي. وأصبحت نورة معروفة في عنيزة بجودة خياطتها لأنواع الملابس النسائية، فقد أجادت التطريز بالحرير، فكانت تقوم بخياطة ملابس الزوجات والأفراح، وتلك مهنة معروفة بين نساء ذلك الزمن.

ويشهد لها ولداتها محمد وعبد الله بأنها امرأة مدبرة، لم تترك نفسها يوماً بحاجة لشيء لا تجده، فكانت تشتري لليوم وفي حسابها الغد، لا تسرف في شيء تيسر لها، ولا يدخلها طمع فيها أيدي الآخرين، زرعت في نفسها ولديها القناعة بما قسم الله لهم، وكانت تردد: «لا تنظروا فيها أنعم الله به على غيركم؛ لأنكم لا تعلمون ماذا أخذ الله منهم.. احمدوا الله على العافية».⁽¹⁾

درس تربوي في قصة الجنية الذهب

توجد قصة متداولة في أوساط الأسرة عن نورة العماش في أيام ضعفها وفاقتها تدل على تقوتها وورعها وأمانتها، فذات يوم اشتترت سكراراً من التاجر. وعندما وضعت السكر في الشاي سقط جنيه ذهب في كوب الشاي، فأخرجه، وعادت به إلى التاجر لتعيد هذا الجنية إلى صاحب الدكان، وقالت له: لقد

(1) نفسه.

اشترت منك السكر فقط، ولم أشتري هذا الجنيه. فرفض التاجرأخذه، وقال لها: هذا الجنيه ليس لي، بل هو لك. وهذا يدل أيضًا على أمانة التاجر، وناته السليمة الحسنة، فلو أن أحدًا من أهل هذا الزمان مكانه لكان قد استولى على الجنيه، واعتبره حًقا له^(١).

لقد كان شغل الأم نورة العماش الشاغل أن تغرس في نفس طفلها بذور الأمانة والصدق والتسامح، فلن ينس عبدالله تلك القصة التي وقعت خلال طفولته المبكرة، وهذه القصة تستحق أن تكون مضربي مثل للأمانة والتزاهة، بطلتها امرأة فقيرة تسهر على تربية أطفالها الأيتام في ظل ظروف شديدة القسوة.

نورة والزاد الذي لا ينفد..

كانت شخصية نورة بنت ناصر العماش منذ صغرها عميقة الإيمان، قوية الشكيمة، عفيفة، كبيرة النفس، صبوراً، ذات جلد، وقد حملت معها هذه الصفات إلى بيت زوجها إبراهيم السبيعي، فكانت خير معين له بإيمانها وصبرها وقوة شكيمتها، فقد علمها إيمانها الاستعانة بالله وحده في كل شيء، والتوكل عليه والإنابة إليه طوال السنوات التي عاشتها بصدر عظيم.. سنوات لم تنعم فيها بوجود زوجها إلى جانبها إلا لشهر معدودة، فإذا نفذ من يدها كل شيء، استعانت بإيمانها، فقد كان الزاد الوحيد الذي لا ينفد أبداً فتعيش راحة ربما لا ينعم بها كثير من الناس..!

يشهد ولداتها الشيخان محمد وعبدالله أن أمها كانت أول مدرسة انتظم فيها منذ طفولتها، وكانت أعظم مدرسة تلقياً فيها دروساً عملاً بها طوال حياتها.. كانت نورة العماش مدرسة القيم التي تعلم فيها الشيخان محمد وعبدالله دروساً في قيم الإيمان، والاستقامة، والأمانة، والأخلاق، والصبر، والصدق، والإيثار، والاعتماد على النفس بعد التوكل على الله.

(١) حديث مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيعي في منزله بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠٢٠م.

أثرت نورة العماش في حياة أبنائها بشكل كبير، فقد تلقى كل من محمد وعبدالله دروساً عظيمة في مدرسة حياتها، وكانت هذه الدروس هي التي شكلت شخصياتهم فيما بعد.. تربوا على القيم الفاضلة التي غرسها فيهم كفاح أمهم، وكانوا دائمًا يذكرونها باعتزاز وامتنان على ما قدمته لهم.

دعم علي بن ناصر العماش لأخته نورة

لم تعيش نورة بنت ناصر العماش وحيدة دون سند بعد وفاة زوجها، فقد كان أخوها علي بن ناصر العماش أقرب أفراد أسرتها إليها، تعهد أخيه بالزيارة والعطف والعون قدر المستطاع. وعاشت نورة العماش شاكرة لأخيها حرصه ومحبته وفضله، ولكنها لم تعتمد عليه في مصدر رزقها ولديها، لأنها تعرف حق المعرفة ظروف الناس في ذلك الزمان. وقد كان أخوها علي يعمل في جبل بطراف عنيزه في قص الحجر ونحته وتدويره ليصنع منه أواني لشرب الماء في المساجد أو رصها فوق بعضها لبناء أعمدة المساجد، وهو عمل شاق، ولكن فيه كفاح وإبداع وفن تميز به بعض أفراد أسرة العماش. كانت الحياة في ذلك الزمان قاسية كالمهنة التي ييارسها علي بن ناصر العماش، إذ كان الحصول على الرزق شاقاً كالحفر في الصخر والجبل! وقد حفظت ذاكرة الشقيقين محمد وعبدالله لخالهما علي بن ناصر العماش ذكريات وموافق جميلة.

وقفة ناصر السبيعي مع ولدي أخيه ووالدتهما

تعهد ناصر بن محمد السبيعي ولدي أخيه بالسؤال ومدد العون بما يستطيع رغم وجوده بعيداً في مكة المكرمة، وكان يأتي لزيارة والدته حصة الواصل التي تقيم في بيت ابنها إبراهيم مع حفيديها محمد وعبدالله ووالدتها.

كانت همة ناصر السبيعي أكبر من إمكاناته، ونفسه أغنى مما بيده، فهو يملك دكاناً صغيراً محدود الموارد، لكنه كان كريماً، محباً للناس، خدوماً لهم، حريضاً على قضاء حوائج الغرباء من أهل القصيم وغيرهم من يغدون على مكة المكرمة الذين لا حيلة لهم في رزق أو سكن، فوسع بقلبه ونفسه ما لم يسعه بيته وما له،

فلا عجب أن يقف مع ولدي أخيه الشقيق موقفَ ذي المروءة الشهم، ويعاملها بالأبوة الحانية الجميلة.. وظللت في ذاكرة الشيختين محمد وعبدالله لعنهما ناصر السبيعي موافق مشهودة لا تنسى نحو عهدهما الحنون الوفي.

محمد يبدأ رحلة الكفاح الطويل

في مكة المكرمة في ذي الحجة ١٣٤٤ هـ

لم يكن حال ناصر بن محمد السبيعي في مكة المكرمة بأحسن من أحوال عامة الناس في ذلك الزمن، فالذين كانوا يسافرون من القصيم إلى مكة المكرمة لا يطمدون في بحوجة من العيش؛ لأن ذلك غير ممكن، لهذا كانوا يحرضون في الحصول على الكفاف وعيشة العفاف؛ لهذا عاد ناصر بن محمد السبيعي من مكة المكرمة إلى عنزة بالقصيم في شهر شوال ١٣٤٤ هـ الموافق أبريل ١٩٢٦م لسداد دين عليه لرجل من أسرة الشبيلي^(١)، لزيارة والدته ولتفقد أحوال أبناء أخيه الأيتام. ورغبة منه في تخفيف العبء والمسؤولية التي تحملها زوجة أخيه الأرملة الصابرة، اقترح عليها أن يصطحب معه ابنها الأكبر محمد ابن الإحدى عشرة سنة إلى مكة المكرمة. ولكن قلب الأم لم يطأوها، فاعتذر لصغر سنها، ولكن العم الحريص على المصلحة تحدث مع ابن أخيه، وطلب منه إقناع والدته بالسفر إلى مكة المكرمة بعد شهرين مع قافلة الحج.

وبالفعل استطاع محمد إقناع والدته بأهمية سفره مع عمه والكبح في الحياة والاعتماد على نفسه، وهو المبدأ الذي تعلمته منها. سافر الولد محمد إلى مكة المكرمة مع قافلة حج عام ١٣٤٤ هـ (يونيو ١٩٢٦م) ليترك في عنزة والدته وأخاه الصغير عبدالله الذي كان في الثانية من عمره ليتحقق بعده ناصر في مكة المكرمة. وسافر محمد مع عمه إلى مكة المكرمة ليبدأ رحلة من الكفاح الطويل والعمل الشاق بصبر وإيمان. كان الوداع صعباً، خصوصاً على نوره التي رأت

(١) حديث الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي عن ذكريات الكدح والكفاح، تسجيلات أرشيف الأسرة

في محمد السندي المتبقى لها ولأخيه الصغير عبدالله، لكنها كانت تدرك أن هذه الرحلة ستكون درساً كبيراً في حياته.

محمد بين دكان عمه ومدرسة الفلاح

عندما وصل محمد بن إبراهيم السبيسي إلى مكة المكرمة، حرص عمه ناصر السبيسي على تسجيله في مدرسة الفلاح إلى جانب عمله في دكانه ، وهي إحدى أشهر المدارس الخاصة في تلك الفترة، تأسست عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١١ م على يد الحاج محمد علي زينل. كانت المدرسة بمثابة فرصة عظيمة لمحمد لتلقي التعليم في واحدة من أفضل المدارس، وهو ما يعكس حرص عمه على تطويره وتعليمه.

محمد يترك المدرسة ويعمل في البناء

بعد بضعة أشهر من التحاقه بمدرسة الفلاح، أدرك محمد أن الظروف الصعبة التي تعيشها أسرته في عنيزه لا تسمح له بالاستمرار في التعليم. قرر الفتى محمد التخلص من دراسته والانخراط في العمل الشاق لتأمين المال اللازم لإعالة والدته وأخيه. بدأ العمل في مجال البناء، وكان عمله يتطلب جهداً بدنياً كبيراً؛ كان يحمل الأحجار مع العمال في موقع البناء رغم صغر سنه وضعف بنيته مقارنة بالرجال الذين كانوا يعملون معه. ومع كل مشقة تحملها، كان محمد يرسل جزءاً من دخله إلى والدته نورة العماش في عنيزه، ليساعدها في تأمين عيش كريم لها ولأخيه الصغير عبدالله.

محمد والأمنية التي لم تتحقق..

رغم كل الصعوبات التي واجهها في مكة المكرمة، ظل محمد يحمل طموحة داخلياً لتحقيق الأفضل. كان يتطلع إلى الانضمام إلى السلك العسكري، لكنه لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم بسبب صغر سنه. ومع ذلك، لم يدع هذه العقبة

توقفه، بل استمر في العمل والكفاح ليؤمن مستقبلاً أفضل له ولأسرته. وعمل - كما سيرد بالتفصيل - موظفاً في جمارك قرية المسيجيد في الطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة قام خلاها باستقدام أسرته من عنزة.

التحول الكبير في حياة محمد

كان قرار محمد بترك الدراسة والانخراط في سوق العمل قراراً صعباً، لكنه استند إلى القيم التي غرسها فيه والدته نورة. لقد تعلم منها أن الاعتماد على النفس والعمل الجاد هما السبيلان الوحيدان للنجاح في الحياة. وكانت والدته نورة دائمًا تقول له: إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. هذه القيم كانت تشكل ركيزة أساسية في حياة محمد، فقد أصر على مواجهة الصعاب وتحمل المسؤولية منذ سن مبكرة.

لم تكن تجربة محمد في مكة المكرمة مجرد فترة زمنية عابرة في حياته، بل كانت محطة تحول صنعت منه رجلاً قادرًا على مواجهة الحياة بقوه وثبات. لقد تعلم من هذه التجربة أن النجاح يتطلب الصبر والكفاح، وأن الحياة لا ترحم الضعفاء، لكنها تكافئ من يعمل بجد ويصبر. ورغم صغر سنها، كانت رحلته في مكة المكرمة بداية لمرحلة جديدة في حياته، مرحلة من النضج المبكر والمسؤولية والنجاح شاركه فيها فيما بعد أخوه عبدالله؛ لينطلقوا معاً بقلب وجهد رجل واحد ليصنعا المستقبل الذي كان يتضرر هماً.

الفصل الخامس

عبدالله في كتابة عنزة
بعد سفر أخيه محمد
(١٣٤٤ = ١٩٢٦)

كان قلب أمي معلق بالمساجد ، وقد ارتبط مسجد الناي الذي يقع تحت جبل في عنزة في ذاكرة طفولي بعواء الكلاب حين تأخذني أمي معها إلى المسجد ، فأمسك بأطراف عباءتها ، لأنّها من المخوف ، وأظل خائفًا حتى نبعد عن الكلاب .

عبدالله بن إبراهيم السبيبي



درس من صلاة جوف الليل



كان عبدالله يرى والدته تقف وتسجد طويلاً في جوف الليل فيتبعها بقلب خاشع.

لم يكن من السهل على الأم سفر ابنها الأكبر محمد إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤هـ، وهو لا يزال صغيراً في سن الثانية عشرة، وكان لا بد أن تشغل نفسها في أكثر من اتجاه، فركزت معظم اهتمامها بين رعاية الابن الأصغر عبدالله، وبين عملها في التطريز والخياطة. وبعدما أدخلت الأم ابنها عبدالله الكتاب كانت تقوم بتوصيله ثم تعود مسرعة لاستئناف سعيها لكسب الرزق من العمل في تطريز أثواب النساء وحياكة الملابس وعمل الطواقي وغيرها من الأعمال البسيطة التي اضطررت أن تجدها للإنفاق على نفسها وطفلها.

ورغم أن الأرملة نورة كانت في ريعان شبابها؛ إلا أنها رفضت فكرة الزواج لتترفغ لرعاية ابنيها وقد حقق الله لها تطلعاتها فيهما، ورأى بعينيه ما وصل إليه من عز ونجاح وتوفيق بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل تربيتها لهما.

روى الشيخ عبدالله فيما بعد لأبنائه وأحفاده أحاديث شيقة عن تربية والدته له، وعن صبرها وأمانتها، وإيمانها الذي رأه منها منذ فتح عينيه على الحياة. يذكر من طفولته الأولى أن والدته كانت تطيل في قيام الليل، وكان وقتها طفلاً صغيراً لا يعي ما تفعل والدته، كان يراها تقف طويلاً في جوف الليل، وتسجد طويلاً،

وبعض الأحيان يسمع صوت نشيجها، ويتابعها بقلب خاشع، وكان ك طفل لا يفقه شيئاً مما تفعل أمه، ويطول انتظاره، فيتضايق وييكي، فإذا بكى احتضنته وضمته إليها بحنان حتى يهدأ^(١).

وهكذا تعلق الطفل عبدالله بوالدته في صغره، بعد فراق شقيقه محمد الذي سافر للعمل في تجارة عممه في مكة المكرمة، فأصبحت والدته هي الأم والأب والأخ والصديق، وكل شيء في حياته، فكان كلما اشتكي ألمًا ووجعًا وذهب إليها ورأت علامات الوجع بادية على وجهه تضمه إلى صدرها، فيزول عنه كل ألم، وقد تكرر ذلك مرات عديدة، حتى بعد أن كبر وتجاوز مراحل الصبا، بقي لضمتها وحنانها مفعول السحر؛ تذوب معها وتختفي كثير من الأوجاع والهموم^(٢).

ذكريات مسجد الناي بالصويطي في عنيزة ١٣٤٥ هـ

كانت والدته
تصحبه معها
إلى مسجد الناي
بالصويطي في
حارة القاع



وما إن بلغ عبدالله الرابعة من عمره سنة حتى بدأت أمه تصطحبه معها إلى المسجد؛ ليتعود على طريق المسجد ولا يثقل عليه إذا اشتد عوده. يتذكر أن أول ما اصطحبته معها كان في رمضان المبارك، خرجت به وقت أذان العشاء، وتجاوزت المسجد المباشر ليتهם في حارة الضليعة،

(١) تسجيلات بصوته، مادة جمعتها وأعدتها مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية.

(٢) نفسه.

وعبرت به زقاقين أو أكثر إلى جوار تلة حتى وصلت إلى مسجد آخر. عرف عبدالله فيما بعد أن تلاوة إمام هذا المسجد أفضل، وهو مسجد الناي بالصويطي^(١) في حارة القاع^(٢)، وهي المكان الفاصل بين ديرة الجناح وروضة عنيزة قديماً.

وجد الصبي نفسه محشوراً بين النساء في صف صلاة العشاء ثم التراويح. كان يتعب أحياناً من الوقوف في مجلس. وفي بعض الليالي عندما تراه قد تعب كثيراً تغادر المسجد قبل انتهاء صلاة التراويح. أدرك عبدالله عندما كبر معنى هذا السلوك التربوي من أمه، أدرك أنها كانت تريد أن تعوده على الصلاة في المسجد دون إكراه؛ لهذا لم تكن تجبره على البقاء إذا تعب أو لم يستره منه شيئاً لكي لا يرتبط المسجد في ذاكرته بذكري مؤلمة. ثم تعود بابنها عبدالله بعد الصلاة إلى البيت في حارة الضليعة عنيزة، حيث يمرون بجوار محل اسمه الضلع^(٣).

المشهد الذي يتكرر كل ليلة

ارتبط مسجد الناي الذي يقع تحت جبل في ذاكرة الصبي عبدالله بقصة عواء الكلاب وهو في طريقه إليه مع أمها، وكيف كان يظل طوال الطريق ممسكاً بأطراف عباءتها، لأنها من الخوف، ويظل خائفاً حتى بعد أن يتبعدا عن الكلاب. وظلت الأم في حيرة من تكرار هذا المشهد كل ليلة في الطريق إلى المسجد، تخاف أن يؤثر ذلك على نفسية الطفل الذي تريد أن تغرس في قلبه حب التردد على المساجد. فكان أن أخبرت صديقةً من جيرانها اسمها أم مسعود

(١) آل صويط قبيلة نجدية كانت مساكنهم في حي الصويطي أحد أحياط مدينة عنيزة، وهم مشايخ كلمتهم مسموعة.

(٢) حارة القاع: إحدى حارات عنيزة، والاسم محرف عن اسمه الأصلي (القاع).

(٣) من حديث للشيخ عبدالله رواه لي ابنه صالح أثناء لقائي به في مكتبه بجدة ٢٨/٣/٢٠٢٣ م.



رغم شظف العيش كانت نورة العماش ترى أن حالها أفضل من غيرها، فكانت تؤثر جيرانها على نفسها ببعض ما هي بحاجة إليه.

بقصتها، فنصحتها بتلاوة الآية القرآنية الكريمة عند مرورها بجوار الكلاب:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُومِ وَقَدْ حَانَبَ مِنْ حَمَّ ظُلْمًا ﴾ ١١٣ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْبَمًا ﴾ ١١٤ [طه: ١١١ - ١١٢]. وفي هذه المرحلة المبكرة من صباح تعلم عبدالله حب سماع الأذان، وتلبية النداء فور سماعه، فكان يبرع إلى المسجد قبل الإقامة، وظل على هذه العادة طوال حياته، لا تفوته صلاة جماعة في المسجد إلا فيما ندر... !

ومن بين أعظم الدروس التي تعلّمتها من والدته في صباح وعمل بها طوال حياتها، التسامح مع الناس، والدفع

باليتي هي أحسن مع الميء، فيذكر أن امرأة أغفلت القول لوالدته، وأسمعتها كلاماً جارحاً، فما كان من نورة العماش إلا أن كظمت غيظها، وقالت للمرأة: أحسن الله إليك، عفا الله عننا وعنك. ولم تقاطع تلك المرأة، ولم تبتعد عنها، بل ظلت تودها وتحسن إليها لأن شيئاً لم يكن، حتى خجلت تلك المرأة من إحسانها، وجاءت إليها متذردة.

ولا يذكر عبدالله أنه سمع من أمه كلمة نابية في الغير سواء في حضورهم أو غيابهم، ولم يسمع منها قط ما يسمعه الأطفال من أمهاهاتهم عندما يغضبن لخطأ ارتكبه ابنها. كان كلامها عن أخطاء الآخرين: عفا الله عنهم. وإذا سمعت امرأة تتحدث في غيبة امرأة أخرى أعرضت بلطف، وقالت: الله يستر علينا وعليهم،

ثم تغير موضوع الكلام. ولا يذكر أنه رآها متذمرة من سوء الحال وشظف العيش، بل كانت معظم وقتها شاكرة حامدة، فكانت تردد على مسمع من ابنها: نحن في خير ونعمه وفضل من الله. وكان أكثر ما سمعها تردد: العافية واللهم اللهم إلَّا حَمْدُكَ لَا يَحْمِدُونَكَ إِلَّا بِأَنْتَ أَنْتَ أَكْبَرُ
الحال من أعظم النعم يا ولدي.

نورة تبدأ الخطوة وترسم القدوة



لا يذكر الصبي عبدالله أنه رأى أمه متذمرة من شظف العيش، بل كانت شاكرة حامدة.

تعلم الصبي عبدالله أول دروس الإيثار عندما رأى أمه تؤثره على نفسها، وتتظاهر بالشبع لتعطيه من طعامها عندما تشعر أنه لا يزال بحاجة للمزيد. ورغم شظف العيش وصعوبته إلا أن نورة العماش كانت ترى أن حالها أفضل من غيرها، فكان يراها تؤثر بعض جيرانها ببعض ما هم بحاجة إليه، وكان يراها تتصدق على بعض الفقراء والمساكين وهي ليست بأحسن حالاً منهم. وقد أدرك فيما بعد أن أمه كانت تبدأ الخطوة وترسم القدوة؛ لكي تغرس في نفسه قيمة.. كالصدقة، والعطف على المساكين، والإيثار على النفس.. وهي قيم ترسّبت في نفسه منذ باكر صباحاً، وكبرت معه، وعاشه بها طوال حياته.

ورغم كل ذلك الالتزام بالقيم الذي أظهرته نورة العماش مع ابنها عبدالله لم تكن متشددة، ولم تكن مُلزمة له بما لا يطيق في سن الصغيرة تلك، بل ظلت تتدرج معه وفق ما تقتضيه مراحله العمرية بفطرتها السليمة دون أن تتعلم ذلك من كتب التربية وعلم الاجتماع. وهو يشهد لأمه أنها كانت تترك له مساحات من الوقت للخروج إلى الشارع والاستمتاع باللعب مع أقرانه، وكان يفعل ذلك، ولكنه ما إن يسمع الأذان حتى يترك ما هو فيه وينصرف إلى المسجد.

وقد ظل عبدالله السبيعي يذكر أمه بالفضل الأول بعد الله في تعليمه – قبل دخوله المدرسة – القيم التي شب وشاب عليها، فكانت له بمثابة الأم والأب معًا، فإلى جانب غرس القيم في نفسه، كانت تغدق عليه بحنانها الفياض، مما جعله لا يستغني عن حنان أمه حتى بعدها كبر وأصبح رجلاً، فكان يخاف إليها كلما شق عليه شيء، فيجد في حضنها مستراحة وراحة .

نورة تبتكر وجبة لذيدة لولدها عبدالله

كانت عزة النفس والكرامة أبرز صفات الأم نورة العماش، وهذا ما دفعها إلى البحث عن عمل لكسب الرزق الحلال والاجتهداد، كي لا تمد يدها طلبًا للحاجة، وحرست كل الحرص على أن تغرس هذه الصفات الحسنة في نفس طفلها عبدالله. كان طعام الناس في ذلك الوقت يقوم على التمر والبر والشعير كمادة أساسية للوجبات، إضافة إلى ما تنتجه المزارع المحلية بكثرة مثل العنب والتين، إضافة إلى الخربز والجرواة والحبوب. وقد ابتكرت نورة العماش وجبة غذائية عجيبة؛ عبارة عن خبز (برى) محسو بالعنب، وهذه كانت إحدى حيلها للتغلب على الفقر وقسوة الحياة، وتشاء الظروف أن تحول هذه الوجبة المبتكرة إلى أحب الوجبات لنفس الطفل عبدالله حتى بعد أن تقدم به السن وتغيرت أحواله من الفقر إلى الثراء...!

ذكريات الجراد اللذيدة

كان الجراد وجبة لذيدة يحتفل بموسمه أهل القصيم في ذلك الوقت، ويصف الشيخ عبدالله في أحاديث ذكرياته عن صباح أنه إذا هطلت الأمطار بدأ الجراد يتکاثر في أماكن معينة، وينخرج في عنيزة رجل يجوب الشوارع يصيح: يا جرادوه.. يا جرادوه. وبهذا النداء يدعو الناس للانطلاق لصيد الجراد، ويحدد لهم أماكن وجوده، فيخرج الناس بعد الفجر يحملون أكياسهم، ومن لا يحمل كيساً يملأ ثوبه بالجراد.

كان الناس يخشون الجراد في الأكياس مثل التمر، ويبقونه في السوق، فكان الصبي عبدالله حينما يرى الناس يخرجون ومعهم أولادهم، يطلب من أمه أن تعطيه كيساً أو زنبيلًا ليخرج معهم، ولكنها كانت تخاف عليه فتمنعه.

ولما كانت وجبة الجراد لا يخلو منها بيت، كان بعض الجيران في عنيزة يهدونها منه، وأحياناً تخرج جدته حصة إلى الباعة الذين يتجلبون به في الشوارع وتشتري منهم، وتتفنن الوالدة نورة في طبخه، وهو ما ظل الشيخ عبدالله يحتفظ به ضمن أغلى ذكريات الطفولة والصبا في عنيزة⁽¹⁾.

الصبي عبدالله والألعاب للأطفال في زمانه

لم يلعب الصبي عبدالله كثيراً في طفولته، ولم يعرف من ألعاب أطفال زمانه إلا القليل، وبعد سفر أخيه محمد إلى مكة المكرمة أصبحت أمه تخاف عليه من الخروج وحيداً للشارع، فكان بعض الأطفال ينادونه للخروج واللعب معهم في الحارة فترفض، وإذا رأت أنه يريد الخروج من نظرات عينيه، أشفقت عليه، ودعت أحد الصبيان من الشارع للعب معه في البيت، وكانت تغرى هؤلاء الصبيان بالحلوى لكي يلعبوا مع عبدالله في البيت.

(1) الحديث السابق.

وفي حالات نادرة سمحت له بالخروج للعب في الشارع أمام باب البيت من شدة خوفها عليه، وهذا بعد أن جاوز السادسة من عمره، وتظل تراقبه من حين لآخر. وقد تضطر في بعض الأحيان لشراء بعض الألعاب التي تناسب سنه لكي تضمن وجوده في البيت، ولا عجب في ذلك فهى لم تحصل هذه الأم من الدنيا إلا على هذين الولدين محمد وعبدالله⁽¹⁾. ويذكر الشيخ عبدالله أنه بعد أن كبر قليلاً كان يخرج إلى الشارع للعب مع الصبيان، فإذا دب نزاع خرجت أمه إلى الشارع وأدخلته البيت⁽²⁾.

من كتاب محمد تامر إلى كتاب ضعيف الله



كان كتاب الشيخ ضعيف الله مجاوراً لمسجد أم حمار الشهير في عنيزه حيث استقامت أحوال الطفل عبدالله في هذا الكتاب.

في عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م، أدخلت الأم نورة العماش ابنها عبدالله وهو في حدود الخامسة من عمره في كتاب لا يبعد كثيراً عن بيته لرجل

(١) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية.

(٢) نفسه.

يُدعى الشيخ محمد تامر^(١)، ولكنها اكتشفت بعد أسبوع أن الطفل يعود إلى البيت مثلما خرج منه دونفائدة قط، وكان الأطفال هناك يقضون معظم أوقاتهم في اللعب.

رأت الأم نورة العمامش أن تذهب بابنها اليتيم عبدالله إلى كتاب آخر معروف، وهو كتاب الشيخ عبدالعزيز محمد الدامغ والملقب بـ«الشيخ ضعيف الله» - وهو أستاذ أجيال من أبناء عنيزه - وكان هذا الكتاب مجاوراً لمسجد أم حمار الشهير في عنيزه^(٢)، وكان أشبه بالمدرسة؛ فاستقامت أحوال الطفل عبدالله في هذا الكتاب، حيث أحب الذهاب إليه لما كان من أسلوب تربوي ناجح يتبعه الشيخ ضعيف الله مع الأطفال التلاميذ.

كانت الأم تتضرر بشوق عودة فلذة كبدها الطفل عبدالله كل يوم من الكتاب ليقرأ على مسامعها ما حفظه من آيات الذكر الحكيم، فقد اعتادت أن تفعل الشيء نفسه مع ابنها الأكبر محمد الذي درس وقرأ القرآن الكريم في كتاب عنيزه نفسه، وعلى أيدي الشيخ ضعيف الله نفسه، فقد كان يغمرها الشعور بالبهجة والسرور بعد أن تلاحظ أن عبدالله يتقدم بخطى ثابتة في حفظ بعض قصار سور، حتى إن الشيخ ضعيف الله كان يمتدحه من حين إلى آخر؛ تشجيعاً له علىبذل المزيد من الجهد، فكانت الأم تبήج دائمًا مثل هذه الأخبار السارة، وكان الطفل عبدالله يلمس ابتسامتها وانفراح أسريرها كلما حفظ وجود وأضاف سورةً جديدة لذاكرته المبكرة.

(١) لم نعثر على معلومات تفيد عن الشيخ محمد تامر سوى ما ذكره الشيخ عبدالله في أحاديثه عن الكتاتيب التي درس بها في عنيزه.

(٢) مسجد أم حمار من أقدم مساجد عنيزه، بُني في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (١١٠٠ هـ)، وجدهه الأخوان محمد وعبدالله السبيعي في أول بناء مسلح له، وقد تم تغيير اسمه وأصبح يسمى مسجد خزيمة بن ثابت.

ظل في ذاكرة الطفل عبدالله تفاصيل أيام الدراسة في كتاب الشيخ ضعيف الله، فقد كانت الدراسة في هذا الكتاب تبدأ بعد ارتفاع شمس الصيف الحارقة، فيجلس الطلاب في ظل منارة مسجد أم حمار، مسكين بأيديهم الصغيرة أدوات الدراسة التقليدية؛ وهي لوح خشبي يكتب عليه درس القرآن، ثم يمحى لكتابه درس جديد.

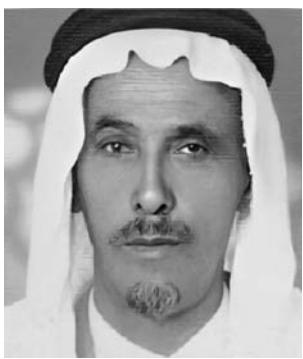
أما في أيام الشتاء، ومع اشتداد البرد، فكان الطلاب يدرسون في غرفة ملحقة بالمسجد، وقد كانت المسافة بين الكتاب وبين بيته ليست قرية، فكانت الوالدة نورة العمامش تذهب بنفسها مع ابنها وتوصله إلى الكتاب كل يوم؛ خشية عليه وحناًناً به وهو في تلك السن الصغيرة.

تشهور في «مدرسة ابن صالح» الرائدة

(١٩٣٠ - ١٩٣٢ م = ١٣٥١ - ١٣٥٣ هـ)

لم نعرف للمدرسة التي أنشأها ابن عنيزة الرائد الوجيه الشيخ صالح بن ناصر بن صالح^(١) اسمًا سوى أنها «مدرسة ابن صالح»، ويعتبرها أبناء الجيل الذين درسوا فيها أول مدرسة نموذجية أهلية نظامية في عنيزة، لأنها أول مدرسة تقوم على نظام حديث في التعليم تجاوز مرحلة الكتاتيب إلى تنويع المواد التي يدرسها التلميذ في المرحلة الابتدائية. وقد تخرج في هذه المدرسة

(١) صالح بن ناصر بن صالح، من مواليد عنيزة (١٣٢٢ - ١٤٠٠ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٨٠ م)، درس في كتاتيبها، ثم أتيح له أن يسافر إلى الزبير بالعراق، وكانت بها مدارس حديثة تعلم النساء على طريقة التعليم الحديث. دخل صالح «مدرسة النجاة الابتدائية»، وأعجب بمنهج التعليم فيها بعد أن وجده يقوم على أسس تربوية صحيحة. وأعجب بشخصية التربوي الشيخ محمد أمين الشنقيطي مؤسس المدرسة الذي كان يدير المدرسة ويدرس فيها. وفي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) عاد الشيخ صالح إلى عنيزة يحمل حلمه الكبير بإنشاء مدرسة حديثة في عنيزة، تكون فتحاً جديداً للتعليم الحديث، وفي ذهنه نموذج «مدرسة النجاة الابتدائية» التي درس بها في الزبير بالعراق. ولم يتطرق طويلاً، فما كاد ينقضي عام واحد على عودته من العراق حتى افتتح مدرسته سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م).



الشيخ صالح بن ناصر بن صالح رائد أول
مدرسة نموذجية في القصيم.

الكثير من أبناء عنيزة الذين تبّوؤا مناصب كبيرة في الدولة في عهدي الملك عبدالعزيز والملك سعود وربما بعدهما. لم يرد ذكر هذه المدرسة فيها كتب عن حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيسي، ربما لأنه لم يكرر الحديث عنها لعوامل السن والنسیان، لكننا وجدنا أنه ذكرها^(١) حين أثني على صاحبها وعلى التعليم فيها، وذكر أن أساس منهجها جاء من التعليم في العراق.

أصبحت مدرسة ابن صالح أول مدرسة

نموذجية في القصيم تسلك الأسلوب الحديث في التدريس والطرق التربوية. ولكن ابن صالح صُدم حين لم يُقبل أحدٌ على مدرسته إلا تلميذاً واحداً فقط، فلم يأس، بل قام بالتدريس لهذا التلميذ الوحيد لأن المدرسة فُتحت خصيصاً له حتى انسخ العام الدراسي الأول كله. وعندئذ انتشر خبر أهمية هذه المدرسة، وشجع الوعاظ من أبناء عنيزة الناس على تسجيل أولادهم فيها، فأقبلوا عليها حتى وصل عدد التلاميذ من تلميذ واحد في العام الأول إلى ٩٠ تلميذاً في العام الثاني.

ويذكر الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيسي أن والدته سمعت عن مدرسة ابن صالح من جيرانها، فأعجبت بما سمعت، لكنها لم تكن ترى أن تغامر بعد الذي حدث مع كتاب الشيخ محمد تامر، وفضلت أن يستمر ابنها عبدالله في كتاب الشيخ ضعيف الله. وبعد ما ذاع صيت مدرسة ابن صالح بعد افتتاحها بستين، وكثير تلاميذها، قررت نور العمامش إرسال ابنها عبدالله إليها، فبدأ الدراسة فيها متاخرًا سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م).

(١) معلومات أرشيف مؤسسة عبدالله السبيسي الخيرية.

وصف التشيخ عبدالله لمدرسة ابن صالح

يصف الشيخ عبدالله المدرسة عندما انتظم بها أنها تتالف من عدد من الفصول والمراحل الدراسية؛ المرحلة الأولى للمبتدئين، وهي مرحلة تعلم الحروف والقراءة والكتابة والقرآن. والمرحلة الثانية للذين تعلموا القراءة والكتابة فيبدوون في دراسة مواد أخرى مثل العلوم والحساب. ثم المرحلة الثالثة وهي الأكثر تقدماً؛ حيث يقضي التلميذ يوماً دراسيّاً كاملاً يبدأ منذ طلوع الشمس، حيث يصطفون في طابور منظم، ثم يقوم الشيخ ابن صالح مع التلاميذ بالركض حول المدرسة، ثم يبدأ بالتمارين السويدية، ثم بالأناشيد، ومنها هذا النشيد:

من أمرنا رشدنا	يا رب هيئ لنا
العظيمى لساندنا	وأجعل معاونتك
تدبير أنفسنا	ولا تكلنا إلى
إصلاح ما فسدا	فالعبد يعجز عن

ويقول الشيخ عبدالله إنه شأن كل شيء جديد، لم تلق التمارينات الرياضية وخروج الشيخ ابن صالح بالركض مع التلاميذ قبولاً في عنيزة، ويأسف أنه لم يلتحق بهذه المدرسة إلا متاخرًا جدًا، ولعدة شهور فقط، ولم يكمل فيها عاماً لظروف سفرهم إلى المسجد، وهذا فإن الفائدة التعليق لها لم تكن كبيرة، ولكنه استفاد من حيث الإدراك؛ فقد عرف أشياء كثيرة كانت غائبة عنه، ولكنه لم يتحدث عن هذه الأمور التي عرفها أو تعلمها⁽¹⁾.

(1) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله السبعبي الخيرية.

الفصل السادس

عامان في المسجد

(١٣٥١ - ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٢ - ١٩٣٤ م)

بدأ «أخوي محمد» يلمني في المسجد القراءة والكتابة كأني لم أدرسها من قبل؛ يلمني الحروف والكسرة والمد والسكون والتنون، فكان يفتح لي صفحة القرآن الكريم. ويقول لي: اقرأ، وظل يصحح لي أخطائي بصبر عجيب حتى تستقيم لسانِي بالنطق.

عبد الله بن إبراهيم السبعي





«فزعه» إبراهيم بن عثمان الفريج

لـ محمد بن إبراهيم السبيعى فـي مكة ١٣٤٩ هـ

لاحت الفرصة للفتى محمد بن إبراهيم السبيعى عندما تحدث عمه ناصر السبيعى مع الوجيه الشـيخ إبراهيم بن عثمان الفريج ابن عنيزة في إيجاد عمل أفضل لابن أخيه محمد. كان ذلك في غضون شهر حرمـ عام ١٣٤٩ هـ (يونيو ١٩٣٠ م) حين أعلنت إمارة مكة المكرمة من خلال وزارة المالية عن وظيفة «مفتـش طريق» لتفتيش الجـمارك وتحـصيل رسومـها في قـرية المسـيجـيد الواقـعة بين المـديـنة المنـورـة ومـكـة المـكرـمة، وـكان ابنـ مـسـندـ هوـ الشـخـصـ المـكـلـفـ بالـبـحـثـ عـنـ سـبـعـةـ أـشـخـاصـ لـلـعـملـ فيـ هـذـهـ الـوـظـيفـةـ، فـنـصـحـ الشـخـصـ المـكـلـفـ بالـبـحـثـ عـنـ سـبـعـةـ أـشـخـاصـ لـلـعـملـ التـقـدـمـ مـعـ الـمـتـقـدـمـينـ، وـتـمـ قـبـولـهـ فـيـ الـوـظـيفـةـ بـرـاتـبـ ٣٠ رـيـالـاـ فـيـ الشـهـرـ.

سفر محمد بن إبراهيم السبيعى

وصديقه سليمان العوهلي إلى المسـيجـيد

(١٣٤٩ - ١٩٣٢ هـ = ١٣٥١ - ١٩٣٣ م)

تقع المسـيجـيدـ علىـ الطـرـيقـ السـلـطـانـيـ لـمـكـةـ المـكـرـمةـ، وـهـوـ طـرـيقـ تمـ تـمـهـيـدـهـ فـيـ العـهـدـ العـثـمـانـيـ، جـنـوبـ غـربـ المـديـنـةـ المنـورـةـ، وـتـيـعـدـ عـنـهـاـ حـوـاليـ ٨٠ـ كـيـلـوـمـترـاـ، وـهـيـ مـنـ أـقـدـمـ القرـىـ عـلـىـ طـرـيقـ مـكـةـ الـقـدـيمـ، وـكـانـتـ تـعـرـفـ قـدـيـماـ بـ«ـالـنـصـرـفـ»ـ، وـلـهـاـ أـسـمـاءـ كـثـيرـةـ مـنـهـاـ «ـمـرـبـطـ الغـزالـ»ـ، حـيـثـ مـرـبـطـ الرـسـولـ الـكـرـيمـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـقـيـلـ إـنـهـاـ نـسـبـتـ إـلـىـ مـسـجـدـ صـغـيرـ فـيـ طـرـفـ الـبـلـدـةـ مـنـ الشـمـالـ فـيـ مـصـبـ شـعـبـ مـعـرـوفـ هـنـاكـ.



سافر محمد إلى المسجدية ومعه صديقه سليمان العوهلي الذي اختير لوظيفة مائة هناك

وتوجد في المسجدية أول مدرسة أسست في وادي الصحراء وهي «مدرسة الصحراء الابتدائية»، كما تعتبر من أوائل القرى التي أُنشئ بها مركز للبرقيات في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، كما اهتمت الحكومة السعودية بها، حيث أنشأت بها بعض الإدارات الحكومية لكونها منطقة جمارك عبر الحجاج.

سافر محمد إلى المسجدية ومعه صديقه سليمان العوهلي الذي اختير أيضًا لوظيفة مائة هناك، وأبدى نباهة جعلت رؤساؤه يرقونه، حيث تمت ترقيته إلى وظيفة «كاتب». شق محمد بن إبراهيم السبيعي طريقه بالإخلاص والنجاح ليستقر في وظيفة «مفتش طريق»، وأصبح يستلزم مرتبًا محترماً بمقاييس ذلك الزمان، انتعشت به حياة والدته وأخيه وجده حصة الواصل في عنيزه.

وفي جمادى الآخرة سنة ١٣٥١هـ (أكتوبر ١٩٣٢م)، بعد عامين في المسجدية، فكر محمد بن إبراهيم السبيعي في استقدام والدته وجده حصة الواصل وأخيه عبد الله ما دامت الإمكانيات المادية متاحة.. وتبقى الطريق إلى المسجدية والعيش فيها قصة أخرى طويلة.

رَحِيلُ نُورَة وَابنَهَا عَبْدَاللَّه إِلَى الْمُسِيْجِيد



صعدت نورة وطفلها عبدالله وجَدُّه حصة الواصل إلى سيارة لوري المتوجهة إلى المدينة المنورة

لم تفكِّر الأرملة نورة العماش طويلاً في فكرة استدعاء ابنها الأكبر محمد لها بعد أن أصابها القلق على مصيره في العمل الجديد، بل قررت الرحيل من عنيزه إلى المسجد بصحبة ابنها الأصغر عبدالله وأم زوجها حصة الواصل التي كانت تعيش معها في عنيزه.

في شهر رجب سنة ١٣٥١ هـ الموافق نوفمبر ١٩٣٢ م، في سيارة لوري لنقل السلع والبضائع، حيث كان هذا النوع من سيارات الشحن وسيلة نقل المسافرين الوحيدة في ذلك الوقت، صعدت الأرملة نورة وطفلها عبدالله وجَدُّه، ثم انطلقت بهم السيارة من عنيزه متوجهة إلى المدينة المنورة في طريقهم إلى ابنها محمد في قرية المسجد.

فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ فِي ضِيَافَةِ عَلَى بْنِ عُثْمَانَ الْفَرِيْح

بعد رحلة شاقة على طريق وعرة استغرقت أكثر من ستة أيام كاملة كانت مليئة بالتعب والمغامرة، ووصلت بهم السيارة إلى المدينة المنورة.. وهناك استضافهم في بيته الوجيه الشيخ علي بن عثمان الفريح من وجهاء عنيزه في المدينة المنورة للراحة، وبعدها استكملوا رحلتهم إلى المسجد. وعندما علم الفتى محمد من



وصلت بهم السيارة إلى المدينة المنورة.. فهُرعت نورة وابنها عبدالله شوّفًا للسلام على النبي في المسجد النبوى

الشيخ علي الفريح بوصول والدته وجدته وأخيه إلى المدينة المنورة استعار جملًا من صديقه محمد الأحمدى، وسرى به وحيدًا بالليل إلى المدينة المنورة^(١).

لقاء الأحبة في المسجد

تشهر رجب ١٣٥١ هـ

خيمت مشاعر الحنين والشوق على لقاء الفتى محمد بوالدته وجدته وشقيقه الأصغر عبدالله الذي كان في التاسعة من عمره. وفي رحلة أقل

مشقة من ساحتها واصل أفراد الأسرة مسيرهم من المدينة المنورة إلى المسجد حتى وصلوا إلى منزل الابن محمد في رجب ١٣٥١ هـ الموافق نوفمبر ١٩٣٢ م، وهو بيت من الطين مكون من غرفتين ومطبخ ودوره مياه. وفي هذا البيت خصص محمد غرفة له ولشقيقه عبدالله، ثم الغرفة الأخرى كانت لوالدة نوره العماش والجلدة حصة الواصل.. وكانت الحياة في المسجد غريبة على الأم نوره العماش، فلم يسبق لها الاعتراض عن عنizah التي ولدت وتربت فيها وتأقلمت على ظروفها وتعايشت مع أهلها، لكن سرعان ما بدأت تندمج تدريجيًّا مع حياتها الجديدة.

كانت الأم تحتجد مع الجدة في تدبير أمور الحياة من طبخ وعناء بالأبنية والسهر على راحتهم، ومضت حياتهم بهدوء في المسجد، فهي قرية هادئة وادعة صغيرة مطوية بين جبال المدينة، وملامح الحياة فيها أكثر هدوئاً من أجواء عنizah ومجتمعها، فلا يوجد بها الكثير مما يمكن للمرء عمله باستثناء أداء العمل المنوط به وبعض اللقاءات مع زملاء العمل وبعض كبار السن.

(١) من حديث للشيخ محمد بن إبراهيم السبيعى، كتاب «رحلة الفقر والغنى»، ص ٤٢.

عبدالله يعترف بفضل أخيه محمد عليه في تعليمه



الشيخ عبدالله يقول لأخيه الأكبر محمد: لا أنسى ما حبيت أنك بعد الله صاحب الفضل علي في تعليمي وتأهيلي لسوق العمل

أمضى عبدالله حوالي عامين أو أكثر في عنيزه يتربّد على كتابيб محمد تامر وضعيف الله ثم مدرسة ابن صالح التي كانت ممتازة، لكنه لم يتعلم شيئاً كثيراً فيها لقصر المدة التي قضتها بها. ويُروى أنه وصل إلى المسيحي، وهو ضعيف في القراءة والكتابة، وقد فوجئ أخوه محمد بهذه الحال، فشمر عن ساعديه، وبدأ في تعليم أخيه عبدالله بتوسيع، وكان الصبي عبدالله يتلو بعض سور القرآن الكريم القصيرة حفظاً وقراءة، وخلال فترة وجiza أصبح يجيد القراءة والكتابة.

يشهد الشيخ عبدالله لأخيه الشيخ محمد بطريقة تعليمه له فيقول: بدأ أخي محمد يعلمني في المسيحي القراءة والكتابة كأني لم أدرسها من قبل؛ لأن فائدتي من مدرسة ابن صالح ضعيفة لقصر المدة، فبدأ أخي محمد يعلمني الألف والباء والتاء والثاء.. والضمة والكسرة والمد والسكون والتنوين.. تعلمت على يديه.. فكان يفتح لي صفحة القرآن الكريم. ويقول لي: اقرأ، ويظل يصحح لي أخطائي بصبر عجيب حتى تستقيم لسانني بالنطق.

وذات مرة، أراد أخي محمد أن يختبر حفظي، فقال: دعني أقرأ لك من القرآن الكريم، فأخذ يقرأ، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] قرأها بالغلط عن قصد منه، حيث قرأها: (فَإِمَّا مِنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً). فانتبهت للخطأ، وقلت له: لا.. الصحيح (فَإِمَّا مَنًا) وليس من. ففرح بي، وشكرني، وسمح لي بالراحة؛ لأنّه كان يجعلني أواصل الدراسة من الصباح إلى بعد العصر.. فسمح لي بالراحة، وربت على ظهري، وكتب لي على كراسي:

الله يعافيك يا مفعحي وشوفك يقدك

يا اللي تشفو القداة اللاجية بالخرمية

وظللت أحفظ هذا البيت طوال عمري، وهو أول بيت أحفظه من شعر أخي محمد^(١).

عبدالله يدرس القرآن على يدي أخيه محمد

بعد أن اطمأن محمد بن إبراهيم السبيعي على وضع أخيه عبدالله في القراءة والكتابة، شرع في تنظيم وقته بأن خصص له وقتاً للوظيفة الحكومية، وبعد الانتهاء منها يعود للبيت مباشرة لمتابعة مهمة تعليم شقيقه عبدالله القرآن الكريم، وقد أبدى الصبي عبدالله حرصاً كبيراً وتحاوياً لافتاً مع جهود شقيقه، وبمرور الأيام قطع شوطاً كبيراً في قراءة القرآن الكريم.

كانت الوالدة نورة ترقب بشغف وسعادة جلسات ابنها الأكبر لتدريب شقيقه عبدالله على حفظ قصار السور من القرآن الكريم وتجويده، كما كانت تراقب باهتمام تطور أداء عبدالله في التلاوة بالمقام النجدي المحبب إلى الأذن، حتى أصبح يقرأ القرآن بصوت جذاب مميز، ما دفع شقيقه محمد إلى الثناء الدائم على أدائه تشجيعاً له. وكان محمد ينظم جلسات يجمع فيها رفاقه من حين إلى آخر ليقرأ عليهم عبدالله ما حفظه، فكانت هذه الطريقة تعجب عبدالله وتحمسه

(١) البيت من قصيدة للشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي في ديوانه.

إلى مزيد من التجويد والإتقان حتى أتم في المسجد قراءة وحفظ القرآن الكريم كاملاً. وكان أكثر شيء يسعد قلب والدتها ويجلب لها البهجة والسرور عندما تسمع ابنها عبدالله وهو يقرأ القرآن ويتقدّم بسرعة في حفظه وقراءته بل تلاوته بصوت جميل.

حلم نورة العماش الذي تحقق..!

أغرى موقع المسجد الحغرافي القريب من مكة المكرمة الأم نورة العماش إلى زيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، وهي الأمنية التي طالما انتظرت أن تتحقق منذ تزوجت إبراهيم بن محمد السبيسي. كانت تكرر على زوجها كلما جاء إلى زيارتهم في عنيزه: «متى أعود معك إلى مكة المكرمة حاجة أو معتمرة؟» فكان يقول لها: «ليتنني أستطيع ذلك، ادعني الله، فإن لم أستطع، ولدك محمد يصحبك إلى مكة إن شاء الله».

استعادت نورة العماش هذه الكلمات وهي ترى نفسها على مقربة من مكة المكرمة، فموقع بيت ابنها محمد في المسجد كان يسمح لها بمتابعة حركة الزوار والحجاج والمعتمرين من وإلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. وفي الوقت نفسه أبدى الصبي عبدالله رغبته في رؤية الكعبة والسفر إلى مكة المكرمة. فاستجاب الفتى البار محمد لنداء أمه ورغبة أخيه، وكان شهر ذي الحجة ١٣٥١ هـ (أبريل ١٩٣٣ م) قد اقترب، فقال لأمه: «فلتكن حجة وعمرة يا أماه».

يصف الشيخ محمد الرحالة بأنه أخذ في الترتيب لسفرهم جمیعاً لأداء مناسك الحج، فاستأجر لهم بعيراً به سريرين على الجانبين تسمى الشقاديف، فركبت الأم أحدهما والجدة على الآخر، أما عبدالله فركب فوق الشداد وزودهم بالمال والمؤن التي تكفيهم في الطريق، ثم ودعهم، وانصرفت نورة العماش وصبيها عبدالله وجدته المسنة حصة الواصل ملبيين دعوة الله، مولين وجوههم شطر المسجد الحرام، وقد طال شوّقهم وتطلعهم إلى تلك اللحظة النادرة منذ زمن بعيد، وقد استغرقت الطريق إلى مكة المكرمة اثنى عشر يوماً.

على أطراف المسجد ودعهم الابن محمد، وظل يتطلع إلى بعيرهم حتى اختفى وسط قوافل الحجيج، وظلت تفاصيل الرحلة والمحطات التي وقفوا فيها عالقة في ذاكرة الفتى عبدالله، وكان يحرص على أن يسرد ما عايشه خلالها من أحداث على أبنائه ومحبيه كلما جاء الحديث عن الحج وتحسين أحواله، فكان يبتسم وهو يقارن بين ما كان يعاني منه المسلمين في السابق من أجل تحقيق أمنيهم في أداء الحج، وبين التسهيلات التي تزداد تحسناً في العهد السعودي الميمون.

الصبي عبدالله مع والدته

في أول حجة له في حياته ١٣٥١ھ



لم تكن ذاكرة الفتى عبدالله وحدها التي حافظت على تفاصيل أول حجة وما أحاط بها من مواقف لا تنسى، بل ظلت الأم نورة العماش أيضاً تروي لصديقاتها وأحفادها تفاصيل تلك الزيارة الأولى إلى مكة المكرمة، فقد عاشت لحظات نادرة من الشوق والتطلع لتحقيق هذه الأمنية التي يحلم بها كل مسلم،

كما كانت تردد على أسماع المقربين منها انتهاء كل متابعيها ومعاناتها بمجرد وصولها إلى البقاع الطاهر، وتحقيق حلمها القديم في أداء المناسك، وبالرغم من أنها انتقلت وعاشت بشكل دائم في مكة المكرمة إلا أنها ظلت دائمًا تحكي بزهو عن أول زيارة وأول مرة تطأ أقدامها أرض مكة المكرمة في ذي الحجة ١٣٥١ هـ الموافق عام ١٩٣٢ م.

وبعد شهر كامل قضاه عبدالله في رفقة والدته وحده في مكة المكرمة قفلوا عائدين إلى المسيحية، بعد أن أدوا جميعاً مناسك الحج، وكان الفتى محمد في انتظارهم عند مدخل المسيحية بفرحة ملأت عليه أقطار قلبه، وكان العناق بدموع من فارق أحبيه دهرًا..!

تنفيذ محمد لرغبة والدته طاعةً وبراً

بعد عودتها من حج بيت الله الحرام أباحت الوالدة نورة العماش لابنها محمد بخاطر ظل يلح عليها منذ وصولها للمسيحية وبعد أن عرفت طبيعة العمل الذي يؤديه. كانت طبيعة عمل محمد في جمارك الطريق إلى مكة المكرمة في استلام الرسوم الحكومية من الحجاج، ولهذا اقترحـت الوالدة نورة على ابنها ترك العمل الحكومي والمغادرة إلى مكة المكرمة والعيش في رحاب البيت العتيق. ولما ألحـ عليها ابن محمد في معرفة السبب قالت له ببساطة الأم الحنون صاحبة القلب الرقيق إنـها غير مرغـاة للعمل الذي يؤديه في تحصـيل رسوم الجمارك من الحجاج، لأنـها تعتقدـ أنـ في ذلك شبهـة شرعـية..!

شرحـ الابن محمد لوالدته أنـ الدول تتـناقضـ رسومـ الجمارك لتقـدمـ بمقـابلـها خدماتـ للناسـ، والحكومة لا تستـطيعـ تقديمـ كلـ هذهـ الخـدماتـ للحجـيجـ

وهي قليلة الموارد دون تحصيل هذه الرسوم منهم، وهذا جائز شرعاً. فقالت له والدته: «ول يكن ذلك، ولكنني يا ولدي أشعر أنك ستكون في وضع أفضل لدنيك ودنياك إلى جوار البيت العتيق». وقالت له أيضاً: «يا ولدي، إن الراحة التي شعرت بها أثناء وجودي بمكة المكرمة لا تدعها راحة في مكان آخر على وجه الأرض.. أرى أن الله سيفتح لك ولأخيك أبواباً للرزق من هناك»^(١).

وأمام قول والدته هذا لم يجد ابن البار محمد أمامه أي خيار آخر، ودون تردد قرر تنفيذ كلام والدته، فهو يعلم أن بر الوالدين وطاعتهم من أفضل ما يتقرب به العبد لربه.

استقال محمد من وظيفته في شهر صفر سنة ١٣٥٣ هـ (مايو ١٩٣٤ م)، واستعد الجميع للرحيل إلى أطهر البقاع وأشرفها على وجه الأرض.. مكة المكرمة.. لتبدأ صفحة جديدة من العمل والكفاح في حمى الحرم المكي الذي شهد انطلاق طاقات ومواهب الأخرين محمد وعبد الله.. وفي مكة المكرمة كان الله يخْبئ مفاجآت لأفراد هذه الأسرة المتوكلة عليه سبحانه وتعالى.

(١) معلومات أرشيف مؤسسة عبدالله السبعاني الخيرية.

الفصل السابع

عبدالله بن إبراهيم السبيعى في مكة المكرمة
بين دكان عمه ناصر ومدرسة الخلوصى
(م ١٣٥٤ - ١٩٣٤ هـ = ١٣٥٣)

كانت والدتي تقوم صباح كل يوم بتوصيله إلى مدرسة المخواني التي تقع في بيت قديم
أشبه بالخرابة بالقرب من باب زرادة، حيث أتقنَتْ عنده الخط وأصبح يقدم خطيباً نموذجاً
للآخرين للعمل بهاته.

عبدالله بن إبراهيم السبيعى



لم يكن قرار ابن الأكبر محمد بالتخلي عن الوظيفة الحكومية ذات الراتب المضمون هيئاً عليه لشدة حاجته إليه، ولكن الاستجابة لرغبة والدته كانت أمراً لا خيار فيه بالنسبة له مما كلفه ذلك. كان قراراً صعباً، خاصة أن انتقال أسرة تضم الأم والجدة والصبي عبدالله وأخاه الأكبر محمد إلى مكة المكرمة يُعد مغامرة بالنسبة لأسرة لم تكن تصدق أن تجد مصدراً ثابتاً للعيش.

قرار السفر إلى مكة المكرمة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)

فكرة ابن البار محمد في الأمر بينه وبين نفسه، فرغم أنهم ذاهبون إلى عمهم ناصر وبدعوة كريمة منه، لكن تظل المخاطر قائمة، لأنهم في النهاية لا بد أن يعتمدا على أنفسهم، وأن يؤمنوا وسيلة كسب تكفي لمعيشة أسرة كاملة، من مأكل ومسكن وحياة في غربة جديدة تُضاف إلى مسلسل التنقل والاغتراب الذي كتبه الله على أفراد تلك العائلة، بدءاً من الأب الذي توفي غريباً في المدينة المنورة إلى ابن محمد الذي بدأ السير على طريق الغربة نفسها.. ووطد محمد العزم على أن يسعى للحصول على بيت مستقل بعد أن يضمن دخلاً ولو يسيراً يستر به أهله ونفسه. ذهب إلى والدته وأبلغها بقرار استقالته من عمله والاستعداد للسفر إلى مكة المكرمة، فتهلللت أقاربها فرحاً حتى فاضت دموعها شوقاً للبيت العتيق والعيش في رحابه، وقالت لمحمد: لن يضعينا الله ونحن متوجهون إلى رحابه الطاهرة^(١).

(١) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله بن إبراهيم السبيعي الخيرية

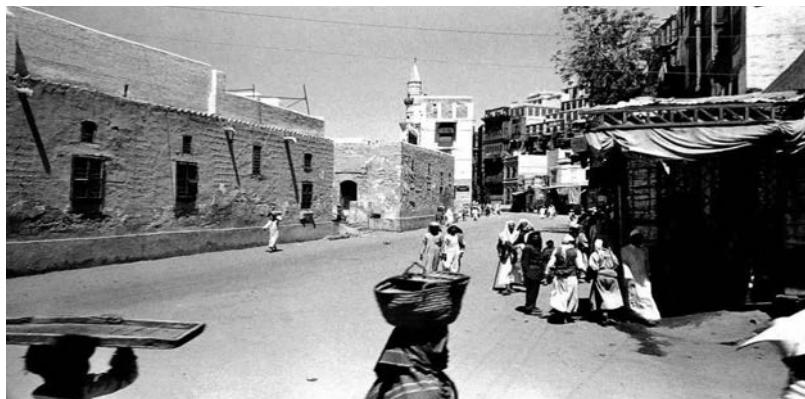
الطريق إلى مكة المكرمة عبر المدينة المنورة

في صباح أحد أيام ربيع الثاني سنة ١٣٥٣هـ الموافق ٢٠١٣م، وكان محمد في العشرين من عمره وعبدالله في الحادية عشرة، شدت الأسرة الرحال، وببدأوا سيرهم نحو مكة المكرمة بعد أن غادروا المسجد على ظهر بعير تم استئجاره لهذه المهمة. فقد كان السفر والانتقال من مكان إلى آخر يتم بطرق بدائية، بداية من ركوب الإبل، إلى المشي على الأقدام، وكان بعض الناس يحصلون على مكان داخل صندوق شاحنة ضخمة لنقل البضائع، كما كانت الطرق غير ممهدة، فقد كان السفر لوناً من العذاب والشقاء، ومع ذلك حط بهم البعير في المدينة المنورة بعد معاناة طويلة، وهي أقرب موقع للمسجد في الطريق إلى مكة المكرمة.

ومن المدينة المنورة، بدأ البحث عن وسيلة أخرى للاستكمال الرحلة نظراً لارتفاع أجرة ركوب السيارات، فاستعنوا فيها بكل وسائل الانتقال في ذلك الوقت، إلى أن وصلوا بعد معاناة وتعب إلى محطةهم الأخيرة في مكة المكرمة، فخفف من مشاق الرحلة استقبال العم ناصر لهم وفرحته بوصولهم واستضافته لهم في بيته.

في بيت عمهم ناصر في شِعب عامر

في بيت عمهم ناصر بن محمد السبيعي نزلت أسرة أخيه؛ زوجة أخيه الأرملة نورة العماش وولدها محمد وعبدالله ووالدته حصة الوائل، وكان البيت يقع في شِعب عامر ببرحة بئر الحمام غرب المسجد الحرام جهة الصفا والمروة، حيث يسكن في هذا الحي كثير من أهل القصيم عامة وعنزة خاصة. وتعتبر بئر الحمام في قلب شِعب عامر، وهي النقطة الأساسية بجوار مسجد الجفالى الذي اعتاد الوافدون الجدد إلى شِعب عامر من أهل القصيم الصلاة فيه للتعرف مع الذين سكنوا شِعب عامر من قبلهم. أما دكان عمهم



كان شأنهم شأن كل غريب يخرج من بلدته لأول مرة، ملأت الرهبة قلوب الوافدين
الجدد في الأيام الأولى لهم في مكة المكرمة، فهم غرباء فقراء

ناصر بن محمد السبيع لبيع المواد الغذائية والمستلزمات المنزلية، فكان يقع في أطراف سوق الجودرية. وقد اشتهر عمنهم ناصر بالسماحة في بيته وشرائه الأمر الذي أكسبه محبه الناس واحترامهم له.

وكان شأنهم شأن كل غريب يخرج من بلدته لأول مرة، ملأت الرهبة قلوب الوافدين الجدد في الأيام الأولى لهم في مكة المكرمة، فهم غرباء فقراء، لا يعرفون سوى القليل عن هذه الديار باستثناء استضافة عمنهم ناصر لهم، لكن أكثر أفراد العائلة شعوراً بالسعادة والاطمئنان كانت والدتها نورة العماش، فبمجرد وصولهم إلى مكة المكرمة شعرت بالسكينة والهدوء، فقد ظلت تحلم بتلك اللحظة طوال الأعوام الماضية، حيث كانت كثيراً ما ترى في منامها أنها تطوف بالبيت الحرام^(١)، وهذا هي الآن على بُعد أمتار قليلة من البيت العتيق، وجودها بجوار الحرم مسح كل رهبة، وأزاح كل خوف من نفسها، وبدأت تتطلع مستقبل أفضل لولديها، وترتيب حياتهم في هذه الديار.

(١) أرشيف الأسرة عن ذكريات الكدح والكفاح.

الفتى عبد الله مع أهل القصيم في محيط بئر الحمام بـشَعب عامر

بعد أن نزلت الأسرة ضيوفاً في منزل عمهم ناصر الذي لم يتأخر في دعمهم والترحيب بهم، شعر الولدان محمد وعبد الله أن عمهما الوفي أنزلهما منزلة أبناءه بل أكثر حين أسبغ عليهما من محبته وحنانه، مما جعلهما يذكران له ذلك طوال حياتهما، ويترحمان عليه. كانت فرحة الفتى عبد الله غامرة ومضاعفة بالوصول إلى بيت عمه، فقد كان هناك ابن عمه وأخوه بالرضاعة عبد الرحمن بن ناصر السبيسي، وليس بينهما فرق في السن إلا شهر واحد.

عاش عبد الله السبيسي صباح وفتوته وباكورة رجولته في مكة المكرمة بين برحة بئر الحمام وربع إطّلع في شَعب عامر الذي يضم عدة براحات وحارات وجبال مثل برحة علي طايع، وبرحة مخلص، وبرحة الرشيدية، وبرحة بئر سمسسم، وبئر الحمام، وجبل السودان، ودحلة الجن.. وغيرها.

وتقع بيوت كثير من أهل القصيم في منطقة بئر الحمام التي تعتبر قلب شَعب عامر يمين البئر، وتقع بيوت أخرى لأهل القصيم في منطقة مداخل الشِّعب وحول البازان. وللشِّعب تِشعبات كثيرة في هذا الجبل، وتمتد البيوت على جوانبها أو حتى على الجبل نفسه، ويحد الشِّعب من جهة الغرب تقريباً الشارع العام الذي يأتي من المعابدة، وينتهي عند الحرم المكي الشريف قرب الصفا، ومن الجنوب شَعب علي، ومن الشمال الجمية والمعابدة، وهو مطل على أسواق الغزة والمعلادة والخريق والمحجون وحتى الجعفرية، وكان لا يفصله عن الحرم سوى شَعب علي (شعببني هاشم) والقشاشية، وهو قريب من أسواق مكة المكرمة الشهيرة آنذاك مثل: الغزة والحلقة وسوق المعلادة والخريق ثم سوق الجودريه^(١). وإلى جانب أهل القصيم كان بقية سكان شَعب عامر

(١) المصدر السابق.

من بادية مكة المكرمة من الأشراف، و من قريش وهذيل وغيرها، وقليل من ترجع أصولهم إلى اليمن وحضرموت والمغرب ومصر، وأقل من شرق آسيا والهند وغيرها.

أول بيت سكنه الشقيقان

في مكة المكرمة بربع إطلع في شعب عامر

كان أول بيت سكنه عبدالله السبياعي مع أخيه الأكبر محمد ووالدته وجده في ربع إطلع، ويقال إن التسمية جاءت لوقوعه على طلعة قصيرة أو منحدر. ثم يأتي بعده بئر الحمام، ويعتبر مركز الحارة، وهي بربة كبيرة يتوسطها بئر الحمام الذي تم ردمه واستمر المسمى، وهذه البرحة تطل عليها دكاكين وبسطات، وهي مجمع لأهل الحرارة وخاصة الأولاد ومواقف السيارات. وبئر الحمام تصب فيه كل الطرق التي تربطه بأقسام الشعب مثل: شعيب الذيب، والمصافي، وطويرق، وبئر سمسسم، وبرحة مخلص، وجبل السودان، والخريق، والدحلة.

وبعد حوالي شهرين أمضاها الشقيقان محمد وعبدالله ووالدتها وجدهما في ضيافة عمهم، رأى محمد أنه قد أصبح لديه دخل معقول من عمل الدلاله في سوق الجودرية، وأن أخاه الأصغر عبدالله اجتمع له مبلغ لا يأس به من عمله في دكان عمه، وأنه لا بد أن يجدوا لهم مكاناً مستقلاً يقيمون فيه مستوريين، فقد عرفوا مكة المكرمة، وفهموا طريقة العيش فيها، وبدؤوا الاحتياك بكثير من أهل مكة المكرمة وأهل القصيم الذين يقيمون في شعب عامر.

حاول عمهم ناصر أن يثنיהם عن المغادرة، فقد كانت سعة القلوب في ذلك الزمان أهم من سعة البيوت، ولكن الأم نورة العماش كانت بحاجة إلى الاستقلال بيتها مع ولديها، فلم يملك العم ناصر إلا الاستسلام لذلك على أن تظل والدته حصة الوسائل متداولة التنقل بين البيتين.

ووقع اختيار محمد بن إبراهيم السبيعي على بيت صغير استأجره بعشرين ريالاً في السنة في حوش ابن معتق على جبل رُبْع إطْلَع في شعب عامر. وابن معتق هذا كان من رجال الشريف حسين بمكة المكرمة^(١). وقد شعر الشقيقان والدتها بسعادة ورضا كبير رغم شظف العيش، ورغم أن ذلك البيت لم يكن بيّتاً بالمعنى الحقيقي، بل كان صندقة من صفيح يسكنها الفقراء في مكة آنذاك، وكان شعب عامر من أكثر مناطق مكة المكرمة المعروفة ببيوت الصنادق، ويروي الأخوان السبعان محمد وعبد الله أنها كان يريان تلك الصندقة قصراً..!

كان بيت صندقة رُبْع إطْلَع عبارة عن غرفتين من الصفيح المعدني ملحق بها دورة مياه وحوش للجلوس وتناول الطعام واللعب والسمير أيضاً، وما أفاد به الشيخ عبدالله في أحاديثه عن ذكرياته أنه كثيراً ما كان الشقيقان يحلمان بالوقت الذي يتمكنان فيه من امتلاك هذه الصندقة، خاصة أن توقيت دفع إيجاره السنوي الذي يحل في شهر ذي الحجة كان يمثل كابوساً مفزعاً لها لدرجة أنهم كانوا يطلقون عليه «يوم الحشر»^(٢). ففي ذلك الوقت لم يكن لها مورد رزق سوى الأجر الزهيد الذي يوفره محمد ليسد به المعيشة والمبلغ الأقل الذي يستطيع عبدالله توفيره، ولكن ذلك لا يسد إيجار البيت كاملاً... ووسط هذه الظروف المادية الصعبة، واجهت الأسرة الحياة في مكة المكرمة بصبر وكفاح، واستطاع الشقيقان السبعان محمد وعبد الله قيادة سفينتها بمنأى عن العواصف المدمرة برحمه وتوفيق من الله العلي القدير.

وكان أهل القصيم عموماً وأهل عنزة خصوصاً ينزلون برباع إطْلَع، وكانت تقع في رُبْع إطْلَع وما حوله بيوت سليمان الصبيعي وعبد الرحمن العبيد وعلى الخطيب وعبد الله المحيسن والشهيويين والشحيتين والدلاء وعلي الماجد ومحمد الشقحاء والشبل والفوزان والفالدة والسيف والشلالي وصالح الذكير

(١) حديث الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي عن ذكريات الكدح والكفاح، لدى الأسرة.

(٢) نفسه.

وإبراهيم الهويش وإخوانه والجبلان والسيف وعبدالله و محمد الدغاشير ...
وغيرهم.

قصة سقوط أسنان عبد الرحمن بن ناصر السبياعي

أصبح عبدالله يذهب مع ابن عمه عبد الرحمن بن ناصر السبياعي إلى دكان عمه، فيفتحان الدكان صباحاً مبكرين، واستطاع العم ناصر أن يصنع بين الصبيان بتشجيع أبيه منه تنافساً جميلاً بحيث يحاول كل واحد منها أن يسبق الآخر في فتح الدكان و مباشرة البيع. ولكن سباق الصبيان على فتح الدكان أدى إلى أن يفقد عبد الرحمن أسنانه، فقد حدث ذات مرة أن كان عبد الرحمن يجري مسرعاً ليسبق عبدالله إلى الدكان عاصياً على طرف شماغه، فشد عبدالله الشماغ بقوة، فتساقطت أسنان عبد الرحمن، واحتاج إلى تركيب طقم أسنان في تلك السن الصغيرة.. وظل الشيخ عبدالله يذكر هذه الحادثة ويأسف لها كثيراً.

عمل عبدالله في دكان عمه ناصر

بدأ عبدالله العمل في دكان عمه ناصر بأجر قدره خمسة ريالات تشجيعاً من عمه له، ولزرع الحافز في نفسه، ومع ذلك لم يكن هذا المبلغ هيناً كما هو الحال اليوم. ثم تطور في العمل مع عمه حتى وصل راتبه الشهري إلى ثلاثة ريالاً. تحمل عبدالله معاناة ومشاق العمل اليومي، فقد كان عمله في دكان عمه ناصر - كصبي في مقتبل العمر - يتطلب منه القيام بكل المهام، من استقبال الزوار والزيائين والحديث معهم، إلى تحميل وتنزيل البضائع وترتيبها، وتنظيف الدكان وغيرها من المهام الشاقة التي تتطلب مجدهاً بدنياً وعضلياً كبيراً، لكن بفضل تفانيه وحبه وإخلاصه للعمل، تقبل تعبها بالصبر والتحمل، فقد كان يعلم جيداً أنه ليس أمامه إلا أن يبذل مزيداً من الجهد والدأب والاجتهاد، فلا بدile عن كل ذلك أمامه فتى في مقتبل العمر، غريب، فقير في مكة المكرمة، سوى البدء من تحت الصفر، وهو ما فعله أخيه محمد قبله.

كانت الوالدة نورة العماش تشعر بسعادة غامرة كلما سلمها ابنها عبدالله باكورة كسبه وعمله؛ لمشاركة شقيقه محمد في الإنفاق على الأسرة، وكانت ستة ريالات لا تكفي، ولا تغطي تكاليف استئجار منزلهم في حي شعب عامر، إلا أنها كانت تمثل بالنسبة لها كثراً كبيراً، وأخذت تشجعه وتحمسه لمزيد من التفاني في العمل حتى قفز دخله إلى نحو ٣٠ ريالاً في الشهر^(١)، وبعد أن ضاعف من مجده وعمله في الكثير من الأعمال الشاقة، تضاعف دخله وحب من يعمل لديهم له؛ لتمتعه بحسن الخلق والإخلاص والأمانة، فكان محل احترام وتقدير كل من حوله. وكانت الفترة التي أمضاها الفتى عبدالله في دكان عمه ناصر - على قصرها - ثرية، فقد تعلم طريقة عرض البضاعة ومبادئ التعامل مع المشترين والصبر عليهم، والتحلي بحسن الخلق، وهي مرحلة ظلت خالدة في ذاكرته التجارية يرويها للآخرين.

عبدالله في مدرسة المعلقة الابتدائية الحكومية

١٣٥٣/١٩٣٤

كان الصبي عبدالله بن ناصر السبيعي يذهب كل يوم إلى الدكان لمساعدة أبيه بعد أن نال قسطاً يسيراً من التعليم، وكان عبدالله يرغب أن يلحق بابن عمه في الدكان، لكن عمه ناصر رأى غير ذلك، فقد آثر أن يلتحق ابن أخيه عبدالله بإحدى المدارس الحكومية لينال قسطاً من التعليم النظامي العام، وبالفعل التحق عبدالله بمدرسة المعلقة الابتدائية الحكومية في شارع المعلقة، ويذكر الشيخ عبدالله أحد معلمي في هذه المدرسة كان الأديب المعروف الأستاذ عبدالكريم الجهيـان^(٢)، لكنه لم يمكث فيها إلا ثلاثة شهور فقط، لكنه يذكر أنه أفاد منها فائدة كبيرة. وليس لدينا علم عن سبب عدم موافقته الدراسة في هذه المدرسة.

(١) المرجع السابق.

(٢) عبدالكريم الجهيـان (١٣٣٠-١٤٣٣هـ=١٩١٢-٢٠١٢م)، أديب، وناقد، وشاعر سعودي، اهتم بالتراث الشعبي والأمثلة الشعبية.

عبدالله السبيعى في مدرسة حلوانى الخلوصى

(١٣٥٣-١٩٣٤ هـ = ١٣٥٤-١٩٣٥ م)

كانت الكتاتيب منتشرة في مكة المكرمة في بداية العهد السعودي، تؤدي دورها إلى جانب المدارس النظامية، فوقع اختيار الأرمدة نورة العماش على واحد من أهم الكتاتيب التي ترقى لمستوى مدرسة في مكة المكرمة، وسارعت بتسجيل ابنها عبدالله مع طالبي العلم في مدرسة الشيخ إبراهيم بن أحمد حلواني، وقد اشتهر الشيخ الحلواني بـ(الخلوصي). ويقع هذا الكتاب في حارة الشامية شمال المسجد الحرام في زاوية السمان المقابلة لباب زيادة. وكانت الدراسة تستمر على فترتين، تبدأ الفترة الأولى بعد صلاة الفجر وتنتهي إلى صلاة الظهر. ثم يعود التلاميذ إلى بيوتهم لتناول وجبة الغداء في فسحة لمدة ساعة، ثم يعودون للدراسة في الفترة الثانية إلى ما بعد صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى بيوتهم.

وكان الشيخ الخلوصي لا يقبل في مدرسته طلاباً مبتدئين، بل يقبل الطلاب الذين لديهم أساسيات في القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والحساب؛ لكي يتغلب بهم إلى مرحلة أوسع بسهولة يتدرّبون فيها على الإتقان. كان الشيخ الخلوصي يعلم طلابه مهارات متميزة لا تتوقف عند حفظ وتجويد القرآن الكريم، بل يحرص على تعليمهم مهارات الخط العربي الجميل بأنواعه المختلفة من نسخ ورقعة وثلث وديوان وغيرها، كما يزود طلابه بميزة تعليم الحساب والأعداد جمّعاً وطراً وقسمة وإدارة الحسابات وتدوينها^(١). لهذا تخرج من مدرسته جيل من أبناء التجار في مكة المكرمة الذين أصبح الكثير منهم رجال أعمال كباراً وذوي شأن، ومن خريجي مدرسته على سبيل المثال

(١) د. عبداللطيف عبدالله بن دهيش، «الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما»، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ص ٣٦



علي حسن أبو العلا



محمد علي فارسي



صالح حسن باحارث

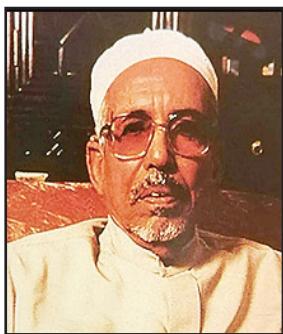
عبدالله أحمد كعكي، صالح محمد جمال، حسين بكري قزاز، محمد علي فارسي، محمد صالح باحارث، علي حسن أبو العلا، جميل عبد الرحمن خوqير، محمد سعيد عبدالمقصود خوجة، جميل صالح ملائكة... وكان بعض هؤلاء زملاء دراسة مع الشيخ عبدالله السبياعي.

كان لمدرسة حلوانى الخلوصى ميزة جوهرية كان يعلمها الشيخ لطلابه، وهي علوم الصيرفة وتحويل العملات باعتبارها من المهارات المطلوبة لسوق العمل، حيث كان الحلوانى بارعاً في هذا المجال، وله كتاب من تأليفه بعنوان «تحفة الناظر ومرشد الصيرفي والتاجر».

وكانت نورة العماش تقوم صباح كل يوم بتوصيل ابنها عبدالله إلى مدرسة الحلوانى التي تقع في بيت قديم أشبه بالخرابة بالقرب من باب زيادة، وفيه غرفة سكن الشيخ حلوانى نفسه..!

تباستير مستقبل واعد

إلى جانب ذلك الأمر الدنيوي، ظلت نورة العماش كما هو عهدها تحفظ ابنها عبدالله وتشجعه على إتمام حفظ وتجويد القرآن الكريم، وتردد على



عبد الله أحمد كعكي



محمد سعيد عبد المقصود



صالح محمد جمال

مسامعه أن كِتاب الله يفتح له كل أبواب الرزق المغلقة، كما حرصت على متابعة ابنها في تحسين خطه، وكانت توفر له الأوراق المطلوبة للكتابة، لأن الشيخ حلواني كان يكلف طلابه بكتابة نص قرآني أو أدبي عشرات المرات؛ كي يضمن تحسين خطوطهم، وقد تدرب الفتى عبدالله على تحسين خطه حتى أصبح خطه نموذجًا يقدمه الشيخ حلواني الخلوصي للناس في حسن الخط. وهنا يكمن سر حب الشيخ عبدالله طوال حياته للخط الجميل، وحيث أولاًده وأحفاده على ذلك.

ويبدو أن الصبي عبدالله السبيعبي كان يرسم الخطوط الأولى لمستقبله الوعاد بما أبداه من براعة في الحساب والقدرة المبكرة على تحويل العملات، وهي مهنة رائجة بين أهل مكة المكرمة؛ نظراً لأن الحجاج وزوار بيت الله الحرام كانوا في أمس الحاجة للتغيير ما لديهم من عملات بلدانهم بعملة المملكة؛ كي يتمكنوا من البيع والشراء ودفع تكاليف معيشتهم.

وبالرغم من أن مدرسة الشيخ حلواني لم تكن تقدم لطلابها شهادة بإتمام الدراسة، لكن في المقابل كانت تجري امتحانات ومسابقات منتظمة، وإذا أثبتت

الطالب تفوقاً في المجالات التي تعلمها ونجح في المسابقات يذهب مباشرة إلى سوق العمل المتعطش لهؤلاء في الدكاكين والبنوك والمتاجر المنتشرة في ربوع مكة المكرمة، وإذا فشل الطالب في تلك المسابقات، كان عليه الاستمرار في الدراسة حتى يتمكن من اكتساب تلك المهارات التي كان في مقدمتها حفظ وتجويد القرآن الكريم.

أثر مدرسة الحلواني على شخصية عبدالله السبيعى



لعبت مدرسة حلواني الخلوصي دوراً محورياً في تنشئة وتكوين عقل وشخصية الفتى عبدالله السبيعى، خاصة أن الشيخ حلواني نفسه كان يتفانى في ترسیخ المفاهيم والقيم الدينية الخالصة في نفوس طلابه، فقد اعتاد الشيخ أن يبدأ يومه مع صلاة الفجر التي يؤدّيها في الحرم المكي المجاور لمسكنه، ثم يظل بالمسجد يتلو ما

تيسر من الذكر والأوراد والبحث والدراسة، ثم بعد ذلك يتجه مباشرة إلى مقر مدرسته الذي لا يبعد عن المسجد أيضاً سوى أمتار معدودة، وهناك تبدأ عملية التعليم والمراجعة والدرس المستفيض للطلاب الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم على تحصيل أكبر قدر من العلوم، خاصة الحساب والصيغة والعلوم الدينية الأخرى.



يعود الشيخ عبدالله السبياعي بذاكرته إلى ما سمعه في صباه من قصص حكاها لهم الشيخ حلواي الخلوصي في مدرسته بمكة المكرمة

وكان عبدالله من بين نخب الطلاب المتميزين بالخط الجميل والقدرة السريعة على إجراء العمليات الحسابية، إلى جانب صوته العذب في تلاوة القرآن. يصف الشيخ عبدالله أسلوب الحلواي في تعليم الخط لطلابه ف يقول: «كان الشيخ حلواي يكتب للطالب **جملاً** بخطه، ويعيد الطالب كتابتها عدة مرات حتى يجيد كتابة الخط، فإذا ضبطه أعطاه سطراً ثانياً يعيد كتابته ويكرره.. وهكذا دواليك، وكان يفعل هذا معى، ولم يتركنى حتى أتقنت الخط»^(١).

وقد أدى انضباط وتفاني الشيخ الخلوصي في خدمة طلابه إلى تنافس الكثير من العائلات المكية والوافدين إليها لإلحاق أولادهم بكتابه، حرصاً منهم على

(١) الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبياعي، تسجبلات الأسرة.

إكساب أبنائهم تلك الميزات التي كان يقدمها لهم الشيخ حلواني الخلوصي، خاصة فيما يتعلق بالحساب والتدوين والصيغة وتحويل العملات.

الخلوصي يرسم المعانى السامية في نفوس طلابه

أما من ناحية العلوم الشرعية والفقهية الأخرى فقد كان الشيخ حلواني الخلوصي يزرع في تلاميذه الإيمان العميق، ويضرب لهم الأمثلة على حكمة الله التي لا يدركها الخلق. ويذكر الشيخ عبدالله السبعي ما سمعه من قصص رواها لهم الشيخ حلواني الخلوصي، وهي قصة الخنفساء وما فيها من دلالة على حكمة الله في خلقه. القصة تروي أن أحد الأشخاص قال يوماً: لماذا خلق الله الخنفساء؟ فهي ذات هيئة قبيحة ورائحة نتنة؟ ثم تمضى الأيام، ويبتلئ ذلك الشخص بقرحة دامية في ساقه، فاستعصى علاجها على أشهر الأطباء، فما عرف الرجل طيباً إلا ولجأ إليه من أجل علاج القرحة، غير أنه يعود في كل مرة بلا أمل في العلاج حتى امتنأً أسفًا على حالته دون علاج.

وبينما هو في حال اليأس والقنوط ظهر له رجلٌ من العارفين بخبايا الطب الشعبي، فقال له: إن علاج قرحتك يكمن في أن تأتي بخنفساء ميتة ثم تسحقها وتطحنها حتى تحول إلى مسحوق ناعم ثم تغطي به القرحة. ففعل الرجل ذلك، فبرئ بإذن الله تعالى.

وهكذا، بهذا النوع من القصص والأمثلة المقنعة كان الشيخ حلواني الخلوصي يرسم المعانى السامية والأخلاق النبيلة في نفوس طلابه، فينشئون وقد تهذبت طباعهم، وزكت نفوسهم؛ ليصبحوا رجالاً صالحين يفيدون مجتمعاتهم.

الفصل الثامن

عبدالله بن إبراهيم السبيع
من صبي بسوق الجودرية إلى سقاء ببئر الحمام

وحدث في مهنة سقاية الماء من البازان، وحمله إلى بيوت الناس على كتفه في تنكين على عود قوي رغم مشقتها راحةً تجعلني أقوم بصلواتي في أوقاتها بدلاً من العمل في الدكاكين الذي يحرمني من صلاة الجمعة في الحرم المكي.

عبدالله بن إبراهيم السبيع



يقع شعب رُبْع إطْلَع في شعب عامر الكبير، ومن أزقته وعطفاته تفوح روائح التاريخ من ذكريات صبا عبدالله بن إبراهيم السبيعي وأخيه الأكبر محمد لتحكى ذكريات سنوات جميلة عاشوها، ومشوا في شوارعه المترعة غير المستوية بسبب جغرافية المنطقة الجبلية، فالزنقة يضيق أحياناً ويتسع أحياناً أخرى حتى يصلان إلى بيت عمهم ناصر بن محمد السبيعي ببرحة بئر الحمام أو إلى الصندقة التي استأجرها في جبل رُبْع إطْلَع بعد ذلك.

الجودرية ملتقى تجار القصيم

كان سوق الجودرية الذي يقع أمام شعب عامر أهم أسواق مكة المكرمة يليه سوق المعلاة ثم سوق الزل الذي تكسوه السجاجيد الإيرانية والأفغانية الراقية. وعلى الركن الآخر من الشعب الذي يقع على شارع وادي إبراهيم (الغزة) يقع سوق الجزارين. وكان حي الجودرية وسوقها كان يمثل مركزاً لتجمع التجار من أبناء نجد والقصيم خاصة، نظراً لقربه من الحرم الشريف، لهذا كان نقطة ارتكاز مهمة لأهل القصيم في ممارسة أنشطتهم التجارية.

ويصف الشيخ عبدالله السبيعي الحلقة القديمة التي تفصل شعب عامر عن السليمانية والفلق بأنها كانت تقع بالعديد من المحلات الغذائية، وأشهر باععى الأكلات المكية كالشربة والتقطيع والسبحق وبائعى الأجبان المحلية والألبان، وبها أيضاً حراج الخضار والفواكه ومباسطها والدجاج والبيض. وفي جهة قريبة منه يباع الفحم والحطب والأخشاب، وكان باعة الفحم من بادية مكة المكرمة، الذين يقومون بحرق الحطب وتحويله إلى فحم وبيعه في أكياس مختلفة الأحجام، وفي الغالب تقوم مطابخ مكة المكرمة والأسر بعملية الطبخ على بوابير الفحم^(١).

(١) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية.

خان الجفالى.. خان الشروق

وعلى المدخل الرئيس للشعب كان هناك سوق يحمل اسم أحد أشهر أهل القصيم بمكة المكرمة، وهذا السوق هو «خان الجفالى» الذى أنشأه الشيخ عبدالله الجفالى، ولأن منطقة القصيم تقع شرق مكة المكرمة، فقد كان أهل مكة المكرمة يطلق عليهم «الشروق»، ولهذا أطلقوا على خان الجفالى «خان الشروق» لكثرة دكاكين أهل القصيم به، وكان يوجد أيضاً حراج يُسمى (حراج الشروق) بيع فيه الزل والبشوتو والتمر وغالبية السلع التي تُستورد من القصيم ونجد.

موطن الذكريات .. بئر الحمام والبازان

كان مصدر المياه في مكة المكرمة عامة من الآبار، واشتهر شعب عامر منذ القدم ببعض الآبار والعيون، ومنها بئر الحمام التي جفت من قديم، ولكن المكان ظل يحمل اسمها، وقد سميت بذلك الاسم لوجود الحمام حولها بكثرة. وتقع هذه البئر في رحبة بالقرب من مسجد شعب عامر على يمين الصاعد إلى مكة المكرمة، وحول البئر كان يسكن الكثير من أهل القصيم ومنها بيت ناصر بن محمد السبيعى الذي نزلت به الأرمدة نورة العماش وولدتها محمد وعبد الله وجدتها حصة الواصل (والدة ناصر وإبراهيم) عند وصولهم من المدينة المنورة.

وكان جبل رُبُع إطْلَع - الذي سكنه الشقيقان محمد وعبد الله أبناء الشيخ إبراهيم بن محمد السبيعى عند وصولهما إلى مكة المكرمة - من أماكن السُّكُنى المفضلة لدى الكثير من أهل القصيم بمكة المكرمة، إلى جانب أحياه أخرى، منها ربع ذاخر، والخانسة (الخنساء).. كانت هذه من مواطن أغلى الذكريات التي احتفظت بها ذاكرة الشيخ عبدالله السبيعى عن مكة المكرمة.

عبدالله مع أخيه الأكبر محمد

في سوق الجودرية

أنطلق محمد بن إبراهيم السبيعى إلى سوق الجودرية التي تعد سوقاً يرتاده، ويعمل فيه كثير من أهل عنزة والقصيم عاماً مثل العوهلي ومحمد العيدي وعلى الكعيد وإبراهيم العرينان وغيرهم.. خرج محمد ومعه أخيه الصغير عبدالله إلى السوق، واطلع على أوضاعه، والتى بأصحاب الدكاكين هناك، فوجد أن أكثرهم يعرف عمّه ناصراً، وبعضهم يعرف والده ويذكره بالخير، ويسمح بعضهم بيده على رأس أخيه الصبي عبدالله رحمة به عندما يعرفون أنه الابن الأصغر لإبراهيم السبيعى^(١).

كان الناس في ذلك الوقت يتداولون في التجارة بمبة وأريحية ونحوه، وكان أهل كل منطقة من مناطق المملكة يشدون أزر بعضهم بعضاً في غربتهم، وكان أهل القصيم بذلك الترابط والتآزر، فلما عرفوا الفتى محمد بن إبراهيم السبيعى خفوا إليه، وعرضوا عليه المساعدة، ولكن بعد أن تجول في السوق وجد أن من الأفضل له أن يعمل دللاً، يعرض البضائع على أصحاب الدكاكين ويحصل على عمولة مقابل بيعها للغير، وهو عمل أخف مسؤولية من فتح محل وتحمل إيجار وديون وغيرها. وهكذا أكسبت مهنة الدلالة الفتى محمدًا خبرة بالسوق وخبرة في التعامل بما هيأه للمرحلة الأخرى في حياته.

سبب عدم استقرار عبدالله في العمل بالدكاكين

لم يطل كثيراً عمل عبدالله في دكان عممه ناصر، بل انتقل إلى العمل في جهات متعددة ومتختلفة، فقد شجعه عممه كما شجع ابنه عبدالرحمن على تجربة العمل عند الغير لما في العمل عند الغير من دروس في الانضباط والالتزام وشعور أكبر بالمسؤولية. وهكذا وجد الفتى عبدالله نفسه توأقة لتجربة كافة

(١) المرجع السابق.

أنواع المهن والأعمال الصعبة، والشعور بالمعاناة ليتذوق بعد ذلك ثمرة هذا العمل بمال الحال.

ترك عبدالله العمل في دكان عممه ناصر وعمل - بمساعدة أخيه محمد وعلاقاته - صبياً في أكثر من دكان في الجودرية التي كان يسكنها كثير من أهل القصيم ويعملون فيها. عمل عبدالله صبياً يقضي الحاجات في حمل البضائع ونقلها إلى الدكان، ثم تدرّب على شراء طلبات الدكان، فأبدى مهارة في اختيار البضاعة.

كان أصحاب بعض الدكاكين التي يعمل به يحرصون على أن يبقى في الدكان أو حوله فترة طويلة، ولم يكن عبدالله يرفض العمل لساعات طويلة شريطة ألا يعيقه ذلك عن أداء الصلوات في جماعة في المسجد الحرام، وعندما رفض بعض أصحاب الدكاكين أن يذهب للصلاة في الحرم ويكتفي بالصلاحة في المسجد المجاور لكي يبادر في فتح الدكان بعدها مباشرة، رفض وقال: لا أبيع ديني بدنياي^(١). ذلك لأن والدته كانت قد زرعت في عقله وقلبه أن كل شيء يمكن إدراكه إلا الصلاة في وقتها، والصلاحة في الحرم المكي تعدل مائة ألف صلاة. لهذا كان يسايق إلى الحرم مبكراً.

ولما شعر عبدالله بضيق أصحاب الدكاكين بتأخره في الصلاة - فهو يذهب مبكراً للحرم ويعود متأخراً لمواطنته على السنن بعد الصلاة، ولا ذنب لأصحاب الدكاكين في ذلك، ومن حقهم أن تفتح محلاتهم بعد الصلاة مباشرة -رأى ترك هذا النوع من العمل، ووَقَرْ في قلبه أن يكون هو نفسه يوماً صاحب دكان لكي يكون حُرّاً في قراره وتصرفه.

(١) الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيسي، تسجلات الأسرة.

عبدالله يَعْمَل سقاء فِي مَحِيط بازان بئر الحمام



مثلما كافح أخوه محمد فاشتغل قبله بعده مهن شاقة؛ اشتغل حمّالاً وطباخاً ودلّالاً وسقاءً، وجد عبدالله أنه لا بد أن يكافح من أجل لقمة عيش حررة، فلم يجد أمامه من عمل بعد ترك العمل في الدكاكين إلا مهنة كان بعض أهل

نجد يزاولونها في مكة المكرمة خاصة في شعب عامر، وهي مهنة شاقة. ووجد عبدالله في هذه المهنة على مشقتها مساحة من الحرية يؤدي بها صلواته في أوقاتها دون الالتزام تجاه أحد إلا الالتزام الذي يقطعه على نفسه مع الغير. كانت هذه المهنة هي سقاية الماء من البازان، وحمله إلى بيوت الناس على كتفيه في تنكتين على عود قوي متين.

عمل الفتى عبدالله بالسقاية في البيوت المحيطة ببرحة بئر الحمام بشعب عامر، وهي خمسة شوارع تنتشر فيها بيوت بعض وجهاء أهل القصيم بمكة المكرمة، وفي وسط البرحة تقع البئر التي نصب ماؤها من زمن بعيد. ويقع البازان الأساسي الذي يتردد عليه السقاء عبدالله بن إبراهيم السبيعوني في شعب عامر^(١)، وهناك تعرف الفتى عبدالله على بعض السقائين الذين كانوا يستغربون اشتغاله بهذه المهنة إشفاقاً عليه لصغر سنه. وكان من البيوت التي يسقي لها بيت صالح بن سليمان الهويري من أشهر تجار عنزة المعروفين في شعب عامر، وكان بيته مفتوحاً لكل الناس، وخاصة للقادمين من القصيم أو من أماكن بعيدة،

(١) المصدر السابق.

ولا يتأخر في تقديم يد العون والمساعدة لهم طوال الوقت، كما كان يحرص على أن يذلل لهم سبل العمل والتعرف على الأسواق^(١). وكان موقع بيت الهويري أمام البازان على الشارع الآخر. وللبازان قيّم عليه يُدعى شيخ البازان، يقوم بتنظيم توزيع السقائين على الناس. وبمجرد التعرف على سقاء معين يتم الاتفاق معه لتزويد البيت بشكل منتظم بالماء، حيث كان أهل الحي يشربون منه. وأحياناً يذهب السقا عبد الله السبيعي إلى بازان آخر مجاور، وهو بازان الجفالي الذي أقامه بجوار مدرسته التي بناها على نفقته، وُعرفت باسم مدرسة شعب عامر^(٢).

عبد الله في خدمة الحجاج

كان عمل السقاية شاقاً وثقيلاً على كتفي الصبي عبد الله السبيعي، وكانت أمه تشفع عليه، وتحاول أن تثنيه، ولكنه كان يطلب رضاها ودعواتها لكي يخفف الله عنه حمله ويوقفه، فكانت تدعو له ولسان حالها يقول: إن التعب في مرضاة الله راحة. وبهذا استطاع أن يؤدي صلواته في أوقاتها، وأن يمكث في المسجد قبل الصلاة وبعدها دون أن يخشى تأخير التزام مع أحد من الناس.

وكان عبد الله قد رأى بعض الفتى من أقرانه يذهبون للعمل في موسم الحج لخدمة ضيوف الرحمن، وأبلغه أحدهم أنه يستطيع في عدة أيام خلال موسم الحج أن يكسب ما يمكن أن يوفره في شهور. وراقت له الفكرة، وتحدث بها مع والدته، فقالت له: اقرئها يابني بالنية الخاصة لله، اذهب بنية الحج وقم بخدمة الناس هناك تكسب في الدنيا والآخرة.

(١) غادر صالح بن سليمان الهويري عزيزة إلى مكة المكرمة عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣م)، وكان كريماً سمحاً ففوفقه الله في التجارة وتوسعت أعماله راجع: أحمد إبراهيم الغزاوي، «مكة المكرمة في شذرات الذهب»، دار المنهل، جدة، ١٤٠٢هـ، ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق.

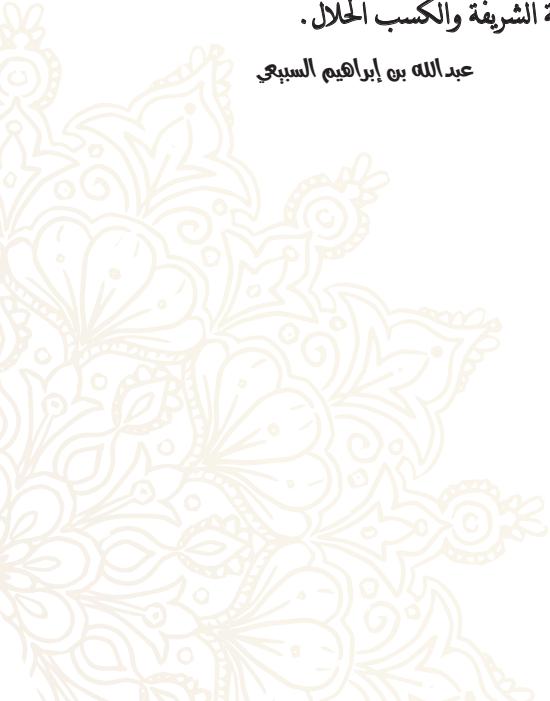
الفصل التاسع

قصة النجاح والطريق إلى القمة

تأسيس الشركة بمكة المكرمة ١٣٥٧ھ (١٩٣٨م)

بالعرق والكفاح والتغاني في العمل مع «أخوي محمد»، بنينا ب توفيق الله سمعة طيبة في سوق الجودريه، ووسط جيل من التجار كان رأساً لهم الأمانة والصدق، فتعلمنا عبر الإخلاص والجدية اغتنام الفرص التجارية النزهة والمنافسة الشريفة والكسب الحلال.

عبد الله بن إبراهيم السبيبي





الشقيقان في سوق الجودرية

من حسن حظ الشقيقين محمد وعبدالله السبيعي أن دكانهما كان يقع في الجهة الغربية لسوق الجودرية، مقابل مسجد الرایة بين زقاقي الصنيع والتمارة، ويفتح الدكان على شارع ضيق يؤدي إلى حارة الغزة، يصف الشيخ عبدالله سوق الجودرية بقوله: تتصل سوق الجودرية من الحرم إلى المعلاة ومن الحرم إلى المسعى ومن المسعى إلى المدعى ومن المدعى عودة إلى الجودرية ومن الجودرية إلى المعلاة ومن المعلاة إلى الخريق إلى المعابدة^(١).

وقد شَكَّلَ موقع هذا الدكان انعطافة محورية في حياة الأخوين محمد وعبدالله السبيعي التجارية، وشعرا بأنهما وضعوا أقدامهما على بداية الطريق الصحيح مثلهم مثل باقي تجار الجودرية من أبناء نجد والقصيم الذين كانت لهم بدايات متواضعة هناك، ثم سرعان ما أصبحا من أعيان مكة المكرمة، وأصحاب تجارة واسعة، ويشار إليهم بالبنان.

وقد عاصر الشقيقان محمد وعبدالله السبيعي شخصيات من أهل القصيم وغيرهم يذكر الشيخ عبدالله منهم: صالح بن سليمان الهويري، وسليمان وحمد النافع، وإبراهيم الجفالي وأخوته، ومحمد الخراشي، وعلى العقل، وعبدالله العليان، وعبدالكريم الحسون، وعبدالعزيز النفيسى، وعبداللطيف الدوسري، وصالح التويصر، والعوينان، والطعيمي، وإبراهيم حمد الصنيع، وأبناء عثمان الفريح وغيرهم من أصحاب المال والأعمال المعروفيين، مثل آل بقشان، والميرة،

(١) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية

وكنسارة، فكانوا ليس فقط على مستوى مكة المكرمة، بل على مستوى المملكة العربية السعودية كلها.

عبدالله يتعلم أصول التجارة في سوق الجودرية

كانت لسوق الجودرية قواعد وأصول مرجعية، سر عان ما اكتسبها الشقيقان السبعان وتشبعا بقيمها، والتي كان من أبرزها الأمانة والصدق والتعاون والألفة والمحبة، ولا تفرق بينهم الماديات منها كبرت، ولا يتحاسدون، ولا يتباغضون، بل يحرص كل واحد منهم على منفعة جاره كحرصه على منفعة نفسه، لذلك لم يكن مدهشاً أن تجد تاجرًا يشير إلى مشتري أن يبتاع من جاره، لأنه لم يستفتح بعد، بينما هو جبر واستفتح من قبل. وهذا لم تكن الجودرية تمثل بالنسبة للفتى عبدالله مجرد سوق أو شارع تجاري، بل كانت بمثابة الجامعة التي تعلم فيها فنون الحياة، وأصول المعاملات بين الناس.

وقد كانت الأرباح المتواضعة في تلك الفترة تمثل اختباراً للأخوين على تحمل المخاطر، والتدريب على مواجهة الأزمات، وطرق التصرف فيها من خلال حسن التدبير والذكاء في إدارة الموارد، فتعلما في تلك الفترة الصبر والصمود في مواجهة تقلبات السوق إلى جانب التغاضي عن مظاهر الترف والتبذير، كما تعلما أهمية الاهتمام بالأعمال والتركيز على تنميتها، فإذا حصل لهم ربح من بيع بضاعة قاموا بتدوير الأرباح في شراء المزيد من البضائع، وفتح آفاق جديدة لتجارتهم.. وهكذا.

بيزة على بيزة توديك عنيزه..!

بفضل رضا الأم على الشقيقين، كانا يحرصان على أن يسعيا للرزق الحلال بلا نهم ولا طمع، بل كانوا يدركان دائمًا أن الإنسان لا يملك سوى السعي

والأخذ بالأسباب، ثم يترك الباقي على الله، مع الرضا بالربح الحلال، مهما كان قليلاً، مع مزيد من الصبر والجهد والمثابرة، ويذكر الأخوان السبعان مقوله مشهورة لرجل الأعمال المعروف، ابن عنيزة، الشيخ عبدالله بن حمد الزامل، مؤسس مجموعة الزامل الذي يخاطب بها أبناء بلدته المغتربين بقوله: «بيزة على بيزة.. توديك عنيزة».

وقد وصل حب الناس للشقيقين محمد وعبدالله السبيعي في سوق الجودرية لأمانتها إلى الثقة فيها في أمور لا علاقة لها بالبيع ولا التجارة، فإذا أراد البعض السفر، وخشي على أمواله من الضياع أو السرقة، سلمها لها، وأودعها في دكانها، وتركت هذه الفكرة لديها البحث عن مجالات استثمار تلك الودائع للاستفادة المزدوجة منها لهم ولصاحبها، فكانت نواة لتوسيع تجارتها في المستقبل.

مبادئ التزم بها الشقيقان في عملهما

بالعرق والكافح والتفاني في العمل إلى جوار شقيقه الأكبر محمد، بنى الفتى عبدالله سمعته الطيبة في سوق الجودرية، ووسط جيل من التجار كان رأساً لهم الأمانة والصدق، فتشرب من هؤلاء التجار أسس بناء المعاملات بين الناس، وعبر قيم الإخلاص والجدية واغتنام الفرص التجارية النزية والمنافسة الشريفة والكسب الحلال، عاش وتعلم، وصقلت قدراته الذاتية، فتعلم ألا يبخس الناس أشياءهم، وأن يتبع عن شبهة أي مكاسب لا يثق في حلالها، وتعود أن يعطي العامل أجره قبل أن يجف عرقه، وأن يتتجنب الغش والتسليس، وكل ما حرم الله في البيع والشراء.. حتى أصبح لمحمد وعبدالله أبناء إبراهيم السبيعي سمعة معروفة في أسواق مكة المكرمة بالصدق والأمانة.

كان عبدالله يكسب كل يوم أصدقاء جدداً، ومعارف جديدة، وحظى باحترام ومحبة موظفيه في كل ما مارسه من أعمال وأنشطة، فجلبت عليه السمعة الطيبة الخير الكثير، وبدأت تفتح أمامه أبواب لم يتوقعها للرزق والكسب الحلال. اكتسب خبرة من العمل بأخلاق وقيم، وظهرت مواهبه من خلال العمل بلا كلل أو ملل، ومن خلال تخليه بأخلاق الصدق والأمين التي كانت من صفات كثير من أهل القصيم في مكة المكرمة.

هناك، وفي سوق الجودرية، تنبه الأخوان السبعان بأهمية خدمة تغيير العملة للحجاج والمعتمرين، وأن هذه الخدمة كانت محدودة ولا تغطي كل الحاجة إليها، وأن محلات الصرافة في مكة المكرمة كلها قليلة. درس الأخوان السبعان الفكرة، ووجدا أن أرباح الصرافة قليلة، ولكن الحاجة إليها كبيرة ومستمرة طوال العام. واتفق هذا مع منهجهما في التجارة الذي بدأ محمد العمل به، وهو مبدأ «الكسب القليل يقابل البيع الكبير».

قصة تأسيس شركة للصرافة والتجارة

مكة المكرمة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م

بدأ عمل الأخوين محمد وعبد الله السبيعي في الصرافة بصناديق صغير في دكانهما، فكانا يغiran فيه العملات والنقود للحجاج والمعتمرين، ثم يبيعانها بربح زهيد لا يذكر، وحتى هذا الربح الزهيد الذي يحصلان عليه من الصرافة كان متذبذباً إلى جانب عوامل المخاطرة، فإذا وقعت الحروب والكوارث الطبيعية تضررت أسواق العملات والصرافة بشكل مباشر وفوري^(١).

وذات ليلة من ليالي شتاء عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م، سهر الأخوان السبعان يناقشان أفكاراً تطور عملهما، وكانت فكرة التوسع في مجال الصرافة المحور الرئيس للحديث بينهما، لم ينظرا في نقاشهما إلى أرباح الصرافة الحالية،

(١) أرشيف معلومات مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية

ولكن نظراً بعيداً إلى المستقبل الظاهر لهذه المهنة في الأراضي المقدسة، فكان على ثقة أن البلاد ستشهد نهضة شاملة، وما سيتبع هذه النهضة من زيادة في عدد الحجاج والمعتمرين جراء ظهور الطرق الجديدة الواسعة المسفلة، وتسهيل الخدمات، والنهضة العمرانية... وغيرها.

رأى الأشخاص السبعان أن ذلك كله حاصل وقد لا حالة، وسيتبعه حاجة شديدة لهناء الصرافة نظراً لزيادة عدد الحجاج وزيادة عدد الدول التي سيفد منها حجاج بيت الله وزواره الكرام. وبناء عليه أصبحوا السبعان في اليوم التالي من عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م بقرار تأسيس شركة خاصة بهما بسمى (شركة محمد وعبدالله السبيعي للصرافة والتجارة)، يديرها الشقيقان بفكر عقل رجل واحد^(١).

وبتأسيس هذه الشركة انضم الشقيقان محمد وعبدالله السبيعي إلى أوائل من أسس شركات للصرافة من أهل الحجاز ونجد والقصيم، فقد سبقهما إلى هذه المهنة عبدالعزيز كعكي، وسالم بن محفوظ، وهاشم صلاح غمري، وأحمد صيرفي، وحمزة صيرفي، وأحمد بامعوضة، وسعيد العمودي، وعبدالعزيز المقرن، وصالح الراجحي... وغيرهم.

التخفيف من التجارة لصالح الصرافة

بدأ الأشخاص السبعان يفكرون في فصل الصرافة عن دكان التجارة، فأخذوا يفكرون في استئجار محل صغير وفصله كمحل للصرافة عن الدكان الرئيس، وبالفعل استأجر الأشخاص دكاناً مجاوراً للدكان الرئيس، وكان الدكان الجديد صغيراً جداً، لا تزيد مساحته عن ٢٠ متراً.

(١) من حديث مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيعي بمنزله بجده تاريخ ٧/١/٢٠٢٤

عبداللطيف آل عبدالله يدير فرع مكة



عبداللطيف آل عبدالله

قرر الشقيقان التخفيف من تجارة التجزئة لصالح التوسع في مجال الصرافة والعقارات، وتولى عبدالله فتح محل الصرافة، وبدأ وحيداً، ثم صار معه صبي يساعدته، ثم استدعاي عبداللطيف عبدالله عبداللطيف المقرب إليه من محل القماش؛ ليكون معه في محل الصرافة، وبعد انتقال الأخوين إلى جدة كلفا عبداللطيف بإدارة فرع مكة المكرمة. ثم جاء الخضرمي عمر باقادر، وكان الشيخ عبدالله يثق فيه كثيراً، ثم جاء علي بابطين وفتح فرع الصرافة في المدينة المنورة كشريك لهما.

ونتيجة للسمعة التي حققها الأخوان السبعان في التجارة والصرافة، استطاعا أن يكسبا ثقة بعض الجهات الحكومية، فبدأ عملهما مع الحكومة بعقد مع وزارة المالية لتوفير المصالح والعقل والجروح وهو نوع فاخر من القماش يتم استيراده من الهند. وتبع ذلك عقد حكومي آخر لشركة الصرافة مع وزارة المعارف بتحويل رواتب الموظفين في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية.

سلامة النية والثقة المطلقة والتوكيل على الله..!

تحدث معي بعض كبار أبناء عبدالله السبيعي وقدماء الموظفين بقصص تبدو كخيال لم يسمعها تعبر عن سلامة نيته وحسن ظنه الناس وتوكله على الله، فمما يُروى أنه في بداية عمله بالصرافة في مكة المكرمة كان يجد صعوبة في إرسال التحويلات المالية إلى الرياض، فكان يذهب ليلاً إلى جدة وبيت في منطقة باب مكة ثم يذهب إلى المطار مبكراً ويتفرس في وجوه المسافرين إلى

الرياض حتى إذا رأى في وجه أحدهم سماحة وتوسم فيه الخير أعطاه شنطة صغيرة وطلب منه تسليمها لصاحبها في الرياض... !

قصة إرسال الذهب مع مسافر لا يعرف اسمه !!

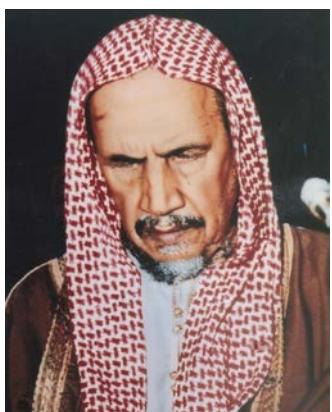
كان عبدالله السبيعي مغامراً في إرسال الأموال بالطائرة مع مسافرين إلى الرياض، وزاد في هذه المغامرة بإرسال الذهب أيضاً، فيقول: ذهبت من مكة المكرمة وزلت بقها بشيش بمنطقة باب مكة بجدة، وجلست بها حتى الليل، ونممت بها حيث توجد على كراسيها مخدات. فوضعت الصرة تحت المخدة ونممت بها حيث توجد على كراسيها مخدات. فوضعت الصرة تحت المخدة ونممت، وبعد أن صليت الفجر ركبت سيارة أجرة إلى المطار، ووجدت هناك مسافراً لم أسأله عن اسمه، توسمت فيه الخير، فطلبت منه حملها وتوصيلها، فتأخر التسليم، وقلق مسؤول المكتب في الرياض، فاتصل بي يسألني عن اسم الشخص الذي أرسلت معه الحقيقة، فقلت: لا أعرف اسمه، لكنني قلت له انتظر وسيأتي لعل له عذرًا. وبالفعل في اليوم التالي حضر الرجل إلى المكتب ومعه الحقيقة.. !

الخيانة التي حدثت مرة واحدة

وقد أعطاه نجاح تجربة إرسال الذهب في المرة الأولى ثقة وجرأة على تكرارها في جدة.. وذات مرة كانت معه صرة فربطها بحبل وضغط على الختم بالرصاص، وخرج بها إلى المطار وسلمها للطيار ومساعده وأوصاهما بتوصيلها وأعطاهما أجرهما.

ولكن نفسيهما ضعفت أمام الذهب، فأخذوا منها عشرة جنيهات، ووصلت للرياض ناقصة. فتمت الشكوى بها، فأعادا ما ماسروقاً، وطلب عبدالله السبيعي الجهة المختصة عدم إيداعهما وتنازل من جانبه عن حقه الأخلاقي.

احتياط المحتاج والأمين وتصرف الشيخ عبدالعزيز بن باز..!



كان حساب ساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز^(١) رحمة الله في مصرف السبيعي قبل أن يصبح بنكًا، وكان محمد عبدالله السبيعي يعتزان بهذا لأن الشيخ ابن باز لا يتعامل مع البنوك وكان مصرف السبيعي أول مصرف يتعامل معه لأطمئنانه له من الناحية الشرعية، وقد ربطت الشيختين السبعان علاقة ثقة ومودة بالشيخ ابن باز استمرت طوال العمر.

ذات يوم حضر أحد العملاء ومعه شيك تبرّع له به الشيخ ابن باز، وعندما قرأ الموظف قيمة الشيك وجد أنه بثلاثة عشر ألف ريال، وشعر الموظف أن قيمة الشيك أقل من ذلك بكثير، وأنها قد عدلت، وأبلغ الشيخ عبدال والله السبيعي بالأمر، فطلب من الموظف أن يتصل بالشيخ ابن باز، ويسأله عن قيمة الشيك، وتم الاتصال بالشيخ ابن باز، فقال له الشيخ ابن باز: ثلاثة آلاف ريال. فأخبره أن العميل زوره إلى ثلاثة عشر ألف ريال، فقال له ابن باز: أصرف له إذن بثلاثة عشر ألفاً، فما عدّل الشيك إلا وهو محتاج..!

وبعد عدة شهور عاد هذا العميل إلى المصرف، وقابل عبدالله السبيعي ومعه مبلغ ٢٠٠٠ ريال، وقال: هذه زادت معي من مبلغ الشيخ ابن باز؛ لأن الذي كانت مريضه واحتجت إلى علاجها، ولكن علاجها لم يستوعب قيمة الشيخ كله، بل تبقى من قيمة الشيخ هذا المبلغ، فأعده إلى حساب الشيخ ابن باز،

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (١٢ ذو الحجة ١٣٣٠ هـ - ٢٧ محرم ١٤٢٠ هـ)، شغل منصب مفتى عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤١٣ هـ الموافق ١٩٩٢ م حتى وفاته.

وجزاه الله خيراً. فقال له عبدالله السبيعي: نحن صرفاً المبلغ حسب توجيهات الشيخ ابن باز، فإذا أردت أن تعيد له هذا المبلغ فاذهب إليه..!^(١)

(ستي بنك) وأكياس الذهب في قصة

الأمانة التي تمشي على قدمين

كان عبدالله السبيعي يتمتع بالقناعة والرضا، والبعد عن الطمع، كان قنوعاً بالربح الذي يسوقه الله تعالى إليه وإن كان قليلاً، وكانت سمعته طيبة مع المصارف والبنوك التي يتعامل معها، بل أصبح بعض مسؤولي تلك البنوك والمصارف أصدقاء له، يزورونه في بيته ويدعوه إلى الولائم في مناسبات مختلفة، وكان بنك (ستي بنك)^(٢) أول البنوك التي تعاملت معها مؤسسة السبيعي بعد افتتاح فرع له في جدة.

لاحظ مسؤولو البنك في تعاملات عبدالله السبيعي صدق وأمانة والتزام بالتعهدات والوعود، وكان مدير الفرع وبعض موظفيه من الأمريكان، فنعرفوا عليه، وبادلوه ودّا بودّ، وصدقوا بصدق لدرجة أن تطورت علاقتهم به، وأصبحوا يزورونه في بيته، ويدعوه هو إلى المخيم ويذهب إليه مع موظفيه على البحر، فيستمتعون بجلسات الأرض والأطعمة الحجازية.

ذات مرة، في موسم الحج، احتاج مصرف السبيعي إلى سيولة نقدية، فالحجاج يأتون بعملات مختلفة، ويقومون ببيعها لهم مقابل الريال السعودي. كان المصرف يقوم بتجميع هذه العملات وإرسالها إلى خارج المملكة مقابل

(١) تسجيلات الأسرة.

(٢) ستி بنك (Citibank) أحد أكبر المصارف في العالم، تأسس عام ١٨١٢ م. وهو الذراع المالي لمجموعة ستيء جروب. ويعمل في أكثر من ١٠٠ بلد حول العالم. ويعد مع مجموعة ستيء جروب أكبر مصرف من ناحية الودائع في الولايات المتحدة.

حالات، وكانت هذه العملية تستغرق وقتاً، وكان موسم الحج قد أطل، ولم تكن لدى مصرف السبيعي سيولة نقدية كافية بالريال السعودي ليواصل عمله حتى ينتهي الموسم، ولكن لديهم كم كبير من العملات النقدية للدول الأخرى. فما كان إلا أن قام عبدالله السبيعي بوضع هذه العملات في أكياس من الخيش دون أن يطلب عدّها، ثم أخذها بنفسه إلى ستيي بنك، وطلب من مدير البنك أن يضعها أمانة لدى البنك مقابل الحصول على مبلغ محدد من الريال السعودي نقداً، فما كان من مدير البنك إلا أن أعطاه ما طلب، واستلم منه الأكياس دون أن يفتحها ويعد ما فيها..!

وكان نائب المدير في ذلك الوقت أمريكياً، انتقد هذا التصرف من مدير البنك قائلاً: كيف تعطي السبيعي؟ لقد أحضر لك أكياساً لا تعرف ما بها، قد تكون جرائد أو أشياء لا قيمة لها، كيف تعطيه أموالاً وليس له رصيد عندنا؟ ولم يقدم ضمانت أو تسهيلات؟ فقال له مدير البنك: أنا أثق فيه، وتعاملت معه وأعرفه، فلا تقلق، واعتبر ما حدث على مسؤوليتي الشخصية. وفعلاً بعد أيام قلائل أعاد عبدالله السبيعي المبلغ الذي اقترضه إلى البنك، فما كان من مدير البنك إلا أن عجب وقال: عبدالله السبيعي هو الأمانة نفسها تمشي على قدمين.. !!

قصة مخامرية إرسال العمال إلى لبنان من جهة

ولم تقتصر ثقته على المسافرين داخل المملكة، بل امتدت إلى خارجها، وهو ما تم في مسألة نقل العملات إلى لبنان؛ حيث كانت بيروت مركز تجميع العملات المختلفة واستبدالها، فكان الحاج يأتون ومعهم عملات معينة، فيشتريها مصرف السبيعي منهم بالريال السعودي، ثم يجمعها ويضعها عبدالله السبيعي

في حقيقة، ويدهب في الصباح باكراً إلى مطار جدة القديم، وينتfers في وجهه الركاب، ثم يختار واحداً يتوصّم فيه الخير فيعطيه هذه الحقيقة لتوصيلها. وأحياناً قد يعرف الراكب، وأحياناً لا يعرفه، فيطلب منه أن يحملها معه إلى بيروت، ولم يحدث أن خاب ظنه في أحد وحان الأمانة..!

تفريح كربة التاجر اللبناني

بدأ عبدالله السبيعي يشتهر في سوق الأقمشة حتى أصبح من صناع السوق على مستوى المملكة، وملجاً للتجار في التحديات التي تواجههم في قطاع الأقمشة، وكان توكله على الله وإعانته الناس وتفريج كرباتهم مبدأً أساسياً في عاملاته التجارية والإنسانية على السواء، وقد رأى من وراء ذلك خيراً كثيراً. ومن القصص المعروفة عنه أنَّ تاجراً لبنانياً من تجار الأقمشة استورد كمية كبيرةً من القماش بناءً على طلب أحد التجار، دون أن يستلم التاجر اللبناني دفعهً من قيمة البضاعة مقدماً، فلماً وصلت البضاعة إلى الميناء، اعتذر المشتري عن إكمال الصفقة محتجاً بأن الأسعار قد نزلت، وأن شراءه لهذه الكمية سيعود عليه بالخسارة. ووقع التاجر اللبناني في ورطة، ولكنه تذكر رجلاً شهماً أميناً في السوق..

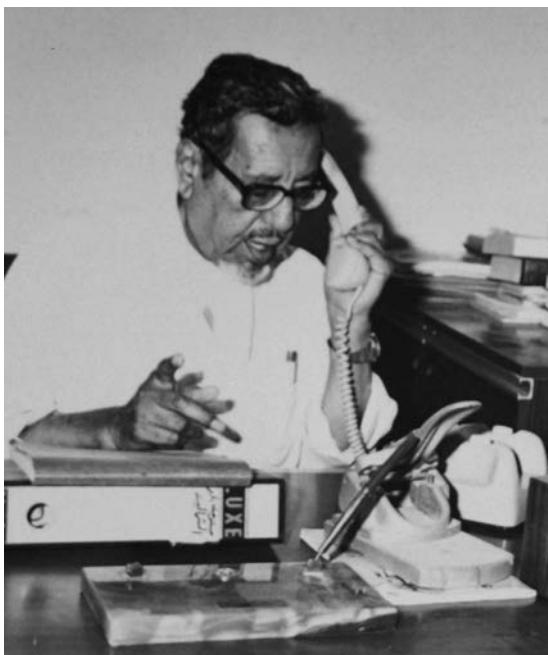
تذكرة عبدالله السبيعي، فذهب إليه ليشكوا حاله ويستشيره في مخرج من هذه الورطة، ففوجيء الرجل بعد الله السبيعي يقول له: سأشتري منك البضاعة. واحتراها بنية تفريح كربة، ثم تركها في مخازنه لفترة حتى تحسن السوق، وأعاد عرضها للبيع، فباعها وربح فيها ربيحاً طيباً، فخلف الله عليه خيراً لقاء ما قام به من تفريح كربة إنسان.

أول بيت يملكه الشقيقان بمكة المكرمة

(م ١٩٣٨ - ١٣٥٧)

تحسن أحوال الشقيقين محمد وعبدالله السبيعي، وانتعشت ظروفهما المالية، وبعدهما كانا يريان أن امتلاك صنقة رُبْع إطْلَع بشعب عامر من الأحلام، أصبحا قادرين على شراء بيت من حجر أو طوب، ولهذا قررا التخلص من بيوت الإيجار نهائياً، وقاما بشراء بيت في السليمانية بمكة المكرمة بمبلغ ٥٨ ألف ريال في عمارة من بناء حديث مسلح من رجل يُدعى حمد المضيان يعمل أميناً لمستودعات التموين الحكومية. كان ذلك البيت أول بيت غير طيني يسكنه الأخوان السبعان في حياتهما.

زواج محمد بن إبراهيم السبيعي



بعد شراء البيت بعام واحد ذهب الأخ الأكبر محمد بن إبراهيم السبيعي عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م إلى عنيزه، وتزوج فتاة من بنات الأسر المعروفة بخدمة العلم، وهي مواضي بنت محمد الدامغ، وعاد بها إلى مكة المكرمة، وبعد ذلك بدأ محمد يبحث أخاه الأصغر عبدالله بالاستعداد للزواج.

الفصل العاشر

انتقال الشركة إلى جدة

بين شارع قابل وشارع فلسطين

(م ١٣٥٩ - ١٣٩٣ - ١٩٤٠ = ١٩٧٣ هـ)

بعد أن رأى المصرفي الكويتي عبد العزيز المزني كثرة ترددنا على جدة وما فيه من مشقة في ذلك الوقت أقترح علينا الانتقال بعملنا إلى جدة، ولكنه مع «أخوي» محمد رفضنا لرغبتنا في البقاء إلى جوار الحرم حتى حصلنا على قوى شرعية بذلك.

عبد الله بن إبراهيم السبيع



بدأ العمل التجاري والمصرفي لشركة الأخوين محمد وعبدالله السبيع في مكة المكرمة عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م، في عهد الملك عبد العزيز، واقتضى توسيع أعمالها كثرة التردد على جدة. ولم تكن الطريق مسلفة وقذائف، وكان السفر من مكة المكرمة إلى جدة شاقاً ومرهقاً، وكان قرار الانتقال إلى جدة من القرارات المفصلية في حياة الأخوين التجارية والعائلية.

نصيحة المصرفية الكويتي عبد العزيز المزيني



كان الشقيقان السبعان محمد وعبدالله وهم في مكة المكرمة على وعي تام بأهمية وجودهما التجاري في جدة، وعلى قناعة بذلك، ولكنها كانوا متربدين. وصادف ذات مرة أن كان صديقهما عبد العزيز يوسف المزيني (١٨٩٨ - ١٩٦٩م)، رائد أول شركة مصرية في الكويت يزورهما في مكة المكرمة، ورأى ما هما فيه من تعب الذهاب والإياب من مكة المكرمة إلى جدة، فاقتراح عليهما الانتقال إلى جدة، وفتح فرع للشركة فيها، فصاروا ياهدان الفكرة لم تكن غائبة عندهما، لكنهما لا يريدان مغادرة مكة المكرمة، ولا يريدان البعد عن الصلاة في الحرم، وإنما ينظران معًا إلى أنَّ مسألة الخروج من مكة المكرمة تُعدُّ شيئاً كبيراً غير مستحب ولا مريح. ولاحظ المزيني أنَّ الأخوين كانوا يبالغان في النظر لهذا الأمر، فيرياني خروجهما من مكة المكرمة كأنهما يبعان دينهما..! وهنا نصحهما المزيني بأن يستفتيا أحد المشايخ في ذلك؛ لكي يطمئنَ قلباًهما..!

فتوى الانتقال من مكة المكرمة إلى جدة ١٣٥٩

وفي عام ١٣٥٩ هـ الموافق ١٩٤٠ م، بعد انسلاخ عامين على تأسيس الشركة في مكة المكرمة بلغ منها التعب مبلغه في السفر إلى جدة خاصة عبدالله الذي كان يقوم بهذه المهمة يوماً بعد يوم تقريباً، وأحياناً كل يوم. ولكي ترتاح نفسها استشاراً أحد المشايخ، وأبلغاه بما في خاطرها عن مسألة مغادرة مكة المكرمة إلى جدة مع بقاء فرع مكة المكرمة.

وقال له إنَّ في نفسيهما حرجاً شرعاً من ذلك، فقال لها بكل بساطة: إنَّ الضرورات تبيح المحظورات، ومجادرة مكة المكرمة إلى جدة بقصد مصلحة صحية أو تجارية لا بأس فيها، ولكنها فرع في مكة المكرمة، وتستطيعان الحضور إلى الحرم المكي متى شئتما، والصلة فيه ليست فريضة، ولكنها سنة عظيمة الثواب. وفي الأخير ذَكَرَهما بحديث النية في الإسلام وعظمتها: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا يُحشِّرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ». ونيتكما البقاء في مكة المكرمة والصلة إلى جوار البيت العتيق، فما يدريكما أن يحشر كما الله على هذه النية ما دامت قائمة في قلبيكم..!

قصة شارع قابل في جدة

لم يمر سوى عامين من تأسيس شركة محمد وعبد الله السبيعي في مكة المكرمة، حتى انطلق بعدها الشقيقان إلى جدة عام ١٣٥٩ هـ الموافق ١٩٤٠ م، حيث ذهب محمد إلى هناك واستأجر محلَّاً ومكتباً في شارع قابل مركز الثقل التجاري في جدة آنذاك، حيث انطلق من هذا الشارع عدد كبير من تجار مدينة جدة، وأصبحوا من كبار رجالات الأعمال، ومنهم تجار الأقمشة والملابس الجاهزة، والصرافون، وتجار الساعات والعطور... وغيرهم.



استأجر الشقيقان محلاً ومكتباً في شارع قابل مركز الشقل التجاري في جدة منذ القدم

ويحمل هذا الشارع اسم واحد من أكبر تجار جدة وأعيانها، وهو الشيخ سليمان قابل، الذي كان رئيساً للمحكمة التجارية في عهد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله، ورأس بلدية جدة من عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٦م حتى عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م. وقام الشيخ سليمان قابل بتسقيف الشارع بألواح معدنية، كانت تسمى بالزنك، وقام بإدخال الكهرباء إلى الدكاكين؛ مما أضاف للسوق عاملاً كبيراً لجذب التجار والمتسوقين ومرتاديه.

يبدأ شارع قابل غرباً من باب البنط^(١) من شارع الملك عبدالعزيز، ويمتد شرقاً حتى شارع الذهب الذي يفصل بين شارع قابل وسوق العلوى. ويوجد في شارع قابل أحد أكبر مساجد جدة التاريخية، وهو مسجد عكاش الذي بُني عام ١٢٠٠هـ الموافق ١٧٨٦م.

(١) باب البنط: في الأصل ميناء البنط، وهو ميناء تاريخي في جدة الساحلية، تأسس عام ١٢٨٤هـ الموافق ١٨٦٧م. وكلمة «البنط» مأخوذة من كلمة «بونت» المستخدمة في أميركا الجنوبية، والتي تعني «المرسى»، وأخذ هذا الميناء شهرته قديماً باعتباره بوابة مكة المكرمة البحرية لاستقبال الحجاج والمعتمرين.

ويعد مسجد عكاش، الذي يقع على شارع قابل من الناحية الجنوبية، من أقدم معالم جدة التاريخية، وعرف بمسجد عكاش نسبة إلى «عكاش أباذه» الذي عمل على تجديده^(١).

عبدالله يدير مكتب الشركة في جدة ١٣٥٩

تقع عمارة عمر عبدالبديع اليافي بشارع قابل بجوار عمارة شربتلي، وفي الصف نفسه الذي به مسجد عكاش، وكان خلفها محل ألعاب أطفال ومطعم وقهوة. في هذه العمارة استأجر محمد بن إبراهيم السبيعي عام ١٣٥٩ هـ الموافق ١٩٤٠ م ملأً على الشارع ومكتباً في الدور العلوي لشركة السبيعي، وبعد تجهيزه بكل ما يلزم سلمه لأخيه عبدالله الذي كان شاباً يافعاً لإدارته من جدة، وبقي محمد في مكة المكرمة فترة قبل أن ينتقل إلى جدة. وبعد انتقاله قام الأخوان السبعان بتكليف عبداللطيف عبدالله آل عبداللطيف - الذي كان موظفاً في دكان الأقمشة - بإدارة محل الصرافة بمكة المكرمة أيضاً. ولم يكن نشاط مكتب جدة للصرافة وحدها، بل لإدارة كافة الأعمال التجارية الأخرى لشركة السبيعي، ولكنه اكتسب سمعة كبيرة في الصرافة، وأصبح من أوائل المكاتب المتخصصة في الصرافة في جدة.

قصة شراء الصرافين عمارة عمر عبدالبديع اليافي

كان مبني عمارة عمر عبدالبديع اليافي بشارع قابل مؤجراً كله لعشرة صيارة، منهم أحمد عبدالقوى با مغوضة، صالح صيرفي، وسعيد محمد العمودي، وعبدالعزيز بن سليمان المقرن، وإبراهيم عرب.. وغيرهم، ثم انضم إليهم محمد وعبدالله السبيعي.

(١) د. عبدالإله عبدالعزيز باناجه، «تاريخ جدة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني»، جدة، ١٤٣٦ هـ (٢٠١٥ م)، ص ٢١٣.



سليمان الراجحي



صالح صيرفي



عبد العزيز المقرن

وبعد عشر سنوات؛ في حدود عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٠م، فوجيء المستأجرون بشراء سليمان عبد العزيز الراجحي هذه العمارة التي فيها محلاتهم ومكاتبهم. وحدث من جراء ذلك مشكلة بسبب قلق المسأجرين من المالك الجديد أن يفرغها كلها لأعماله، ويتدخل أطراف من أصدقاء الطرفين وافق الراجحي على بيعها للمسأجرين والاحتفاظ بالثلث.

وقد توزع صيارة آخرون خارج العمارة مثل عبد العزيز كعكي، وسليمان الراجحي، وحلواني، وبكر بناعمه مدير أعمال كعكي، ومكتبة سالم باريان التي تقع في مبني دكاكين مسجد عكاش، ودكان علي با سمح للمواد الغذائية، وصرافة سكلوع العمودي، وبقالة يني اليوناني ولعلها كانت البقالة الوحيدة في جدة بالمعنى الحديث، وكان موقعها في عمارة الأشراف المجاورة لعمارة عمر عبدالبديع. وكان يوجد بها أيضاً معرض ذهب حسن أحمد فتيحي^(١).

(١) محمد يوسف محمد حسن طرابليسي، جدة... حكاية مدينة، مكتبة كنوز المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، بجدة. وانظر أيضاً: د. عبدالإله عبد العزيز با ناجة، «تاريخ جدة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني»، مرجع سابق، ص ٢١٣.

موظفو الشركة بمكتب شارع قابل في جدة

بدأ عمل الصرافة في مكة المكرمة بطريقة بسيطة ثم تم التوسيع تدريجياً بإدخال التقنية واستخدام الكمبيوتر. وعلى يد الشاب عبدالله بن إبراهيم السبيعي تحول مكتب الشركة في جدة إلى خلية نحل لا تتوقف عن العمل، واستطاع عبدالله أن يجتذب أفضل الرجال الذين تجتمع فيهم الكفاءة والقدرة على تحمل العمل الدؤوب. وبطبيعة الحال لم يجتمع هؤلاء الموظفون جميعاً في المكتب منذ بداية افتتاحه، وإنما تكونوا خلال عدة سنوات متتالية حتى اكتمل هذا العدد الكبير منهم.. ثم انضم إليهم في سنوات لاحقة الفتى إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم السبيعي، الذي كان يحضر إلى المكتب في المساء أثناء دراسته في المرحلتين المتوسطة ثم الثانوية.

ربط عبدالله بن إبراهيم السبيعي بزملائه الصرافين في شارع قابل علاقة أخوة وزمالة لم يشبهها ما يشوب علاقات أصحاب المهنة الواحدة من غيرة وتنافس غير شريف، كانوا يتعاشرون معًا، يزور بعضهم بعضاً، ويأكلون معًا، ويلتقون خارج مكاتبهم لقاءات الزملاء والأصدقاء، فكانوا يخرجون إلى البر معًا، ويسمرون معًا، ويروحون معًا.

قصة الانتقال إلى شارع الستين

(١٣٩٣-١٩٧٦ م)

اتسع عمل شركة السبيعي وتنوع، ولم تعد مساحة مكتب شارع قابل كافية لاستيعاب احتياجات الشركة من الأعمال والموظفين، فكان القرار أن يبقى مكتب شارع قابل المقر التاريخي للشركة في جدة مستمراً في أداء بعض الأعمال، ويتم التوسيع بالانتقال إلى مكتب آخر أوسع، فكان الانتقال إلى عمارة في شارع الستين سنة ١٣٩٣هـ واستئجار الدور الأول فيها ليكون مكتباً للشركة، ومن خلال هذا المكتب تم استيعاب توسيع الشركة في استيراد المواد الغذائية وغيرها. انتقل إلى مكتب شارع الستين بعض الموظفين من مكتب شارع قابل وأضيف إليهم آخرون. وفي هذه الفترة دخلت شركة السبيعي في تجارة الأقمشة واستيرادها، وتم فتح محل مستقل للقماش في شارع الصنيع، وبقي مكتب شارع قابل للصرافة فقط.



بدعم وتأييد من أخيه الأكبر محمد أستطيع عبدالله تحويل مكتب الشركة في جدة إلى خلية
نحل لا توقف عن العمل

مكتب شارع فلسطين

(١٤٠٠ - ١٩٨٠ - ١٤٠٧)

ولم يلبث مكتب شارع الستين أن ضاق بتوسيع أعمال الشركة، فكان البحث عن مكان أوسع. كان الأخوان محمد وعبدالله السبيعي قد دخلا في مجال العقارات بالشراء والتأجير وهو ما سينعرض له في فصل مستقل، فقد رغبا في هذه الفترة في شراء عقار يكون مقرًا كبيرًا للشركة، ووقع الاختيار على شارع فلسطين لوقعه المتوسط بين البلد والمطار ولبداية انتعاش الحركة التجارية فيه. وقامت الشركة بشراء عمارة في شارع فلسطين وكان الانتقال إليها حوالي سنة ١٤٠٠ هـ . وفي هذه الفترة تم تحديث النظام المحاسبي، واستبدلت الدفاتر بأجهزة الحاسب الآلي، وأصبح بين الموظفين متخصصون تقنيون في مختلف البرامج.

تأسيس مقر الشركة الحالي في شارع حراء



صورة حديثة لمقر الشركة الحالي

بعد سبع سنوات زاخرة بالعمل والتوسيع والنشاط التجاري المتنوع في مكتب شارع فلسطين زاد عدد الموظفين بالشركة وكثرت أقسامها، واحتاجت إلى مقر عصري لائق بمركزها التجاري، فكان بناء مقرها الحالي في شارع حراء، وكان ذلك سنة ١٤٠٧ هـ، وأصبح للشيخ عبدالله مكتب مستقل فيه، ومن حوله بعض أبنائه يديرون الشركة كل في اتجاه من اتجاهات عمل الشركة.

كان انتقال الشركة إلى مقرها الجديد في شارع حراء بعد أن رسخت أقدامها، وحققت - خلال تلك السنوات - سمعة ومكانة بين الشركات السعودية في الوسط التجاري، وظلت فروعها الأخرى تدار من رجال ثقة. كان في مكة المكرمة عبداللطيف يدير الصرافية والقماش، وفي المدينة المنورة علي باطيني في محل الصرافة. وكان قد افتتح محلاً للذهب يديره عبدالله المسلم في شارع الصنيع بجدة ثم أغلق، وتم فتح مجال التجارة في المواشي، وأصبح الشيخ عبدالله يسافر إلى السودان مع شريكه في تجارة المواشي، فضلاً عن التوسع في شراء العقارات في جدة ومكة المكرمة.

الفصل الحادي عشر

الشراكات التجارية

ومبدأ الشراكة المتخصصة مع الأفراد

دخلنا في شراكات مع المخلصين من الذين يعملون معنا ومن غيرهم، وكان بإمكاننا أن ننفرد بذلك الأخلاص التجاري لأنفسنا ، ولكننا نؤمن بالمشاركة في نفع الآخرين لأن المشاركة بإخلاص تزيد بركة الرزق وتعزز الأخوة.

عبد الله بن إبراهيم السبيبي







الأخوان الشقيقان محمد وعبدالله السباعي في صدر شبابهما

دخل الأخوان محمد وعبدالله في عدة شراكات مع الأفراد أصحاب الخبرة في تخصص تجاري معين مثل الأقمشة والمواشي والأرزاقي، ولكن لم تكن الشراكات كلها مع شخصيات تجارية بل كان بعضها مع أشخاص يعملون معهم. وبدأ إدخال الموظف معهم شريكاً لم يكن شائعاً، لكنَّ الأخوين محمدًا وعبدالله أخذَا بهذا النهج بهدف منفعة المخلصين من العاملين معهم، وتشجيعهم على المزيد من الاجتهد والإخلاص بتحريك الحافز الشخصي المزروع في كل نفس بشرية، وهكذا كانت معظم شراكتهم مع الأفراد.

ومن خلال دكان الشيخ سليمان بن غنيم وعملهما ثم شراكتهما معه دخل الأخوان السبعان إلى باب التجارة في مكة المكرمة في سوق الجودرية، فكان ذلك حجر الأساس في نجاحهما التجاري لاحقاً. وكان حي الجودرية، يعد مركزَ مكة المكرمة التجاري، ففيه تتم الشراكات التجارية وتُجرى عمليات بيع وشراء كافة السلع التي يحتاجها حجاج وزوار بيت الله الحرام، بدايةً من الأقمشة والملابس والشمع .. وانتهاءً بـالمواد الغذائية وغير ذلك.

وفي هذا الفصل نجمع الحديث عن الشراكات التي عقدتها الأخوان السبعان بصفتها الشخصية أو بعد تأسيس شركتها خلال أزمنة متفاوتة من حياتها التجارية بقصد حصر التجربة واستخلاص العبرة.

الشراكة الأولى

مع بن غنيم صحبة العمر وصدق الاخاء

(١٣٥٤ - ١٩٣٥ م = ١٣٨٢ - ١٩٦٢ م)



اقترح ناصر السبيسي أن يكون الربح مناصفة بين بن غنيم ومحمد السبيسي، فلم يتردد بن غنيم، ووافق على العرض فوراً

في عام ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥ م، أراد سليمان عبدالله بن غنيم صاحب أحد دكاكين الجودريه زيارة مسقط رأسه؛ بلدة دارين قرب القطيف بالمنطقة الشرقية، من أجل الزواج، فاستشار الشيخ ناصر السبيسي، وطلب منه أن يبحث له عن شاب نبيه نزيه أمين يستلم منه دكانه خلال غيابه، فاقتصر عليه ابن أخيه محمدًا الذي يضمن فيه الشروط التي طلبها بن غنيم. وتم الاتفاق أن يترك بن غنيم دكانه لمحمد بن إبراهيم السبيسي. ولما كانت المدة التي سيقضيها بن غنيم في ديرته طويلة اقترح عليه الشيخ ناصر السبيسي أن يكون الربح مناصفة بينه وبين محمد، فلم يتردد بن غنيم، ووافق على العرض فوراً.

وصف الشيخ محمد هذه الشراكة فيما بعد بقوله: «وافقتُ على الاتفاق بيني وبين بن غنيم، ورضيت أن يتم من البضائع التي في الدكان من غتر وعقل وأقمشة بمبلغ ٩٥٠ ريالاً مع أنها لا تساوي في تقديرني أكثر من ٥٠٠ ريال.. إلا أنني وافقت على هذا العقد لقناعتي بأهمية هذه الشراكة، وعزمتُ على أن تكون بداية انطلاقي في عالم التجارة»^(١).

انضمّام عبد الله إلى أخيه في شراكة بن غنيم

١٩٣٦/١٣٥٥

أيقن محمد أن العمل بأمانة وصدق مع الناس يثمر ربحاً وبركة، وأصبح يبيع خلال شهر واحد ما يمكن أن يبيعه غيره في شهرين بعد التزامه منهجه البيع بربح أقل. ووجد محمد نفسه - وكان ذلك عام ١٣٥٥هـ - يفكر في ضم أخيه عبدالله إليه، وخاصة أن عبدالله على صغر سنه كان قد اكتسب خبرة تفوق سنه من كثرة ما زاول من أعمال في أكثر من مجال، ولكن بن غنيم كان يرى أن يدخل عبدالله العمل معهما موظفاً لا شريكاً لصغر سنه، ولكنَّ محمدًا أصر على أن ينضم إليه أخيه عبدالله في شراكته، وتكون حصتهما واحدة، فوافق بن غنيم.

انضم الفتى عبدالله إلى العمل مع أخيه محمد بعد أن تعلم مهارات البيع وفنون التجارة عند الغير، وأصبح يتمتع باسم وسمعة طيبة في سوق الجودرية، وبقي شغوفاً بالعمل، حريصاً على استثمار وقته في المفيد النافع، ولم يكن مثل بعض الشباب يميل إلى اللهو والمرح وتضييع الوقت في توافة الأمور، بل كانت الجدية والصرامة والحرص على تجنب ما يغضب الله هي طريقته وفلسفته في الحياة منذ صغره.

وقد وصف الشيخ عبدالله فيما بعد المبدأ الذي نشأ عليه في التجارة بأنه الأمانة والصدق لدرجة أكسبته هو وأخاه محمدًا ثقة تجار الجودرية المطلقة، فقال: «كنا

(١) «رحلة الفقر والغني»، مرجع سابق، ص ٤٧

نشرتني بضائعاً من تجار الجودرية أو غيرها بالدفع الآجل لكي ندفع لهم أسبوعاً حتى يكمل دفع مائة ألف، وكنا لا نؤجل موعداً ولا نخلف عهداً، حتى بلغت بهم الثقة أننا إذا أردنا أن نأخذ بضاعة عشرة آلاف بالآجل يقول لنا التجار: خذوا بمائة ألف بضاعة. فإذا طلبنا بمائة ألف، قالوا: لا، خذوا بمائة ألف، وادفعوا براحتكم. الأمانة والصدق مفتاح نجاحنا^(١).

توسيع نشاط العمل في دكان بن غنيم على يد الشقيقين محمد وعبد الله السبيعي، واستطاع الشقيقان تنويع تجارتھما، وأصبحا يشتغلان في المواد الغذائية إلى جانب كافة أنواع الأقمشة وكل ما يحتاجه الحجاج والزوار والمعتمرون عند عودتهم إلى أوطنهم، وقد استطاعا التركيز على استيراد المواد الغذائية حتى وصلا إلى مرحلة إرسال شحنات إلى أسواق الرياض والمنطقة الشرقية والكويت.

راعي بيروت..!

غاب سليمان عبدالله بن غنيم عن مكة المكرمة في الرياض فترة قاربت العام لظروف مرض زوجته التي سافر بها من الرياض إلى لبنان للعلاج، وكانت هذه بداية علاقته بلبنان، ولكن زوجته توفيت في لبنان. وبعد فترة، عاد بن غنيم من لبنان ليجد توسعًا في العمل التجاري أذهله، ورأى سمعة وثقة يتمتع بها الأخوان السبعان في السوق، كانت هي رأساً لها الحقيقي؛ لأنهما دونها ما كانوا يستطيعان الوصول إلى ما وصلا إليه من نمو سريع.

وببناء على ذلك، قرر سليمان عبدالله بن غنيم أن يترك دكان مكة للأخوين محمد وعبد الله السبيعي وهو مطمئن ليذهب إلى الرياض ويفتح نشاطاً جديداً لنفسه. وبالفعل ذهب إلى الرياض وزاول نشاطاً تجاريًّا جديداً، ومن الرياض انتقل بن غنيم إلى لبنان، حيث تزوج هناك سيدة لبنانية، وعمل بالتجارة حتى أصبح من الوجهاء، ثم فَوَّضَتْهُ الدولة لرعاية شؤون السعوديين في لبنان.

(١) حديث الشيخ عبدالله عن حياته، من تسجيلات الأسرة.



استمرت الشراكة بين بن غنيم والأخوين محمد وعبد الله السبيسي قرابة ٣٠ عاماً حتى قرر
الطرفان فض الشراكة عام ١٣٨٢ هـ الموافق ١٩٦٢ م بالمناصفة

وقد امتدت شراكة الأخوين محمد وعبد الله السبيسي مع بن غنيم إلى العقار،
فاشترى الشركاء عقارات في لبنان، إضافة إلى ما امتلكاه في مكة المكرمة وجدة.
وقد ذاع صيت سليمان عبدالله بن غنيم؛ ففي عام ١٣٧٣ هـ الموافق ١٩٥٤ م
أصبح لديه مكتب في عمارة إمبائر ستيت بيروت، خصصه لاستقبال السعوديين
القادمين إلى بيروت للعلاج، وأصبح من رجالات الدولة ذوي المكانة لدى
الملوك والأمراء، وأصبح يُعرف بين الناس بـ راعي بيروت..!

وكان الأخوان السبعان - كعادتها دائمًا - يتمتعان بالرضا والقناعة والسعادة
رغم أن حجم مبيعاتهم وتجارتهم في دكان الغnim كان محدودًا، حيث كانوا يبيعون
الشماغ بريال وربع، بينما يشترون بريال في تجارة الجملة، وكذلك كان ربحهما
من بيع المواد الغذائية قريباً من ذلك، ناهيك عن أن حركة البيع والشراء كانت
غير مستقرة، كونها مرتبطة بموسم الحج ونسبة الحجيج كل عام، والظروف
السياسية الدولية التي تؤثر في تلك النسبة.

امتداد العمل التجاري إلى الرياض

في عهد الملك سعود بدأت المملكة تعرف الطرق الممهدة، وتشهد تطوراً في حركة نقل الأفراد والبضائع، فبدأ الأخوان التفكير في إرسال بعض البضائع سهلة الحمل خفيفة الوزن التي يبيعونها في دكاكين مكة المكرمة إلى الرياض وغيرها من المدن البعيدة، ففتحوا بذلك نافذة غير تقليدية للربح والكسب الحلال، وبدأت تجارتها في التوسيع يوماً بعد يوم بشكل تدريجي، بمزيد من الصبر والاجد والعمل الشاق.

ظل عبدالله مؤمناً بضرورة أن يطور الإنسان نفسه، ويطوعها لمواكبة ما حولها من تطورات، لهذا شرع في تعلم لغات بعض الأقوام الذين يتربدون على أسواق مكة المكرمة في مواسم الحج والعمرة، فمثلاً نجده يتعلم بعض كلمات الترحيب باللغة الإندونيسية، فيفاخر الحجاج القادمين من إندونيسيا أو نيجيريا بكلمات وعبارات الترحيب بلغاتهم الأصلية، فيبعث فيهم الطمأنينة والسرور، ويزيل عنهم الرهبة، ويدفعهم إلى الإقبال على شراء ما يحتاجونه من دكان عمه، فتكون المحصلة أن وجوده أنشئ الحركة في الدكان، وضاعف من تجارتهم، فتضاعفت مكاسبهم، واتسع رزقهم من حيث لا يعلمون.

وقد اتسعت شراكة الشركاء، وزادت أرباحهم حتى أصبح لهم عقارات في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وعنزة وتبوك والدمام والرياض، ثم امتدت أملاكهم إلى لبنان بعد سفر بن غنيم إليها واستقراره هناك.

قمة الأمانة في الشراكة

من قصص أمانة الأخرين محمد وعبد الله السبيعي أن جاء أحد التجار إليهما يوماً، وقال لهم: أنتما شركاء بن غنيم في المحل التجاري فقط، ولكن الصفقات المربيحة من المواد الغذائية لا تدخل في شراكتكم مع بن غنيم؛ لأنها ليست في



اتسعت شراكة الشركاء، وزادت أرباحهم حتى أصبح لهم عقارات في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ومناطق أخرى في المملكة

مجال تجارتة، وإنما هي مجال جديد خاص بكم، وبإمكانكم أن تشتريا بهذا المال بيّتاً لأنه خاص بكم. فاعتذرنا له بأنها ملتزمان بشركة تجارية مع الرجل، ولا يستحلان لنفسيهما أيّ نوع من أنواع الربح أو غير الربح، حتى لو وصلتهما هدية فـ«بن غنيم» شريك فيها.

فض شراكة التجارة وبقاء شراكة الأخوة والمحبة

استمرت الشراكة بين بن غنيم والأخوين محمد وعبدالله السبيعي قرابة ٣٠ عاماً حتى قرر الطرفان فض الشراكة عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م بالمناصفة، وتركا له عقارات لبنان وحصلوا على ما يقاربها في المملكة، وتم فض الشراكة على يدي صديقين لهم، وهما سليمان بن إبراهيم القاضي وعبدالله بن محمد العوهلي وكاتب عدل اسمه محمد حريري، على أن يدفع الأخوان السبعان مقابل المناصفة مبلغًا قدره ٣٥٠ ألف ريال لـ«بن غنيم»، بواقع ٥٠ ألف ريال كل سنة، ولم يكن هذا مبلغًا هيناً في ذلك الوقت، ولكن الله بارك لهم في رزقهما، ودفعا كل ما عليهم في مواعيد السداد المتفق عليها..!

وظلت علاقة الأخرين محمد وعبدالله السبيعي متدة مع بن غنيم طوال العمر، فقد كان ينظران له كأخ كبير، وهم يحبانه ويوقرانه كمحبتهما وتوقيرهما لعمهما ناصر، وقد بادلها وفاء بوفاء وحباً بحب، حتى وهو في بيروت، وظلت تربط بينهم أواصر الود والأخوة إلى رحيل الشيخ سليمان عبدالله بن غنيم عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م، رحمهم الله جميعاً.

ويروى عن بن غنيم أنه بعد فض الشراكة وجد ٣٠ ألف ريال مقيدة في حسابه، ولا يوجد لها أصل في الكشوف والسنادات التي لديه، فردها للأخرين محمد وعبدالله السبيعي، ولكن الأخرين أعاداها إليه، وقالا إنها ليست لهم. وبالبحث في كشوف حسابات الرياض أعيدت إليه مرة أخرى. وهكذا عاش الشركاء الثلاثة على الصدق والأمانة في صدقة بن غنيم على مدى ٣٦ عاماً حتى تفاه الله عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م.

الشراكة الثانية

عبدالله وشراكة البحث عن الذات مع فهد بن دوس

(١٣٥٥-١٣٥٦ م = ١٩٣٦-١٩٣٧ م)

أثناء جندي ثمار الشراكة المباركة مع سليمان عبدالله بن غنيم، وهي شراكة بدأها وعقدها محمد السبيعي ثم ضم إليها أخاه الأصغر عبدالله،رأى عبدالله - ابن الثالثة عشرة عاماً - أن يقيم شراكة أخرى مماثلة مع طرف آخر يتسع بها عمل الأخرين في أكثر من اتجاه ما دام محمد قائماً على دكان الشراكة مع بن غنيم على أكمل وجه. وفي الوقت نفسه كان لـ «عبدالله» رغبة دفينة في تحقيق طموحه بنفسه له ولأخيه، كما فعل أخوه محمد من قبل مثلما قال في أحاديثه.

بحث عبدالله السبيعي عن شريك في دكان آخر بالقرب من دكانهما في الجودريه، ووجد في شخص فهد بن دوس صفات الأمانة والإخلاص والرجولة الحقة،



كانت الشراكة في نظر الأخوين السبعان ليست تجارة فحسب بل محبة وإخاء

فدخل معه في شراكة، وكانت تلك الشراكة أول دكان يديره عبدالله السبيعي منفرداً بإيجار سنوي قدره ٧٠٠ ريال. ثم عمل معه شاب يدعى عبداللطيف عبدالله عبداللطيف من أهل شقراء، وكان أول من عمل معه معاوناً.

عمل عبدالله السبيعي بهمة عالية في هذا الدكان، وتوسّع في بضائعه مثلما توسيع أخيه محمد في دكان شراكة بن غنيم، وأصبح الأخوان يشتريان البضائع من جدة محليهما في مكة المكرمة، وخاصة الشمع والعقل والمشالح والطواقي، ولكنه يراه مكسباً كبيراً جداً.

ثم بدأ الأخوان معًا يصدّران بضائعهم إلى الرياض على متن سيارات كبيرة للشحن، فيأخذ السائق بضائع التجار مقابل مبلغ يتقدّمه من المشتري في الرياض. أما في حال البضائع القادمة من الرياض فإن السيارات تضعها في قهوة في منطقة السيل قرب الطائف، ثم تحملها الجمال عبر طرق جبلية صعبة - لكن مختصرة - إلى مكة المكرمة.

ولم تستمر شراكة عبدالله مع فهد بن دوس طويلاً لأنّه شغله شرطة بالعمل مع أخيه في شراكتهما مع بن غنيم، فضلاً عن أنها كانا يفكران في الاستغلال بالصرافة، وتأسيس شركة تحتاج إلى وقتها معًا، فكان الانفصال عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م بعد حوالي ستين من الشراكة مع بن دوس.

الشراكة الثالثة

في المواشي مع الشبرمي والسفر إلى السودان والصومال



وَجِدَ الْأَخْوَانُ فِي تنويع تجارتِهَا نِجَاحًا وَرِبَحًا وَمُتَعَةً، كَانَتِ الْبَدَائِيَّة بِتِجَارَةِ الْمَسَالِحِ وَالْمُسْتَلِزَمَاتِ الرَّجَالِيَّةِ، ثُمَّ أَضَافَا إِلَيْهَا تِجَارَةَ الْقِمَاشِ بِأَنْوَاعِهِ، ثُمَّ تِجَارَةَ الْمَلَابِسِ الْجَاهِزَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ دُخُولُهُمْ بِقُوَّةٍ فِي تِجَارَةِ الْمَوَادِ الْغَذَائِيَّةِ مُثْلَ الْأَرْزِ وَالسَّكَرِ وَالشَّعِيرِ الَّتِي أَتَاحَتْ لَهُمُ التَّصْدِيرَ إِلَى مَنَاطِقِ الْمُلْكَةِ الْأُخْرَى، وَأَضَافَا إِلَى الْمَوَادِ الْغَذَائِيَّةِ اسْتِيرَادَ الْجِبَنِ الْهُولَنْدِيِّ مَارْكَةَ كِرَافَتِ الْمُحْبُوبَةِ لَدِيِّ أَهْلِ الْحِجَازِ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ تِجَارَتِهِمَا عَامَةً فِي أَيِّ بِضَاعَةٍ يَعْتَقِدُنَّ أَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ فِي السُّوقِ.

وَفِي هَذِهِ الْفَتَرَةِ، تَعْرَفُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّبَرَمِيِّ - مِنَ الْقَصِيمِ - الْخَبِيرِ فِي تِجَارَةِ الْمَوَاشِيِّ وَمَعْرِفَةِ أَنْوَاعِهَا وَأَجْوَدِهَا، وَعُرِفَ السَّبْعَانُ مِنْهُ صِدِّقًا فِي الْمَعَالِمَةِ وَأَمَانَةِ الْقَوْلِ وَالْمَالِ. وَلَا وَجَدَا أَنَّ الشَّبَرَمِيَّ يَمْتَلِكُ الْخَبْرَةَ لَكِنَّ يَنْقُصُهُ رَأْسُ الْمَالِ، فَقَرَرُ حَالِيَّهُ مُشارِكتِهِ فِي مَجَالِ اخْتِصَاصِهِ، فَوَافَقَ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَتْ شَرَاكِتَهُ مَعَهُ

أول شراكة متخصصة في مجالها، وفتح الله للشركاء الثلاثة رزقاً واسعاً للخير، فقد هب الشبرمي يستثمر مال الشراكة ويستورد أجود أنواع الغنم والإبل والبقر. وقام عبدالله السبيعي بالسفر معه إلى السودان والصومال وكينيا لشراء الجمال والغنم وتحميلها في الباخرة إلى ميناء جدة، وتتابع في جدة ومكة المكرمة والطائف والرياض. وكان ذلك السفر أول خروج لعبدالله السبيعي من المملكة.

كان سفر الشريكين بالباخرة من ميناء جدة إلى ميناء بور سودان وشندي، ثم انطلقا من بور سودان بباخرة صغيرة إلى بربرة بالصومال، ثم ذهبوا إلى العاصمة مقديشو.. يصف الشيخ عبدالله المعيشة والطبيعة في البلدين بأنها متشابهة، ففيهما تكثر الماشي والأغنام والجمال، وهي رخصة الثمن، ولهذا فإن معظم أكل أهل السودان والصومال يحتوي على اللحوم^(١) وقد بلغت سمعة مواشي السبيعي والشبرمي كل مناطق المملكة لما يقدمونه من مصداقية والتزام بما هو مطلوب منهم فيما يبيعون من مواشي حتى وصلت إلى الجهات الحكومية، فاختارتهم وزارة الدفاع متعهددين لتوفير اللحوم التي تحتاجها الوزارة في عدة مناطق من المملكة. ثم أصبحوا بعد ذلك متعهددين لتوفير الملابس لوزارة الدفاع أيضاً.

ظل الشيخ عبدالله السبيعي يُثنى على أخلاقه وأمانة عبدالرحمن الشبرمي ويرطب لسانه عند ذكره ويترحم عليه، ويردد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ثالث الشريkin ما لم يحن أحدهما صاحبه». وما يرويه الشيخ عبدالله عن حرص الشبرمي على حق الغير وأمانته، أن الغنم تخرج دفعات من الباخرة وأغنام كل تاجر تحمل رقمًا معيناً، فإذا رأى الشبرمي أغناماً لغيره دخلت حوشه أعادها ل أصحابها، بينما يتوجه الغير ذلك، ويحتجزون ما دخل إلى أحواشهم، فلا يعودونها إلى أصحابها.

(١) معلومات أرشيف مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية.

وكان الشبرمي حريصاً على عدم إيداء جيرانه، فلما بلغه تأذى جيرانه من الروائح التي تصل من حوش الأغنام، انتقل فوراً إلى حوش في كيلو ٣ بجدة، وهو مكان بعيد عن المنطقة السكنية؛ حتى ولو كان في ذلك مشقة عليه.

فتحت تجارة المواشي أمام الشاب عبدالله السبيعي أبواباً للتجارة لم يعهد لها من قبل، وشملت أنشطته التجارية العمل في استيراد وتوريد المواد الغذائية المختلفة كالأرز والسكر والحليب والأجبان وغيرها من السلع الضرورية لحياة الناس اليومية، مستفيداً من التيسيرات والحوافز التي كانت تقدمها الدولة للتجار تحفيزاً لهم على سد النقص في جميع المجالات، لا سيما وأن التوسع العمراني والزيادة السكانية كانت في ازديادٍ مطردٍ.

الشراكة الرابعة

مضيوبي حدوب الصومالي وعبدالباسط السوداني

أثناء شراكته مع عبدالرحمن الشبرمي تعرف الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي في إحدى أسفاره التجارية إلى السودان على تاجر مواشي يُدعى مضيوبي حدوب من الصومال، وأعجب بأخلاقه وتعامله بعد أن اشتري منه أكثر من مرة. ثم اقترح عليه أن يدخل معه شريكاً في توريد الماشي إلى المملكة، واتفقا على الربح مناصفة؛ بحيث يكون النصف الآخر للسبيعي والشبرمي، وقد بارك الله للشريك في رزقهم لصدقهم وأمانتهم. ثم توسيع الشراكة بينهما، فشملت توريد المحاصيل الزراعية وخاصة الذرة والسمسم إلى المملكة. وقد استمرت هذه الشراكة بنجاح قرابة خمسة عشر عاماً حتى اتفق الشريكان على فضها بمودة وإخاء ومحبة لم تقطع بعد فض الشراكة.

وفي هذه الفترة، تعرف الشيخ عبدالله خلال زياراته المتعددة للسودان على بعض التجار الذين توسم فيهم خيراً، ورأى في معاملاتهم صدقًا في الوفاء

وإخلاصاً في العمل، وهذا ديدن معظم الأخوة السودانيين وأخلاقهم. ومن هؤلاء الذين تعامل معهم رجل أعمال فاضل لا يتوفّر لنا إلا اسمه الأول، عبد الباسط، وهو من تجار السودان. تم شراء أرض معه بمبلغ مليون دولار، رصد الأخوان السبعان عائداتها لأعمال خيرية في السودان، لكن المشروع لم ينجح لأسباب عده، ولا تزال الأرض قائمة إلى اليوم^(١).

الشراكة الخامسة

مع عبدالله السويح في المقاولات

عبدالله بن محمد السويح رجل فاضل على خلقه، ويتمتع بسمعة طيبة وعلاقات كثيرة، ويعيش متقدلاً بين تبوك في المملكة والأردن، وقد ارتبط معه الأخوان السبعان في شراكة محدودة في مناقصات تجديد مياه لوزارة الزراعة في الرياض والحساء، والفوز بمناقصة توريد الملابس لوزارة الدفاع، وتمنت - في هذه الفترة - مناقصة إعاشة الجيش في تبوك، واستمرت الشراكة ١٥ سنة، وانتهت كسابقاتها بالحسنى والتسامح وحفظ الإخاء.

شراكة علي حسن بابطين في المدينة المنورة

عندما فكر الأخوان السبعان في فتح فرع بالمدينة المنورة، وقع اختيارهما على أحد موظفي مكتب الصرافة بشارع قابل بجدة، وهو الشاب علي بابطين الحضرمي الذي لفت نظرهما ببنائه وحماسه في العمل. وبالفعل نجح العمل في فرع المدينة المنورة للصرافة والأقمشة نجاحاً كبيراً على يديه، وانقضت الشراكة بينهم على حب وإخاء بعد افتتاح بنك البلاد، وأصبح علي بابطين رجل أعمال مستقل.

(١) حديث مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله السبيسي في منزله بجدة، عن حياة والده، ٢٥/٩/٢٠٢٣م.

التعامل الحكومي والتتوسيع الإقليمي

بمرور الزمن وبعد فتح فرع الشركة بجدة - وهو ما سنأتي لتفصيله في الباب القادم - توسع عمل الأخوين محمد وعبدالله السبيعي في الصرافة، واكتسبا سمعة طيبة، وأصبحت سمعتها في الصرافة امتداداً للسمعة والثقة التي تمتّعا بها في أعمال التجارة العامة، وأصبحت لشركة السبيعي المصرفية معاملات مع الشركات والجهات الممثلة في المناطق الأخرى، فتعاملوا مع رواد العمل المصرفي في الرياض أمثال صالح الراجحي، وعبدالعزيز المقرن، وعبدالعزيز سليمان الحقباني، وعبدالعزيز الشقرى. وفي الأحساء مع محمد وعبدالرحمن المطلق.

ومثّلما كانت لها معاملات تجارية مع الكويت لحق بها العمل المصرفي، أصبحت لها معاملات مع رواد العمل المصرفي هناك مثل عبداللطيف الشايع، وعبدالرحمن الزامل، وعبدالعزيز المزيني، وصالح العبدلي.. وغيرهم. وفي هذه الفترة امتد نشاط الشركة المصرفي إلى لبنان، وقد ساعدتها على ذلك وجود شريكها الأول سليمان عبدالله بن غنيم في لبنان.

ولم يكن وقتذاك في المملكة بنوك دولية تعامل معها المصارف المحلية إلا البنك السعودي الهولندي في جدة، والذي ظهر بداية بسمى الشركة التجارية الهولندية، وهي شركة مستقلة بدأت بتقديم خدمات بنكية لحجاج إندونيسيا عندما كانت مستعمرة هولندية قبل أن تنال استقلالها عام ١٣٦٤ هـ الموافق

. م ١٩٤٥

الفصل الثاني عشر

الحياة الزوجية

وعد الله الصابرين الم توكلين عليه بيسرين لا يسرّ واحد، فاكمي ربي باليسر الأول في زوجتي (أم إبراهيم)، وأردف عز وجل فضله على بيسر الثاني في زوجتي (أم صالح)، فتيسرت أمور حياتي معهما ، فلا يغلب عسر بيسرين .

عبد الله بن إبراهيم السبعي





تزوج الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي من نوره بنت علي صالح العايد أم إبراهيم وبعد عدة سنوات تزوج زوجته الثانية لولوة بنت عبدالعزيز بن عبدالله السبيعي أم صالح، وقد رزقه الله من زوجته الأولى ولدين ومن الثانية أربعة ذكور وسبع إناث بارك الله فيهم جميعاً. وكان لكل زيجية في حياته قصة سنعرض لها.

قصة زواجه الأول

بعد زواج أخيه الأكبر محمد بدأ عبدالله يفكر في الزواج بإلحاح من أمه وبتشجيع من أخيه محمد، ومثلما عرفنا في طاعة هذين الشقيقين محمد وعبدالله لأمها وحرصهما على البر بها، فقد استجاب عبدالله ووافق على الزواج، وإن كان يرى أنه لا يزال صغير السن.

محاولة الزواج من مكة المكرمة

رحب الشاب عبدالله السبيعي في الزواج في مكة المكرمة، لحبه لمكة من جهة ولمعرفته بأهلها من اختلاطه بهم منذ صباحه من جهة أخرى، فلم تعترض والدته، وترك لها اختيار الفتاة والعائلة التي ترضاهما له، فاختارت له فتاة من أهل مكة تعود جذور عائلتها إلى القصيم. بالفعل ذهب عمها ناصر والدته إلى هذه الأسرة الكريمة، والتقت والدته بوالدة الفتاة، وصعقت نوره العماش بشرط أم الفتاة، فقد اشترطت أن ابنتها لا تطبع ولا تغسل الثياب في الطسّ (التشت). وخرجت نوره العماش من بيت أهل الفتاة، وكأن أحداً قد ضرّ بها على رأسها من شدة ذهوها مما سمعت. وأبلغت ابنها عبدالله بما سمعت، فقال: الخيرة ما اختاره الله يا أماه..!

العودة إلى مخانى الصبا

نصحت نورة العماش ابنها باختيار زوجة من موطن جذوره وأهله، وبعد فترة وجيزة توجه عبدالله مع والدته إلى عنيزه. كان السفر لمسافات طويلة في ذلك الوقت قطعة من العذاب، لم تكن هناك سيارات تنقل الناس مباشرة إلى القصيم، كانت سيارات لوري بعضها حكومي وبعضها خاص تنقل البضائع والفاواكه من مكة المكرمة في الحجاز إلى الرياض مروراً بالدوادمي ومراة من بلدان الوشم.

وبينما هما في الانتظار بمحطة السفر بمكة المكرمة جاء فرج الله، وو جدا سيارة فورد موديل سنة ١٩٤١ على وشك المغادرة إلى عنيزه، ويدرك الشيخ عبدالله أن اسم سائقها عبدالله القعاوي، وكانت محملة بالفاواكه ولا مكان فيها للركاب، ولكن الرجل أشفق عليهما، وقام برص صناديق الفاكهة فوق بعضهما لتوسيع المكان لجلوسهما فوق بعض الصناديق. وكان في وداعهما عمه ناصر وأخوه محمد الذي عبر عن فرحته بهذه الأبيات:

سافروا بمظل واحد وأربعين	ليلة الجمعة بعاشر من صفر
دارنا الفيحا مقر الغامدين	ناحر دار عساها للمطر
نورهم واللي بجنبه راكبين	يا الله أي طالبك تaciي الخطر
ردكم ربى بتوفيق الأمـر	عجلوا يا خوي وأضواها الأمـر

وانطلقت بهم السيارة المحملة بالأثقال تسير ببطء في طرق رملية وجبلية وعرة متعرجة حتى وصلوا بعد أيام شاقة إلى مرات، وقد نال منها التعب؛ حيث كان فيها قلب عبدالله يتقطع شفقة بأمه. وفي مرات نصحهما السائق بالنزول فيها ليركبا إحدى السيارات القادمة من الرياض التي توقف في مرات في طريقها للقصيم بدلاً من النزول في الدوادمي وركوب الجمال منها إلى القصيم. وبالفعل كانت نصيحة السائق صائبة، وو جدا سيارة نقل تذهب مباشرة إلى

عنيزة. كانت رحلة أخرى شاقة بين صناديق البضائع استغرقت يومين كاملين نال منها فيهما التعب والإرهاق ما لا يمكن وصفه، ولكنها وصلاً عنيزه أخيراً، وكانت فرحة الوصول والهدف الذي قدمها من أجله كفيل بالتحفيف من تعبها.

وفي عنيزه طافت بعبدالله ذكريات الصبا، وسار مع أمه في الأزقة التي عرفت طفولته، وجددت نورة العماش العهد بصداقاتها وزارت أهلها وأقرباءها، ونظرت في بنات الأسر الكريمة، وسألت، ولكنها أصبحت بخيئة أمل أكثر من مرة، فقد وجدت أنها كلما وقع اختيارها على فتاة رفض أهلها فكرة السفر إلى جدة، فقد كان الحجاز بالنسبة لهم بعيداً جداً لطول المسافات ومشقتها.

وأخيراً وقف نظرها عند فتاة من أسرة كريمة فاضلة، فتاة ي蒂مة الأب مثل عبدالله، وجدت نورة العماش من أمها قبولاً بسفرها معهم إلى الحجاز. هذه الفتاة هي نورة بنت علي صالح العايد، ووصفتها لعبدالله، فقال لها: توکلي على الله يا أماه.

الزواج في عنيزه

تمت الخطوبة والزواج في غضون آخر شهر صفر سنة ١٣٦٣هـ. كانت نورة بنت علي صالح العايد صغيرة في السن، في حوالي الخامسة عشرة من عمرها، وزوجها عبدالله في نحو العشرين من عمره. كانت عادات الخطوبة والزواج بسيطة في ذلك الوقت في القصيم، فتم كل شيء بيسير، وكانت الترتيبات أن يصطحب العريس عروسته للعيش معه في مكة المكرمة.

فلما جاء موعد السفر خافت الفتاة لصغر سنها، وهربت منهم؛ كانت لا تريد أن تبتعد عن أهلها، ولا تحب أن تفارق بلدتها عنيزه وتنتقل إلى مكة المكرمة بعيداً عنهم. وحدث اضطراب في البحث عن العروس وإرباك للعريس وأهله، فقد كاد عبدالله أن ييأس وهو يرى أن محاولة الزواج الثانية قاربت أن تفشل. وبعد فترة وجيزة وجدوا العروس مختبئه في بيت بعض أقربائها.

وقررت نورة العماش البقاء عدة أيام في عنيزه حتى تطمئن العروض، وتهدا نفسها، وتقتتن بالسفر بعد أن يقوم أهلها بتطمينها بأنها لن تغيب عنهم كثيراً، وأنهم قادمون إليها بمكة المكرمة قريباً لأداء العمرة وسيكونون معها. ونجحت الخطة، وهدأت الفتاة، وبعد أيام قليلة شد عبدالله السبيعي ووالدته وزوجته الرحال إلى مكة المكرمة في سيارة لوري كبيرة تحمل البضائع والناس في آن واحد، ولم تكن في ذلك الوقت وسائل نقل أفضل من ذلك..!

ومثلاً حالفهم الحظ في الذهاب حالفهم الحظ في الإياب بدلاً من ركوب الجمال، فقد وصلت إلى عنيزه من الرياض سيارة حكومية لتقل القائد العسكري محمد الشميري (١٩١٩-٢٠١٦م) إلى مكة المكرمة، فركبوا معه شاكرين، وبعد أن قطعت السيارة مسافة ٢٠٠ كيلو متر، توقف السائق وطلب منهم تخفيف الحمل على السيارة؛ لأن إطاراتها لم تعد تحتمل، فاضطروا إلى ترك التمور التي بحوزتهم على قارعة الطريق في الصحراء وهم يتأملون، لكن ما خفف عليهم أن دعوا الله أن يعثر عليهما من يستحقها فيفك بها كريراً أو يطفيء بها جوعاً..!

ميلاد الابن البكر إبراهيم ١٣٦٤ھ/١٩٤٥م

في بيت بشعب عامر حيث يسكن كثير من أهالي القصيم بمكة المكرمة كان أول بيت سكنه العروسان مع أخيه محمد وزوجته. وما لبثت الفتاة سنة وشهور قليلة حتى حملت وأنجبت مولوداً ذكرًا أطلق عليه عبدالله السبيعي اسم والده، فسماه إبراهيم^(١)، وكان ذلك في آخر سنة ١٣٦٤ھـ. وقد سجل الشيخ عبدالله إبراهيم السبيعي بصوته قصة زواجه الأولى وهروب الفتاة وعودتها وما حدث في هذه الليلة، كما سجل بعض القصص الأخرى.

كان إبراهيم هو أول ثمرة لزواج عبدالله السبيعي بزوجته الأولى نورة بنت علي صالح العايد، فهو أكبر الأبناء، وليس له إلا أخ شقيق واحد، وهو

(١) عبدالله إبراهيم السبيعي: عضو مجلس إدارة «شركة مكة للإنشاء والتعمير». وكان عضواً في مجلس إدارة كل من: «شركة الأسمدة العربية المحدودة»، و«شركة جبل عمر للتطوير»، و«بنك الجزيرة»، و«بنك البلاد»، و«غرفة جدة». كما عمل نائباً لمدير أحد فروع «البنك السعودي الأميركي».

خالد، وبينهما أكثر من عشرين عاماً، وبقية إخوته من أبيه فقط. وقد تعلم إبراهيم قبل دخوله المدارس على يد أبيه، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية النموذجية في السبعة قصور، وهذه القصور^(١) تبرع بها الملك سعود بن عبدالعزيز لإدارة تعليم جدة بوزارة المعارف،



إبراهيم بن عبدالله إبراهيم السبيعي ودرس إبراهيم في مدارس الشغر بعد العودة من لبنان، وكانت هذه المدرسة النموذجية في البغدادية الغربية التي كانت من أرقى أحياط جدة.

الحياة مع أم إبراهيم في جدة

عاش الشاب عبدالله السبيعي مع زوجته الصغيرة في مكة المكرمة حياة بسيطة مثلهم مثل كل أسرة محافظة من أهل القصيم، زوج يحترم زوجته، وزوجة مطيعة لزوجها، وكانت نورة العايد أم إبراهيم تميز بالبساطة والقناعة، واحترام زوجها، وحبه وتقدير انشغاله بعمله، وفي الوقت نفسه كان زوجها الشاب عبدالله يعاملها معاملة كريمة طيبة، ملتزم بالهدى النبوى ما وسعه ذلك.

ولما تعب الشقيقان من السفر إلى جدة من مكة المكرمة لمتابعة عمل مكتبهما الذي افتتاحاه لشركتهما في شارع قابل، قررا الانتقال إلى جدة والسكن بها للظروف والأسباب التي شرحتها في فصل سابق. ويشهد

(١) توزعت هذه القصور السبعة إلى: مدرسة النموذجية الابتدائية، ومدرسة الفاروق المتوسطة، ومدرسة الثانوية التجارية، والوحدة الصحية، وإدارة التعليم.. وغير ذلك. وكانت هذه المدارس تضم بين جدارتها أبناء جدة من جميع الطبقات.

ابنها إبراهيم بن عبدالله السبيعي^(١) أن والده ووالدته عاشا معاً حياة طيبة يكتنفها الاحترام والتقدير وتحوطها المودة والرحمة، وأنه لا يذكر أبداً يوماً حدثت بينهما مشادة، أو أن والده نهر والدته أو أغضبها أو أغلط عليها أو أسمعها كلمة نابية.

عاش الزوجان عبدالله السبيعي ونورة العايد سعیدین، وإلى جانبها ابنها الوحيد إبراهيم، ومرت السنون وعبدالله مشغول بعمله التجاري في تطور مطرد، وزوجته إلى جانبه تدعمه بالصبر والرعاية والتقدير، وتشترك مع زوجة أخيه محمد في كل مسئوليات البيت مناصفة حتى أصبحتا تعيشان كأختين متحابين تحت رعاية والدة زوجيهم الفاضلة نورة العماش. عاشوا جميعاً خمس سنوات في بيت السحيمي بالكندرة إلى سنة ١٣٨٠هـ ثم انتقلوا جميعاً أيضاً إلى بيت الرئيس الذي بناه الشقيقان محمد وعبدالله.. عاشوا جميعاً حياة أسرة واحدة سعيدة لا أسرتين لأخوين.

الخاطر الذي كان ينخص حياة أم إبراهيم

مرت سنوات طويلة ولم تحمل أم إبراهيم بعد حملها بإبراهيم، وانتابها قلق من ذلك، وذهبت للأطباء المحليين فلم تصل إلى نتيجة. وكانت حريصة على مشاعر زوجها، وتعرف رغبته في الإنجاب، فهو رجل أعمال ويحتاج إلى أولاد يقفون إلى جانبه. وهي تقدر وتعرف مراءاته لمشاعرها، وعدم مصارحتها برغبته. ولهذا صارت ممانعتها إن رغب في الزواج. وكان هذا الأمر يحول بخاطره، ويتدأول الحديث فيه مع والدته. فكانت الخيرة فيما اختاره الله، فخطب لولوة ابنة ابن عميه عبدالعزيز بن عبدالله السبيعي بمكة المكرمة، وتزوجها سنة ١٣٧٣هـ.

السفر بأم إبراهيم إلى بيروت لعدة شهور ١٣٧٦هـ

أصيّت أم إبراهيم بمرض في الكليتين، وعجز الأطباء المحليون عن علاجه. وكان هذا المرض بسيطاً، ويمكن علاجه، ولكن استفحّ لأنه لم يُكتشف إلا

(١) من حديث معه في منزله بجدة يوم ٢٨/٢/٢٠٢٣م.



عبدالله السبيعي في بيروت وبجواره ابنه إبراهيم في صباه وأمامهما الصديقين عبد العزيز المقلين وأبا حسين

بعد سنوات طويلة. وفي هذه الفترة كان الشقيقان محمد وعبدالله السبيعي يرتبان مع سليمان بالغnim بشراكه تجارية امتدت من مكة المكرمة إلى لبنان كما سبق أن ذكرنا تفاصيلها. اقترح بالغnim على شريكه عبدالله السبيعي أن يسافر بزوجته

للعلاج في لبنان. وكان عبدالله لا يزال يسكن في بيت السحيمي بالكندرة بجدة، وبالفعل سافر بزوجته وابنهما إبراهيم إلى لبنان. وفي إحدى مستشفيات بيروت تم اكتشاف المرض المزمن في إحدى كليتيها، فقد كانت مصابة بمرض أدى إلى إتلاف الكلية وتعطلاها عن القيام بوظيفتها.

اقتضت حالة أم إبراهيم الصحية أن تبقى في بيروت فترة طويلة لمواصلة العلاج، فترك عبدالله السبيعي زوجته هناك ومعها ابنها إبراهيم بعدما ألحقه بمدرسة داخلية اسمها بيت الأطفال التابعة لجمعية المقاصد الإسلامية، وعاد هو إلى عمله في جدة.

كان سكناً لهم بيروت في إحدى العمارت المملوكة للشركة بالغnim ومحمد وعبدالله السبيعي، كانت هذه العمارة مكونة من سبعة أدوار، كان الدور الأول منها مكاتب للشركة، والثاني سكاً للموظفين، والدور الثالث للاستضافة، والأخير يسكنه بالغnim. تقع هذه العمارة في منطقة تسمى وطا المصيطبة بشارع البستانى جهة الحمراء الشهير في بيروت. أما مكتبه فكان في عماره الصحناوي في شارع النبي في بيروت، قرب الكورنيش، بجوار السوليدير الآن، وهذا المكتب

كان يعمل أثناء شراكة الشقيقين مع بالغين. وأثناء فترة العلاج في بيروت وجد الأطباء أنها مصابة بمرض في الغدد، فتم علاجها، ولكن لم يكن أحد يعلم أن هذه الإصابة في الغدد كانت السبب الحقيقي في عدم قدرتها على الإنجاب مرة أخرى. وتم بحمد الله استئصال الكلية المصابة بالمرض، كما تم علاج الغدد، ثم عادت بعد ذلك إلى جدة بعد تمايلها للشفاء.

حمل أم إبراهيم وإنجاب ابنها خالد ١٣٩٣/٥٥١٩٧٣م

بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على مولد ابنها الأول إبراهيم، رزقها الله سبحانه بولد آخر، وهو خالد^(١). وقد تزوج الابن البكر إبراهيم بابنة عمه هدى بنت محمد السبيعي، أما خالد فزوجته جمانة بنت سليمان العايد. وعاشت أم إبراهيم مع زوجها مدة من الزمن، ثم توفيت قبله بسنوات طويلة رحمة الله، بينما عاشت معه زوجته الثانية أم صالح، لولوة بنت عبدالعزيز بن عبدالله السبيعي، وما زالت على قيد الحياة، حفظها الله.



خالد بن عبدالله إبراهيم السبيعي

(١) خالد عبدالله إبراهيم السبيعي: عضو مجلس الإدارة في «مجموعة إيمز القابضة» من ٢٠٠١م بالملكة العربية السعودية. بدأ حياته المهنية عام ٢٠٠٠م بعد تخرجه من الجامعة؛ حيث عمل مشرفاً على القطاع العقاري في «شركة محمد وعبدالله إبراهيم السبيعي» في جدة. ثم في عام ٢٠٠٣م انتقل للعمل في مدينة مكة المكرمة مديرًا إقليميًّا لنشاطات «مجموعة إيمز القابضة»، ثم انتقل إلى جدة عام ٢٠٠٩م وأصبح مشرفاً على قطاع الاستثمارات المالية. يشغل عضوية مجلس إدارة «بنك البلاد»، ومجلس الأمانة في «مؤسسة محمد وعبدالله إبراهيم السبيعي الخيرية»، وكان عضواً في مجلس إدارة «الشركة السعودية للسيارات - ساسكو».

الزوجة الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م

لولوة بنت عبدالعزيز السبيعى أم صالح

الزوجة الثانية هي ابنة ابن عمه لولوة بنت عبدالعزيز بن عبدالله السبيعى؛ والدها صاحب دكان أقمشة في الجودرية. وحرصاً من عبدالله السبيعى على عدم جرح مشاعر زوجته الأولى أم إبراهيم - رغم موافقتها - آثر أن يكون الزواج في مكة المكرمة بحارة السليمانية حيث يقيم أهل العروس. وبعد عدة أيام انتقلت الزوجة الثانية (لولوة بنت عبدالعزيز بن عبدالله السبيعى) للعيش مع أم إبراهيم في بيت واحد، وهو بيت الميرة في بشارع المخزومي وسط البلد، ثم تم الانتقال منه إلى بيت السحيمي بالكندرة.

حياة الزوجتين كأختين في بيت واحد

حيث يلقى الإيمان بظلاله على أهل بيته من المسلمين يسكن قلوبهم الرضا بما قسم الله لهم، فيعيشون في سلام ووئام ومحبة لا يشوبها مطعم من المطامع التي تعصف بقلوب الناس فتفرقهم. في ظلال هذا الإيمان عاشت زوجتا عبدالله السبيعى الذي أقام بينهما العدل، لا تميل له كفة إلى إحدى الزوجتين فتشير غيرتها، ولا تميز يخص به واحدة دون الأخرى، فقد كان يتقى الله فيهما مهتمدياً بسلوك نبيه ﷺ قدر ما يستطيع، باستثناء الأخطاء البشرية التي تقع من كل إنسان. وقد رزقه الله منها البنين والبنات، وهم بالترتيب:

حصة: توفيت طفلة في أيامها الأولى.

هند: زوجة ابن عمها إبراهيم بن محمد السبيعى^(١).

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السبيعى: رجل أعمال بالعلم والخبرة عاصر مسيرة والده التجارية الناجحة، وشارك في كافة مراحلها و مجالاتها حيث كان الذراع الأيمن لأبيه إلى جوار أخيه في تأسيس شركة محمد السبيعى وأولاده للاستثمار (ماسك) سنة ٢٠٠٦م وهو عضو مؤسس في كثير من الشركات الرائدة خاصة في مجال التطوير العقاري.

بدرية: زوجة ابن عمها ناصر بن محمد السبيعي^(١).

منى: زوجة د. سليمان بن عبدالعزيز السحيمي^(٢).

صالح^(٣): زوجته وفاء آل عبدالله.

سلوى: زوجة محمد آل عبدالله^(٤).

(١) ناصر بن محمد بن إبراهيم السبيعي: رئيس مجلس إدارة بنك البلاد، عضو مجلس إدارة شركة محمد إبراهيم السبيعي وأولاده، رئيس مجلس إدارة شركة ذا خر للاستثمار والتطوير العقاري، عضو مجلس إدارة في مجموعة من الشركات ذات المسؤولية المحدودة؛ مثل شركة «مشاريع الأرجان»، وشركة «ماسك» المحدودة. عضو مجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، عضو لجنة الاعتراضات بالمؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، وعضو مجلس إدارة الشركة السعودية للفنادق والمناطق السياحية، وعضو مجلس إدارة شركة أكون العقارية.

(٢) د. سليمان بن عبدالعزيز السحيمي: بكلالوريوس في الطب الجراحة عام ١٩٨٢ م من «جامعة الملك فيصل»، زمالة في طب الأسرة والمجتمع ١٩٨٧ م، عضو «جمعية الصحة العامة الأمريكية» منذ عام ١٩٨٩ م، وأستاذ مساعد في «جامعة الملك فيصل» ١٩٨٧ م - ١٩٩٠ م، ونائب مدير الكادر الطبي في «مستشفى الملك فهد التخصصي» ١٩٩٠ م - ١٩٩٣ م، عضو في مجلس إدارة «المجلس الصحي السعودي» و«الاتحاد السعودي للطب الرياضي» ٢٠٠١ م - ٢٠٠٨ م، عضو مجلس أمناء «الميثة السعودية للتخصصات الصحية» منذ عام ٢٠٠٩ م. تولى منصب رئيس مجلس إدارة «مدارس الرياض» ٢٠٠٩ م - ٢٠١١ م. وشغل منصب مستشار في مكتب «وزارة الداخلية»، ومدير عام «الإدارة العامة للخدمات الطبية» في الوزارة ذاتها ٢٠١٨ م - ٢٠٢٠ م.

(٣) صالح عبدالله إبراهيم السبيعي: رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب في «مجموعة إيمز القابضة» من ٢٠١٢ م. عضو اللجنة التنفيذية لـ«شركة المجموعة الوطنية للاستزراع المائي»، عضو مجلس إدارة «شركة جرهم للتنمية والتطوير». بدأ حياته المهنية عام ١٩٩٠ م حيث انتقل للعمل في مدينة الدمام بعد تخرجه من الجامعة، ثم أصبح المدير الإقليمي والمسؤول عن نشاطات «مجموعة محمد وعبدالله إبراهيم السبيعي» في المنطقة الشرقية. كما عمل رئيساً لمجلس إدارة «مصنع المتعدد لمواد البناء» عام ١٩٩٨ م. وفي عام ٢٠١١ م تم تعيينه رئيساً تنفيذياً للقطاع العقاري في «مجموعة إيمز القابضة» حتى عام ٢٠١٤ م. وشغل منصب رئيس مجلس إدارة «شركة مصنع المدينة المنورة للسجاد» بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٩ م، وكان عضواً لمجلس إدارة «شركة نماء للكيماويات»، حصل على بكلالوريوس في إدارة الأعمال من «جامعة الملك عبدالعزيز» في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٨ ..

(٤) محمد آل عبدالله: مدير وشريك مؤسس في شركة «نهيل الرياض العقارية». وشريك مؤسس في شركة «خيرات عكل للمواد الغذائية» .



منصور بن عبدالله السبياعي



فهد بن عبدالله السبياعي



صالح بن عبدالله السبياعي

نجلاء بنت عبدالله السبياعي: زوجة م. حماد بن عمر السماحي^(١).
 ريم بنت عبدالله السبياعي: زوجة عبد الملك بن عبدالعزيز القاسم^(٢).
 فهد بن عبدالله السبياعي: ^(٣) زوجته مشاعل بنت خالد النويصر .
 منصور بن عبدالله السبياعي^(٤)
 نوره بنت عبدالله السبياعي: زوجة سعود بن محمد الشقرى^(٥).

(١) حماد عمر السماحي: بكالوريوس هندسة طيران، مهندس بالخطوط الجوية العربية السعودية.
 (٢) عبد الملك عبدالعزيز القاسم: بكالوريوس في العلوم الأمنية، عميد متتقاعد بجوازات المطارات.
 (٣) فهد عبد الله السبياعي: نائب رئيس مجلس إدارة إيمز القابضة، وعضوية مجلس إدارة شركة المجموعة الوطنية للاستزراع المائي (نقاو)، وهو مؤسس ورئيس مجموعة نسكي، ومصنوع في دي سي في فيتنام لإنتاج الثياب. وفي القطاع الثالث، يشغل عضوية مجلس الأمانة بمؤسسة عبد الله إبراهيم السبياعي الخيرية، و مجلس إدارة شركة روشن للمسؤولية الاجتماعية. وتولى سابقاً عدة مناصب في شركة المجموعة الوطنية للاستزراع المائي (نقاو). وانتقل بعدها لإدارة قطاع الغزل والنسيج وتطوير قطاع التجزئة في مجموعة إيمز القابضة. حصل على درجة الماجستير في الإدارة من جامعة برادفورد بالمملكة المتحدة، ودرجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة الملك عبد العزيز.

(٤) منصور عبدالله إبراهيم السبياعي: عضو مجلس الإدارة في «مجموعة إيمز القابضة» من ٢٠٠٧ م بالملكة العربية السعودية. بدأ حياته المهنية عام ٢٠٠١ م بعد تخرجه من الجامعة؛ حيث عمل في قطاع الاستثمار المالي لـ«شركة محمد عبدالله إبراهيم السبياعي» في جدة. يشغل منصب رئيس مجلس إدارة «شركة أمن المعلومات» في المملكة العربية السعودية، كما إنه عضو في مجلس الأمانة في «مؤسسة محمد عبدالله إبراهيم السبياعي الخيرية»، و مجلس إدارة «شركة أمن المعلومات» بدولة الإمارات العربية المتحدة. وأصبح عضواً في لجنة الاستشاري لـ«مجموعة إيمز القابضة» منذ عام ٢٠١٠ م.

(٥) سعود محمد الشقرى: تخصص محاسبة، مستشار مالي وإداري ومؤسس لـ«شركة لسنا للاستثمار».



ناصر بن محمد السبياعي



إبراهيم بن محمد السبياعي



عبد الملك عبد اللطيف القاسم



محمد عبد اللطيف



د. سليمان عبدالعزيز السحيمي



سعود محمد الشقرى



حامد عمر السعيفي

الفصل الثالث عشر

الحياة والبيوت التي سكنها في جدة

انتقلت بجسدي وعقلي إلى جدة، أما قلبي وجوارحي فبقيت متعلقة بكة المكرمة، وظللت مواطئاً على الذهاب إليها كل يوم جمعة للصلاة في الحرم، ثم الذهاب إلى سوق الجودرية مدرستي التجارية الأولى للقاء أصدقاء الصبا وأيامهم التي لا تنسى.

عبد الله بن إبراهيم السبعاني



صحن المطاف

Mataf Plaza

صحن طواف كىلى

جسر المطاف السفل

Lower Mataf

كىلى

الصفا

Masa'a

بيوت الإيجار بين الخاسكية والسبيل وحارة المظلوم



استأجر عبدالله السبيسي أول مسكن له ولأخيه وعائلتهما في حارة المظلوم بجدة

لم ينتقل الشقيقان محمد وعبدالله إلى جدة للسكن بعد افتتاح مقر شركتهما فيها بشارع قابل الذي كان مركزاً تجارياً شهيراً تجتمع فيه أهم الشركات وال محلات التجارية، بل ظلاً يسكنان مكة المكرمة بداع حب جارف لها جعلهما يشعران أن خروجهما من مكة بمثابة انتزاع لروحهما..! وهذا استمر عبدالله في التردد على مكتب شركتهما في جدة أكثر أيام الأسبوع حتى تم انتقالهما نهائياً للسكن في جدة عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦م بعد زواجه وميلاد ابنه البكر إبراهيم.

استأجر عبدالله السبيسي أول مسكن له ولأخيه وعائلتهما في حارة المظلوم بجدة، ثم استأجر بيته في حي البلد في شارع المخزومي لكي يكون قريباً من مكتب و محل صرافه شارع قابل الذي سكن فيه مع بعض موظفيه، ثم انتقل منه واستأجر في عمارة قرية من سوق الندى، وهي عمارة أبي زنادة، حيث سكن في الدورين الآخرين. ثم انتقل إلى بيت آخر في حي السبيل، وفي هذه الفترة اشترى عدة بيوت صغيرة في شارع المخزومي وفي السبيل، وأوكل إدارتها لأحمد بامعس؛ وهو واحد من أقدم موظفيه.

وبعد زواجه الثاني بأم صالح عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤م انتقل الشقيقان للسكن في عمارة الميرة، وبعد ذلك بعامين انتقلا عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م إلى بيت السحيمي؛ وهي فيلا في حي الكندرة، وبعدها قاماً ببناء بيت في حي الرويس، اكتمل بناؤه عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م، ومنه كان الانتقال إلى بيت العائلة الحالي في حي الربوة مقر إقامة الشيخ عبدالله السبيعي الدائم في السنوات الأخيرة.

والحقيقة أن عبدالله السبيعي انتقل بجسده وعقله إلى جدة، أما قلبه وجوارحه فقد بقيت متعلقة بمكة المكرمة، فقد ظل مواطناً على الذهاب إلى مكة المكرمة كل يوم جمعة من كل أسبوع للصلوة في الحرم، ثم الذهاب إلى سوق الجودرية التي لم تقطع علاقته بها طوال حياته، وظل محافظاً على علاقته بأصدقاء الصبا وأيامهم التي لا تنسى، وخاصة الشيفين صالح عبدالله السليمان الهويري، وإبراهيم صالح الفريج؛ وهما من وجهاء القصيم في مكة المكرمة، وكان بيتهما مقصدًا لكل الناس، وكانا يتزعمان استضافة ومساعدة أهل القصيم ومنطقة نجد وغيرها.

بيت السحيمي في حي الكندرة (١٣٧٥-١٣٨٠هـ)

سميت معظم أحياء جدة التي نشأت خارج سور القديم على أسماء أول من سكنتها، وقيل إن حي الكندرة سمى على اسم الشيخ محمد بن عمران الكنيدري؛شيخ الكنادرية من حرب.

والكندرة أول حي دخله الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - ليعلن من على أرضه دخول جدة تحت الحكم السعودي عام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م. وهو أول حي راقٍ وتجاري بالمفهوم الحديث بعد هدم سور جدة عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م، وقد شهد هذا الحي امتداداً للتوسيع العمراني، وأصبح مسكنًا لكبار وأعيان جدة ولعدد من الجهات الحكومية. وكان قرب الكندرة من المطار القديم سبباً في انتعاش الحركة التجارية والسكنية فيه.



الشيخ عبدالله في صورة تذكيرية مع الأحفاد أمام بيت الكندرة الذي سكنه الشقيقان سنة ١٣٧٥ م

وظهرت في الكندرة أهل فنادق جدة مثل فندق قصر جدة بلس، وفندق قصر الكندرة الذي استضافت الدولة فيه عدداً من الزعماء، وكان بها عدداً من الدوائر الحكومية الكبيرة^(١).

فلا عجب أن يستأجر عبد الله السباعي بيته في حي الكندرة، وكان مالك هذا البيت عبد الرحمن بن سليمان بن عبدالعزيز السحيمي، المتوفى عام ١٣٧٣ هـ^(٢). وكان هذا البيت يقع وسط الكندرة على مقربة من مصنع بن لادن للحديد، سكن فيه عبد الله السباعي مع أخيه محمد وعائلتيهما.

(١) كان في الكندرة مقر عدة جهات حكومية منها ديوان مجلس الوزراء، ومقر مؤسسة النقد، كما كان حي الكندرة من ضمن الأحياء التي أسست فيها المدارس ومن بينها ابتدائية الوزيرية التي تُعد من أقدم المدارس الحكومية في المحافظة، حيث تأسست عام ١٣٦٩ هـ، وتخرج منها أجيال، إضافة إلى وجود عدد من الوجاهات والأعيان فيه، كما توجد به مدرسة السعودية المتوسطة التي أسست عام ١٣٧٧ هـ، وكذلك ابتدائية عبدالله بن عباس.

(٢) عبد الرحمن بن سليمان بن عبدالعزيز السحيمي (١٢٩٦-١٣٧٣ هـ): من بيت علم ودين. عمل بالمنطقة الشرقية في الغوص والسفن في صباه وبوكيش شبابه، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، حيث تولى مأمورية مستودعات مكتبة الملك عبدالعزيز بالشامية بمكة المكرمة متديباً من وزارة المالية، وظل بها حتى وفاته في حادث سيارة في طريقه من جدة إلى مكة المكرمة رحمه الله.

وكان بيت السحيمي مثل باقي البيوت في جدة، لم تتوفر به الكهرباء التي لم تكن منتشرة في المنازل في ذلك الوقت، وكانت أغلب بيوت جدة تُضاء بالأ TORIC، وكانت الكهرباء مقتصرة على المناطق الحكومية فقط. وفي ذلك البيت اشتري الأخوان محمد وعبدالله السبيعي أول ثلاثة، حيث كانت الثلاجات في ذلك الوقت تعمل على لب شعلة بالقاز ولها طريقة معقدة في التشغيل، ومع ذلك كانت نوعاً من الرفاهية؛ إذ لم تكن متوفرة في كل البيوت. ولم تعرف جدة الكهرباء إلا عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م بعد منح محمد عبدالله علي رضا وإبراهيم شاكر حق امتياز إثارتها.

وكان العمل بالمنزل مسؤولية والدتها في البداية، فكانت هي التي تتولى الإشراف على البيت، وقضاء حاجياته، وبعد ذلك شاركتها زوجة ابنها محمد السبيعي منيرة السماحي (أم إبراهيم) وزوجتا ابنها عبدالله وهم نورة بنت علي العايد (أم إبراهيم) ولولواة بنت عبدالعزيز السبيعي (أم صالح)، فكانت الزوجات الثلاث يقمن بالطبخ معاً وجميع أعمال البيت، وفيها بعد كُنْ يستعن بعض الخدامات.

كانت طريقة إعداد الطعام في ذلك الوقت بالوسائل التقليدية، فقد كانوا يستخدمون في الطهي الدافور، والبابور، حيث كانوا يضعون الجمر في البابور، ويطبخون عليه. كانت حياتهم بسيطة، فهذا المنزل على كثرة ساكنيه وضيوفه لم تكن به إلا ثلاثة واحدة!

وبالنسبة لاجتماع الأسرة أثناء الطعام، فلم يكن اجتماعهم متضطماً في وجة الإفطار، لكنهم كانوا حريصين على تناول طعام الغداء معاً، وحرirschين على التجمع وقته، فقد كان هذا شيئاً مهماً، وكان الشيخ عبدالله يتبع ذلك بنفسه.

أما غيرائهم فكانوا مجموعة كبيرة، كان منهم سليمان الراجحي الذي سكن بجوارهم، وكانت هناك مجموعة أيضاً من عائلات الحضارم، وكان عبدالله السبيعي من أكثر الناس احتراماً لحق الجوار، وأولهم حضوراً في مناسبات غير أنه وواجباتهم، وظل على ذلك حتى بعد أن انتقل للإقامة في بيت الرويس.

بيت الرئيس أول مملوك في جدة ١٣٨٠هـ



كان شارع السيد هو الشارع الرئيس الذي يخترق الرئيس وعلى أطرافه البيوت

يُعدُّ حي الرئيس من أقدم الأحياء القديمة التي نشأت خارج طرف سور جدة الشمالي قبل حوالي قرن ونصف من الزمان، وكان عبارة عن قرية صغيرة قرية من البحر يسكنها الصيادون والزوار من القرى المجاورة لمدينة جدة. وفي عهد الملك سعود كبر هذا الحي وتتنوع ساكنوه وكثرت خدماته وأصبح له شوارع منتظمة زرعت في متنصفها أشجار النيل.

وكان شارع السيد هو الشارع الرئيس الذي يخترق الرئيس وعلى أطرافه البيوت والأحواش^(١). وبعد عودة الشيخ عبدالله من لبنان في رحلة علاج لزوجته قرر الشقيقان بناء بيت لأسرتها في حي الرئيس، فاشتريتا قطعة أرض على شارع السيد الرئيس في الرئيس، وتم بناؤه على أحد التصاميم المعروفة في ذلك الوقت، وكان هذا أول منزل سكني يمتلكانه في جدة، ويسكنانه معًا قبل انتقال محمد إلى الرياض.

ويقع هذا البيت في شارع السيد المشار إليه، بجوار طريق المدينة وفندق الحياة في ذلك الوقت، وهذه المنطقة ما زالت باقية حتى الآن. كان البيت يتكون

(١) يقع حي الرئيس بين شارع فلسطين شمالاً، وشارع الأندلس غرباً، وطريق الملك عبدالله جنوباً، وطريق المدينة شرقاً.

من ثلاثة أدوار، وهو مثل بقية بيوت العائلات في تلك الفترة، وجرى تقسيمه بطريقة منظمة، حيث يضم الدور الثاني ثلاثة أجنحة، الجناح الأول للشيخ عبدالله وأسرته، والجناح الثاني ينحص شقيقه الأكبر الشيخ محمد وأسرته، أما الجناح الثالث خاص ببنات العائلة، وبالأسفل كانت هناك الصالونات. فكان مصمّماً بطريقة حديثه، أشرف عليه الشيخ عبدالله بنفسه، وكان في ذلك الوقت يهتم بالتفاصيل الفنية وصاحب ذوق رفيع حديث، وعند تأثيثه سافر بنفسه إلى خارج المملكة ليختار مفروشاته. ولا يزال بيت الرويس موجوداً. وقد بني هذا البيت بعد دخول الكهرباء، فزيّنت سقوفه بمراوح جميلة الشكل كان الجفالى أول من استوردها.

الجيران في بيت الرويس

كان يسكن حي الرويس كثيّر من رجال الدولة، وبعضهم كان مجاوراً لبيت السبيعي في بيوت معروفة مثل بيت محمد سرور الصبان، وبيت الطبيشي. وعلى مقربة من جوارهم كانت بيوت عمر شمس مدير عام الاستخبارات في جدة، وحسين فنياني مدير بالكهرباء، ومحمد سعيد الرابغى والد الكاتب الإعلامي على محمد الرابغى، وعبد الله عاشور رئيس بلدية ينبع... وغيرهم من كبار المسؤولين الحكوميين، كما كان هناك مجموعة من أهل نجد يسكنون في وسط الرويس.

والحقيقة أن بيت الشقيقين في الرويس أصبح معلمًا مهمًا من معالم ذلك الحي، فهو من البيوت المميزة في بنائها، سواءً من حيث المساحة أو أسلوب البناء، وكان مقصدًا لوجهاء جدة وأعيانها ورجال الأعمال والعمل الخيري فيها، فضلاً عن عامة الناس، بل كان بمثابة منتدى شرعي واجتماعي واقتصادي حيوي، تعقد فيه اللقاءات المفيدة والنافعه التي تخدم المجتمع، ونتج عن تلك اللقاءات لاحقاً ديوانيته التي استمرت طوال حياته. وكان بجوار البيت جامع أنيق أشرف على بنائه بنفسه.



على محمد الرابغي



عمر شمس



محمد سرور الصبان

استمر بيت السبيعي في الرئيس على نظام سابق منذ أيام بيت السحيمي في استضافة الناس، فقد كانت به غرف خاصة لمبيت الضيوف القادمين من خارج جدة، وكانت مائدة عامة يومياً بضيوف يجتمعون معه على الغذاء، وكانت وجبة الغذاء تشمل الأبناء والموظفين والضيوف على السواء. وفي بيت الرئيس كان الزائرون كثر، وكان منهم من يقيم في جدة وبعضهم كانت أعمالهم في مكة المكرمة أو الرياض، وكان من أصدقائهم في هذه المرحلة سليمان إبراهيم القاضي؛ وهو رجل أعمال كبير بمعايير ذلك الوقت، يقوم بتصنيع المشالح في سوريا.

عاش عبدالله السبيعي في تلك البيوت في أزمنة لم يكن متاحاً فيها إلا الصحافة الورقية والإذاعة، ففي مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز لم يكن المتاح من الصحف إلا أم القرى والبلاد السعودية، وقد ظل الشيخ عبدالله السبيعي يذكر يوم انطلاق أول إذاعة سعودية من مكة المكرمة يوم ٢٣ رمضان ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م في عهد الملك عبد العزيز التي كان بشها ضعيفاً، ثم تطورت في عهد الملك سعود. ولكن الشعب السعودي مثله مثل بقية الشعوب العربية كان يستمع للأخبار من إذاعة لندن والإذاعات المصرية مثل إذاعة صوت العرب.

وفي جدة اشتري عبدالله السبيعي أول جهاز راديو يدخل بيته من نوع جراندن كريستال، وهو نوع من الراديوهات الكبيرة الحجم التي كانت سائدة

في الحجاز وعموم المملكة في ذلك الوقت، واشترى في هذه الفترة جرامافون لتشغيل الأسطوانات الشائعة آنذاك. كان جُلُّ ما يهمه من الراديو متابعة الأخبار يوميًّا، كما كان حريصًا على متابعة إذاعة (هنا لندن) بصورة دائمة سواء في بيت الرويس أو في بيت الكندرة، ويذكر الكبار من أبنائه مجلسه بجوار الراديو في بيت الرويس. أما النساء فكن يتحلقن حول البث المحلي من الإذاعة السعودية للبرامج الترفيهية والاجتماعية والدينية.

ولا ينسى الشيخ عبدالله بداية ظهور التلفزيون السعودي من محطة جدة والرياض باللونين الأبيض والأسود يوم ٩ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ الموافق ٧ يوليو ١٩٦٥ م الذي تم تجهيزه والإعداد له في عهد الملك سعود رحمه الله.

قصة أول سيارة اشتراها الشقيقان

امتلك الشقيقان أول سيارة في جدة من نوع شيفرونليه منذ بداية سكنهما في بيت السحيمي بالكندرة في زمن كانت السيارات في الشوارع شحيحة ولا يستطيع امتلاكها إلا الميسورون من الناس. كان الأخوان يقودان السيارة بنفسيهما في التحركات الضرورية والمسافات البعيدة. ثم احتاجا بعد ذلك بسنوات إلى وجود سائق، ثم اقتضت الحاجة إلى وجود سيارة أخرى حتى انتشرت السيارات وسهل امتلاكها، فأصبح في بيت الرويس عدة سيارات، واحدة للاستعمال الشخصي، وأخريات للعمل.

بعد حوالي عشرين عامًا في حي الرويس اتسعت فيه أعمالهما، وأصبحت فيه شركة السبيعي من كبريات الشركات السعودية. وكثير أولاد الشيخ عبدالله وأحفاده، فاحتاج الانتقال إلى بيت أوسع، فكان بناء بيت الربوة بجدة القائم إلى اليوم، وحمل اسمي الشقيقين، كما حمل بيت الشيخ محمد في الرياض اسمه واسم أخيه كعادتهما في كل ما يخصهما مجتمعين أو منفردين.

الفصل الرابع عشر

عبدالله بن إبراهيم السبيع التربية بالقدوة في تعامله مع أبنائه وبناته

حرضت في تربية أولادي على الدين إيماناً مني بأن من أستقام دينه أستقامت حياته كلها ، فاعطيت الأولوية لتعليمهم القرآن ، وشجعهم على حفظه ، كما شددت على تفوقهم في دراستهم ، فالعلم كنز لا تُغَيِّر عنه أموال الدنيا كلها .

عبدالله بن إبراهيم السبيع





كان منهج عبدالله بن إبراهيم السبيسي في مدرسته التربوية لأبنائه وبناته يتلخص في أنه كان يعتمد على تربيتهم بالمثال الصالح والقدوة الحسنة؛ فقد كان في بيته مع والدته مثالاً لابن البار، ومع زوجته مثالاً للزوج الوفي، ومع أبنائه وبناته مثالاً للأب الحنون، ومع شقيقه الأكبر مثالاً الأخ الصالح. لم يره أبناءه يوماً في مكان لا يرغب هو أن يراه فيه، فكانوا يشاهدونه في مقر عمله، ويشاهدونه مع أفالضل الناس، ويشاهدونه في الحرم، وفي

المسجد، يشاهدونه في الأماكن التي يتوقعون أن يكون فيها، مثل الأسواق التجارية وبيوت الأصدقاء، ولم يشاهدوه يوماً في مقهى أو في أماكن فيها مضيعة الوقت... ولهذا نجح - رحمه الله - أن يزرع فيهم القيم النبيلة، والسلوكيات القوية. وأصبح كل مسؤولاً أمام رب عن نفسه. كان منهجه واحداً في التعامل مع جميع أبنائه الخمسة؛ إبراهيم وصالح وفهد وخالد ومنصور، ومع بناته السبع؛ هند وبدرية ومنى وسلوى ونجلاء وريم ونوره... إلا في الفروق التي يقتضيها اختلاف الإناث عن الذكور، فكان أكثر شدة مع الذكور وأكثر ليناً مع البنات.

ومادة هذا الفصل مستوحاه مما سمعته من أتيح لي الجلوس معهم من أولاده وبناته، ويمثل ما تحدثوا به خلاصة تجربة ومنهج والدهم في تربيتهم ورعايتهم، ولو أردنا أن نروي كل ما سمعناه لما استوعبه مجلد كبير، ولكنني هنا أضع بين

يدي القاريء خلاصة ما تحدث به عنه أولاده دروساً وعبرًا تضيء في طريق الذين يتسمون بالقدوة الحية من أناس عاشوا بيننا.

التوجيه برفق والبعد عن الضرب

كان عبدالله السبعي يوجه أولاده برفق ولين، ويعاملهم كإخوان صغار، فهو لا يغضب عليهم أو يعنفهم إلا في أمر يتعلق بالعبادة؛ كالتأخر عن أداء الصلاة مثلاً. كان يعتمد أسلوب التوجيه، كان متساخماً؛ فلو حدث شيء لا يرضيه، تغافل عنه، وكأنه لم يعرف.

لم يكن عبدالله السبعي شديداً مع أبنائه وبناته، بل كان يتعامل بالحنان والعطف البالغين عليهم، مع الحزم في التربية. ولم تكن مشاغله وأعماله تمنعه عن رؤيتهم كما يفعل بعض رجال الأعمال الذين يغرقون في أعمالهم وينسون أسرهم، وقد يسافر بعضهم ويغيب في عمله أو تجارته شهوراً، أما فهو - رحمة الله - فلم يهمل أو يقصر في حق أسرته أبداً، بل كان رجلاً لا يسمح لعمله أن يطغى على حق عائلته وعلاقاته العائلية.

الدين والأخلاق والمعاملات في أسلوبه التربوي

لم يكن عبدالله السبعي يوجه أبناءه للصلاة بالكلام، ولكنه كان يرسم لهم القدوة، ويببدأ الخطوة في معظم أمور حياته. كان يُذكّر أبناءه في صغرهم بوقت الصلاة، ثم يخرج إلى المسجد. رأه أبناءه يذهب إلى المسجد في كل الفروض ولا يكاد تفوته صلاة جماعة إلا لضرورة خارجة عن إرادته. وكان توجيهه بسيطاً طيفاً علينا، ليس فيه شدة أبداً، ولكنه كان إذا وجدتهم لم يذهبوا إلى المسجد يظهر الحزن على وجهه.

تربيـة أولاده على حب المساكـين

كان يعلم أن كثرة المال قد يسبب فساداً في حياة الإنسان، فكان يعطي أولاده المال بقدر وحساب، وكان مبلغاً بسيطاً يستلمونه من والدتهم. أما الصدقة فقد تعلموها منه بالقدوة، فكانوا يتصدقون من مصروفهم، وأصبحوا يسرون على نهجه في موضوع الصدقات.



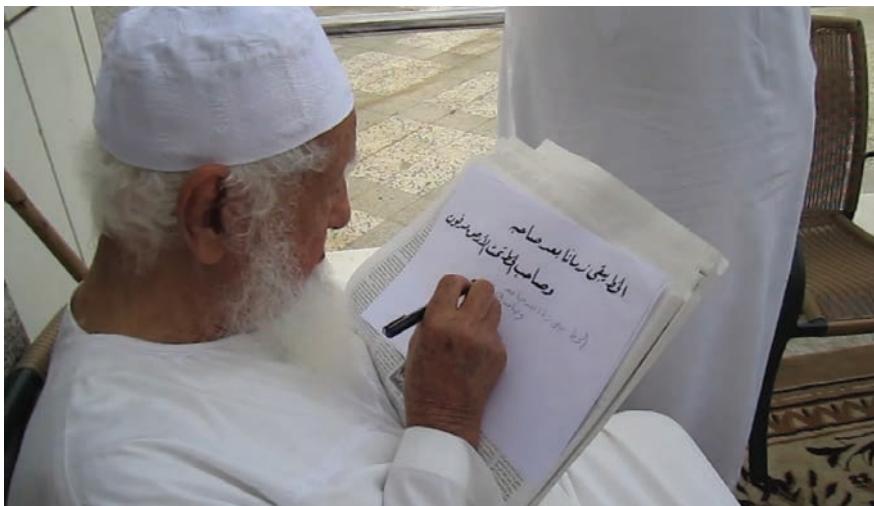
الأخوان خالد ومنصور مع والدهما بالبر والولاء والحب

حب العلم والتعليم

كان الشيخ عبدالله إبراهيم السبيع مدرّگاً أن الاستثمار في الأبناء أهم من الاستثمار في التجارة، لأن نجاح الاستثمار الثاني - وهو التجارة - مرتبط بالنجاح في الاستثمار الأول؛ وهو تعليم الأبناء. ولهذا حرص منذ باكر حياته على أن يتعلم أولاده في أفضل المدارس الحكومية أو الخاصة.

لهذا كان يبذل بسخاء على الدروس الخصوصية لأبنائه وبناته، وإحضار المدرسين الأكفاء لهم. وبعدما كبر أبناؤه سار على هذا المنهج مع أحفاده، وأصبح لهم في البيت مدرساً خاصاً متفرغاً. وكان يحضر اجتماعات مجالس الآباء في مدارس أولاده، ولا يمكن أن يفوته اجتماعاً أبداً، فكان يذهب إلى المدرسة بكمال زيته تقديرًا لمكان العلم، فيليس (البِشْت) لحضور مجلس الآباء.

أهتمامه بتحفيظ القرآن وتعليم الخط



حرص عبدالله السبيسي على تعليم أبنائه وبناته ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فحرص على تعليمهم القرآن، وشجعهم على حفظه، قبل الالتحاق بالمدرسة، كما كان حريصاً أشد الحرص على تعليم الخط لأنّه هو نفسه كان ذا خط جميل، ووظف مدرساً خاصاً لتعليم الخط لأحفاده ومتابعته لهم في ذلك.

لا يتسامح في الغياب عن العدرسة

كان شديد الحرص على انتظام أبنائه وبناته في الدراسة إلى درجة أنه كان يهتم بأدق التفاصيل، وكان حريصاً على تجنيب أولاده الصحبة السيئة، ويحذرهم من رفيقسوء. وكان - رحمه الله - حريصاً كل الحرص على متابعة أمور حياتهم وأحداثها. ولم يكن يفرق في التعليم والدراسة بين البنات والبنين، ولم يكن يحب الغياب عن المدارس أبداً إلا لعذر قهري، وإذا مرض السائق، وليس هناك من يصحبهم، كان يقوم بتوصيلهم بنفسه.

التربية على الاعتدال بلا إسراف ولا تقدير

رَبِّيُّ الشِّيخِ عَبْدِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ السَّبِيعِيِّ أَوْلَادُهُ عَلَى الاعْتِدَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ دُونَ تَبْذِيرٍ وَلَا إِسْرَافٍ فِي الْمَالِ وَالطَّعَامِ وَالْمَسْكُنِ مُصْدَاقًا لِقُولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧]. وعلمهم على مائدة الطعام أنه إذا بقي في صحن أحدhem قليل من طعام يأكله.

تربيتهم على حب العمل والصدق والأمانة



الشيخ عبدالله محااطاً بأبنائه: إبراهيم، صالح، خالد، فهد، منصور

كان يوجه أولاده وجميع أفراد أسرته إلى الحرص على المواعيد، والتزام الدقة فيها، وكان أولاده يلاحظون عليه أنه - شخصياً - إذا كان لديه موعد في مكان ما، يحرص على أن يذهب قبل الموعد بمندة؛ تحسباً لأي طاريء في الطريق.

كما ربي أولاده على الصدق في الكلمة، والوفاء بالعهد، وكان يزرع فيهم هذه الصفة، ويدركهم بقول ربهم: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقد كان هو نفسه طيلة حياته معروفاً بذلك. وقد رأه أولاده في ممارسته ومعاملته مع الناس صادقاً أميناً، وصار هذا طبيعياً فيه، وكان يقول لهم: يا أبنيائي، الصدق سمعة، وهو سبب نجاحنا.

وفي التجارة كان يعلمهم الوفاء بالعقود واحترام الكلمة، وحينما كان مجلس لأحد هم يقول له: إذا اتفقنا مع أحد على شيء فقد انتهى الأمر، كلمتك واحدة، هي التزام حتى لو كنت خاسراً.. وعلى لسانه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾ [المائدة: ١]. وكان دائمًا يؤكد لأولاده ويقول لهم:

«التجارة بركة في الرزق، ابتعدوا عن الوظائف الحكومية». كما كان يقول دائمًا: «لا تبدأ كبيراً حتى لا تنكسر فيها بعد، ولكن اكبر بالتدريج».

مواقف يرويها ابنه صالح

يذكر صالح بن عبدالله بن إبراهيم السبيعي أن والده علّمه منذ صغره البيع والشراء، فمنذ أن كان صالح بالصفوف الأولى، وهو يذهب إلى السوق ليشتري حاجيات المنزل، فيسأل عن الأسعار.

وفي البداية كان والده يذهب معه ليعمله كيف يشتري، وأنه لا بد أن يسأل بائعاً وأثنين وثلاثة قبل الشراء، ثم عوده على الرجلة والاعتماد على نفسه، فكان يقول له: اذهب واشتري. وكان والده يأخذه معه إلى المكتب في شارع قابل، فيذهب ويشتري الأغراض، ويكتب له ورقة يدوّن فيها مشترياته وقيمتها.

ويذكر صالح أنه حج مرة مع والده وهو في بداية المرحلة الثانوية، وكان معهم عمال جاءوا للحج مع والده، فكان الشيخ عبدالله السبيعي يوقظ ابنه ليصلّي الفجر معه، ثم يشجعه على تجهيز الفطور للعمال، ولا يأكل الشيخ عبدالله حتى يأكل هؤلاء العمال، ثم يقوم صالح بخدمتهم فيقدم لهم الشاي. وهكذا تعلم صالح بالفعل لا بالقول من أبيه درسًا عظيمًا في خدمة المساكين والتواضع لهم، وأدرك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس». و قوله صلى الله عليه وسلم: «من تواضع لله رفعه الله». لم يقل له والده حديث النبي صلى الله عليه وسلم، إنما جعله يعيش معناه عمليًا بنفسه^(١).

مواقف يرويها ابنه فهد

يذكر فهد بن عبدالله السبيعي أنه في المرحلة المتوسطة استفاد من والده كثيراً، فقد كان يرافقه دائمًا، ويصطحبه معه إلى المكتب، وكذلك إلى العزائم والمناسبات

(١) من حديث مع الأستاذ صالح بن عبدالله السبيعي خلال لقائه معه في مكتب الشركة في شارع حراء بجدة تاريخ ٢٨/٣/٢٠٢٣م.



الشيخ عبدالله السبيعى الأب والجد مخاطباً بالأبناء والأحفاد (ذريةٌ بعضها من بعضٍ)

المختلفة، فزرع فيه قيم الرجالية، وتعلم منه الكثير، حيث رأه كيف يتصرف في الأحوال والظروف المختلفة، ورأه كيف يتصرف مع الموظفين والعمال، ومع الزبائن، ومع الأصدقاء، فاكتسب خبرة كبيرة من مرافقته له.

وعندما دخل فهد الجامعة بدأ يقارن بين هذا وذاك، فاستفاد أليها استفادة من مخزون معرفته وثقافته التي اكتسبها من والده، وعندما بدأ يدرس الإدارة، بدأ يتأمل ما يمارسه والده من فنون الإدارة بطريقته، ويقارن بينها وبين الطرق العلمية الحديثة التي يدرسها في الجامعة.

ولا ينسى فهد موقف والده معه حين دفعه للعمل الشاق في مشروع الروبيان في الليث^(١)، التي تقع ضمن إقليم تهامة على الساحل الغربي للمملكة. وكانت هناك شراكة مع مجموعة سليمان الراجحي ومجموعة البلاع^(٢)، وقتها كان فهد في الثلاثينيات من عمره، فكان يصل إلى الفجر ثم

(١) شركة الروبيان الوطنية بالليث أكبر مزرعة لإنتاج الروبيان الأبيض (الجمبري) في منطقة الشرق الأوسط، وتقع في مركز الغالة شمال الليث، بدأت الشركة عام ١٩٨٢ م بمركز أبحاث بسيط، ثم أصبحت صرحاً كبيراً يسهم في تنويع مصادر الدخل القومي السعودي.

(٢) محمد رشيد محمد البلاع: مؤسس «شركة المبادرات الثانية للاستشار» مع أخيه المهندس أحمد رشيد.

يرتدى طقم العمل، ولم يكن يرتدى ثوبًا، لأنّه يعمل في الصحراء، وكان بيته هناك لعدة أيام^(١).

حُبُّه لقرب بناه منه

كان يحب بناه حبًّا شديداً، ولم يكن يطيق فراقهن وبعدهن عنه، ورغم ذلك الحب والحرص على قربهن منه، إلا إنه كان يحرص على ألا تتأخر بناه عن أزواجهن لأي سبب، فإذا زارتـه إحداهم وبقيت عنده يوماً أو يومين، كان يطلب منها أن تعود إلى بيتها، ولا تبقى بعيداً عن بيتها أكثر من ذلك، فهذا أفضل لها.

شهادة وذكرى من ابنته مني أم هيثم

كان - رحمه الله - حريصاً على أن يعلم بناه ما ينفعهن، ويستدلي لهن النصح، تؤكد ذلك ابنته مني، فقد ذكرت أنه كان يعلمها ما ينفعها، وأنها تعلمت منه أشياء كثيرة في صغرها، وتحمد الله أنها عاصرته، وأن طريقته في التعليم طريقة جميلة، فقد تعلمت منه كيف يكون المرء كريماً بالنفس، كما تعلمت منه الحرص على صلة الأرحام، فقد كان يسأل دائمًا عن أحوالها وأحوال أهلها.. هل يحتاجون شيئاً فيعطيهم، وإذا ذهبوا إلى مكة يسأل: هل لهم مكان أم يأتون ويسكنون عنده، فالمكان واسع والحمد لله. ولم تكن أسئلته وأفعاله مباشرة، بل كان يومئ ويلمح في كلامه حتى لا يخرج أحداً، فهو يسأل ويستكشف الأحوال والأخبار في لطف واهتمام، ويدعوهم للقدوم إليه والإقامة عنده بطريقة لطيفة.

(١) من حديث مع الأستاذ فهد بن عبدالله السبيسي خلال لقائه معه في مكتب الشركة في شارع حراء بجدة تاريخ ٢٥/٣/٢٠٢٣م.

مع أحفاده وزوجات أبنائه



امتد حب الشيخ عبدالله السبيعى لأبناءه وبناته، فشمل هذا الحب زوجات الأبناء وأزواج البنات، فقد كان يعتبر الجميع من أسرته، ودليل ذلك أنه كان يعلق أحياناً إذا لم يأت أحد منهم ليسلم عليه؛ فقد تأخرت إحدى زوجات أبنائه عليه، فلما رآها قال: أهلاً ببنت الجيران. وسماها بنت الجيران تعليقاً على تأخيرها، فضحكـت لأنـها فهمـت أنه يـريد أنـ يقول لها: أين أنتـ؟ لم أـركـ..! ولـما حـملـت إـحدـى حـفيـدـاتـهـ أـوصـىـ أحـدـاـ منـ المـكـتبـ أـنـ يـشـتـريـ مـلـابـسـ لـلـمـولـودـ، وـقـالـ: أـخـافـ أـنـ يـنـقصـهاـ شـيـءـ. وـعـنـدـمـاـ كـانـتـ اـبـنـتـهـ رـيمـ حـامـلاـ - وـكـانـ قـدـ كـبـرـ فيـ السـنـ - رـقـ قـلـبـهـ لـهـ جـداـ، وـكـانـ يـوـصـيـ بـنـاتـهـ عـلـيـهـاـ، وـهـنـاكـ مـقـطـعـ بـصـوـتـهـ وـهـوـ يـوـصـيـهـنـ بـهـاـ، قـالـ فـيـهـ: اـنـتـهـواـ، هـلـ تـحـتـاجـ شـيـئـاـ؟ أـحـضـرـواـهـاـ مـاـ تـرـيدـ. وـقـدـ أـرـسـلـ

هـذـاـ المـقـطـعـ إـلـىـ رـيمـ حـامـلاـ، فـرـحـتـ بـهـ كـثـيرـاـ..!

معاملته للأحفاد وحبه لهم

أـحـبـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ السـبـيـعـيـ أـحـفـادـهـ حـبـاـ عـظـيـماـ، فـهـوـ يـسـأـلـ عـنـهـمـ دـائـماـ، وـيـشـارـكـهـمـ أـعـابـهـمـ وـلـهـوـهـمـ أـحـيـانـاـ كـثـيرـاـ حـبـاـ وـعـطـفـاـ وـحـنـانـاـ، فـكـانـ يـسـأـلـ عـنـ كلـ شـخـصـ باـسـمـهـ، رـغـمـ أـنـ عـدـدـ أـحـفـادـهـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـينـ حـفـيـدـاـ وـحـفـيـدـةـ ماـ شـاءـ اللـهـ، وـالـقـيـمـ فـيـ جـدـةـ مـنـهـمـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـةـ أـحـفـادـ، فـإـذـاـ جـاؤـواـ لـزـيـارـتـهـ يـسـأـلـ:

أين فلان؟ كيف الدراسة؟ وأنت يا فلان، وأنت يا فلانة... إلخ. وذات مرة أثناء إفطارهم عند الحرم، قال: أين فلان ابن فلان؟ فلما بحثتُوا عرفوا أن هذا الولد الذي سُأله عنه ابن حفيته، وليس من أحفاده، وكان الشيخ دائمًا يقول لمن حوله: ابحثوا عن فلان. والسفرة يجلس حولها أكثر من ثلاثين شخصاً، لكنه يسأل عن كل شخص، فقد كان يتمتع بذاكرة قوية، رغم أنه كان في التسعين من عمره.

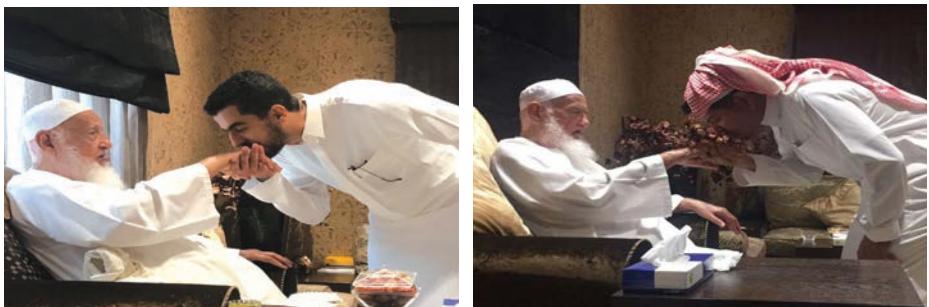
- حين بلغ حفيده من ابنته ريم زوجة عبدالمالك القاسم عامين من عمره، تأخر في الكلام، فكان الشيخ عبدالله يتصل بها في مكة المكرمة، ويطلب أن يعطوا السمعاء لابنها ويحدثه من خلالها طويلاً حتى يعلمه الكلام.

- كان رحمه الله مرحاً في معاملة أبنائه، فيلقى عليهم دائمًا الغوازير والألغاز، فإذا لم يعرفوا إجاباتها جلؤوا إلى شبكة المعلومات على الإنترنت ليحاولوا الإجابة.

- كان دائم السؤال عن ابنه منصور الذي أقام بجدة، فكان الشيخ عبدالله عندما يكون في مكة يتطلب من زوجته أن تسأله عنه، ويطلب منها أن تذهب إليه، ولا تبقى في مكة حتى لا يقيم منصور بمفرده، فتقول له: اطلب منه أن يأتي، فيجيبها: لا أريد، قولي له أنت..!

- لما مرض حفيده عبدالعزيز بن صالح بسرطان الدم، سافر به إلى أمريكا، وبقي ٨ أشهر هناك، ثم توفي وعمره حوالي عشر سنوات، فلما أخبرته أم صالح بأن عبدالعزيز توفي، قال الشيخ: الحمد لله. فجزعت، علام يقول الحمد لله؟ لكن الشيخ كان يرى أن موته هذا رحمة من الله، فارتاح مما يشعر به من آلام.

تدريب الأحفاد على تحمل المسؤولية



عرف الشيخ عبدالله السبيعى لكل واحد من أحفاده موقفاً، وكان يوزع عليهم الأدوار بحسب مهاراتهم، ففلان هذا يقول له مثلاً: أنت مسؤول عن قهوتنا؛ لأنك قدم لها القهوة مرة أو مرتين، فيقول: أنت تصب القهوة بصورة جيدة، ويا فلان، ما أخبار الخروف الذي عندك؟ فأحد أحفاده كان لديه خروف يربيه، وفلان قراءته للقرآن جميلة... وهكذا.

قصة مع حفيده سلطان بن إبراهيم

كان الشيخ عبدالله السبيعى يختبر أحفاده في حسن الخط، فله قصة مع حفيده سلطان بن إبراهيم، فقد قال له ذات مرة: يا ولد، اذهب وأحضر ورقة وقلماً. وقتها كان سلطان في الصف الأول الثانوي. فلما جاء بالورقة والقلم أملأ عليه الشيخ عبدالله قطعة كان يحفظها، فكتبها سلطان بخط جميل، فنظر الشيخ فيها وقال: خط جيد، أحسنت.

فما كان من الشيخ عبدالله إلا أن قال للأستاذ عبدالعزيز القحطاني: تأتي للأولاد - يقصد الأحفاد - بمن يدرّس لهم الخط. فقال له عبدالعزيز: يا شيخ، عندهم مدرسوں. فقال: لا، أنا أريد مدرساً خاصاً للخط فقط، لا يدرس إلا الخط. وبالفعل أحضر عبدالعزيز مدرساً ليعلّمهم الخط، وكان من كبار

الخطاطين في البلد. ولما جاء هذا المدرس قال الشيخ عبدالله: أحضروه حتى أختبره. فأتى مدرس الخط، واختبره الشيخ، وأعجب بخطه كثيراً، لأن الشيخ نفسه كان خطاطاً. كما اهتم الشيخ عبدالله السبعيعي أيضاً بأن يلتحق الأحفاد بحلقة تحفيظ للقرآن، ووجه أبناءه وأزواج بناته إلى ذلك، وبالفعل كان الشيخ الدكتور محمد المهدي يدرس القرآن في العائلة.

موقف مع حفيته ابنة ولده صالح

دخلت ابنة ولده صالح لتصلي بالصالوة في بيت جدها الشيخ عبدالله السبعيعي، وهي صالة كبيرة، فرأها الشيخ وهي تصلي مسرعة، فلما انتهت من صلاتها قال لها: تعالى، ليست هكذا الصلاة، الصلاة تكون بتأنٍ وخشوع. وبعدها تغيرت كل صلاتها، وصارت تصلي بتأنٍ وخشوع كما أمرها جدها.

حضوره حفلات تخرج أحفاده وأهتمامه بتكريمهن

كان - رحمه الله - يحرص على إسعاد أحفاده بتلبية مطالبهم، وتحقيق رغباتهم، رغم كبر سنه، وشعوره بالتعب والإرهاق، ومن ذلك أنه كان يتحامل على نفسه لحضور حفل تخرج أحفاده، ودليل ذلك أن حفيده عبداللطيف طلب من جده أن يحضر حفل تخرجه من المدرسة، وكان وقتها في السادس الابتدائي، فحضر الشيخ حفل تخرج الحفيد، وكان لحضوره أثر كبير على الحفيد، وهذا الموقف حدث وكان عمره وقتذاك قد اقترب من التسعين عاماً.

اهتم الشيخ - رحمه الله - بالقضايا الدراسية لأحفاده وأبناء الأحفاد اهتماماً بالغاً، وهذه كانت بداية عمل تربوي قدير هو عبد العزيز القحطاني معه، وقد أنس به، وتطورت العلاقة بعد ذلك بينه وبين الشيخ، فلزمه حتى نهاية حياته.



مـشـاهـد فـي ذـاـكـرـة الـأـحـفـاد

كان للشيخ عبدالله السبيعـي موافق عظيمة لا تنسـيـ، منها ما كان بينـهـ وبينـبنـاتهـ وأـزـواـجـ بنـاتـهـ، ومنـهاـ ما كانـ بينـهـ وبينـأـبـنـائـهـ وزـوـجـاتـ أـبـنـائـهـ، ومنـهاـ ما كانـ بينـهـ وبينـأـحـفـادـهـ...ـ وكلـهاـ تـدلـ عـلـىـ حـرـصـهـ وـخـوفـهـ عـلـيـهـمـ،ـ وـمـنـ هـذـهـ مـوـاـقـفـ:

-ـعـنـدـمـاـ كـانـواـ يـذـهـبـونـ إـلـىـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ،ـ كـانـ حـفـيدـهـ هـيـثـمـ بـنـ سـلـيـمانـ السـحـيـميـ (ـزـوـجـ اـبـتـتـهـ مـنـيـ)ـ يـأـتـيـ مـعـ أـبـيـهـ،ـ وـيـتـسـاـمـرـونـ وـيـتـعـشـونـ عـنـدـهـ فـيـ الـحـرـمـ،ـ فـمـرـواـ ذـاتـ يـوـمـ عـلـىـ الشـيـخـ عـبـدـالـلـهـ،ـ وـتـعـشـوـاـ مـعـهـ،ـ وـكـانـ قـدـ كـبـرـ،ـ وـأـصـبـحـ لـاـ يـسـتـرـيـحـ عـلـىـ كـرـسـيـ،ـ فـكـانـوـ يـتـعـشـونـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ فـأـحـضـرـ الشـيـخـ كـرـتونـةـ وـوـضـعـ عـلـيـهـاـ أـكـلـ،ـ وـبـدـأـ يـأـكـلـ،ـ فـجـاءـ هـيـثـمـ وـقـالـ:ـ الـحـيـنـ بـاـبـاـ عـبـدـالـلـهـ لـيـسـ عـنـدـهـ طـاـوـلـةـ،ـ فـيـأـكـلـ عـلـىـ كـرـتونـةـ؟ـ فـوـصـلـ الـكـلـامـ إـلـىـ الشـيـخـ عـبـدـالـلـهـ،ـ فـلـمـ رـأـيـ هـيـثـمـ سـأـلـهـ:ـ أـلـيـسـ عـنـدـكـ طـاـوـلـةـ فـتـأـكـلـ عـلـىـ الـكـرـتونـةـ؟ـ!ـ وـإـلـىـ الـآنـ يـتـذـكـرـ هـيـثـمـ هـذـاـ المـوـقـفـ.



معاملته لأزواج بناته

كان الشيخ عبدالله السبعي يحب أزواج بناته، ويحتفي بهم احتفاءً كبيراً، كان يعامل أزواج بناته كأنهم أبناءه، فإذا قابل أحدهم كان في متنه الحفاوة والترحيب به، ويحرص على حسن ضيافتهم، ويبالغ في إكرامهم، وإذا زاره أحدهم في شقته التي يقيم فيها أثناء وجوده بمكة المكرمة، فكان الشيخ يفرح بوجوده عنده، ويحاول إكرامه بكل وسيلة، كما كان يدعوه ليقى عنده وبيت معه في هذه الشقة الصغيرة.



الفصل الخامس عشر

مفهوم التجارة وأسلوبه في التعامل مع موظفيه

ظل التجارة مباركة إذا التزم التاجر بأخلاقها ، وكلمة (تجارة) تكون من خمسة حروف، كل حرف منها له معنى، فالباء : نقوى، والجيم: جرأة، والألف: أمانة، والراء: رؤية، والهاء: همة واقدام على العمل التجاري، وكلها كلمات ذات معانٍ عميقة.

عبد الله بن إبراهيم السبعي



كان عبدالله بن إبراهيم السبيعي يرى في التجارة عملاً مباركاً في حياة الإنسان، وكانت له فلسفة عجيبة في تفسير كل حرف من حروف كلمة (تجارة)، فكان يقول: «تكون من خمسة أحرف، كل حرف منها له معنى، فالباء: تقوى، والجيم: جرأة، والألف: أمانة، والراء: رؤية، والهاء: همة وإقدام على العمل التجاري، وكلها كلمات ذات معانٍ عميقـة». لذلك كان الشيخ عبدالله يحرص على التجارة أكثر من غيرها؛ لما فيها من بركة وخدمة للمجتمع، وعملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ» [رواه ابن أبي الدنيا].

فلسفته في تنوع مصادر الدخل

كان الشيخ عبدالله - رغم قناعته - طموحاً جريئاً، فدخل في مجالات متنوعة من التجارة إلى جانب عمله الأساسي في الصرافة، حيث دخل في تجارة العقارات، وتجارة المواشي، وتجارة السلع الغذائية، والتجارة في الأقمشة، وفلسفته في ذلك أن تنوع مصادر الدخل بتتنوع مجالات العمل التجاري تبعد التاجر عن الخسارة، وتケفـل له الربح ب توفيق الله.

مفتاح النجاح وبركة الرزق

كان منهج الشيخ عبدالله السبيعي في تجارتـه وتعاملـه مع موظفيـه والعاملـين معـه يقوم على مبدأ بسيطٍ عادلٍ يتلخصـ في مقولـته: «لا تأكل الطبق وحدكـ، فالبرـكة فيـ أن تـشركـ معـكـ غيرـكـ بـنصـيبـ»، وذلك مـصادـقاً لـقولـه النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «طـعـامـ الـوـاحـدـ يـكـفـيـ الـاثـيـنـ، وـطـعـامـ الـاثـيـنـ يـكـفـيـ الـأـرـبـعـةـ، وـطـعـامـ الـأـرـبـعـةـ يـكـفـيـ الشـيـانـيـةـ» [رواه مسلم]، وـقولـه صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «إـنـ أـحـبـ الطـعـامـ إـلـىـ اللهـ مـاـ كـثـرـتـ عـلـيـهـ الـأـيـديـ» [رواه الطـبرـانـيـ].

والطعام هنا يأتي بمعنى الرزق عموماً، وهذا كان - رحمه الله - حريصاً على أن يشرك معه غيره في تجاراته المتنوعة، وقد شهد كل الذين عملوا معه أنه لم يكن أانياً في تفكيره التجاري، فلم يطبع في المكسب كله لنفسه، بل كان يشرك الآخرين، وهذا ما جعله ناجحاً في إدارته وتجارته، وبهذا نستطيع أن نقول إنه كان رجلاً إنسانياً في تفكيره التجاري، وكانت إنسانيته هذه من أهم مفاتيح نجاحه.

هذا المنهج الذي اتبعه حقق له أهدافاً عديدة، منها أنه يخلق في هذا الموظف شعوراً أقوى بالانتماء للمشروع؛ فيزيد دافعه للعمل، ويزيد إخلاصه حين يشعر أنه صاحب حق فيه.

حسن استغلاله للمواهب

حبا الله عبد الله السبيسي مهارة فريدة من نوعها، فقد كان يحسن استغلال مواهب الناس، فإذا استشعر لدى أحد الموظفين نبوغاً أو بروزاً في جانب خارج نطاق عمله، فإنه يستفيد من موهبته في خدمة الشركة. وكان لا يتدخل في عمل من يموههم، بل يعطيهم الصالحيات الكاملة، فقط يراقبهم، سددوا أو لم يسددوا، فإذا سددوا والتزموا أعطاهم أكثر وأكثر... وهكذا، وإذا لم يكونوا ملتزمين، يتوقف عن دعمهم والتعامل معهم، فهذه كانت سياساته في تجارتة وأعماله.

أشهر من عمل معه وكسبوا ثقته ومحبته

عملَ مع الشيخ عبد الله السبيسي في الصرافة وفي التجارة عدد كبير من الأشخاص من مختلفي الأعمار والمواهب والجنسيات، نورد هنا بعضهم على المثال لا الحصر:

- عبد الله اللطيف: وهو من الموظفين المحبوبين والمقربين للشيخ عبد الله السبيسي، عمل معه منذ صباه في محل الصرافة في سوق الجودرية

بمكة المكرمة، وظل وكيله في مكة المكرمة في الأعمال التجارية بها، وكان سنه قريباً من سن الشيخ عبدالله، فكان من أقرب الأصدقاء له، وأكثر من أخ، ونشأت علاقة قوية بينهما، وقد سافر عبدالله عبداللطيف إلى لبنان وتوفي فيها في حادث سيارة أليم، وقد تأثر الشيخ عبدالله لوفاته تأثراً بالغاً، فقد كانت منزلته عنده كبيرة، ومحبته له فائقة، وظل يذكره كثيراً ويترحم عليه.

- عمر باقادر: وهو من أوائل من عمل في الصرافة في مكتب شارع قابل، وكان من أقرب الموظفين لنفس الشيخ عبدالله السبيعي، وقد أسنده إليه فيما بعد مسؤوليات أخرى مثل متابعة العقارات في جدة.

- علي حسن بابطين: وهو من أوائل الموظفين، شجعه الشيخ عبدالله على تطوير ذاته، وساعدته ليكمل تعليمه، ثم ولاه إدارة فرع محل الصرافة في المدينة المنورة، ولكن طموح بابطين لم يتوقف عند حدود الصرافة، فرغب في فتح محل للأقمشة في المدينة المنورة، فشجعه الشيخ عبدالله على ذلك، وكان هذا شأنه مع الناهرين من موظفيه، وجعله شريكاً معه، وامتدت هذه الشراكة إلى العقارات، وانتهت باستقلال علي حسن بابطين بعمله التجاري وحده ببرضا وتشجيع من الشيخ عبدالله، الذي يقف وراء صناعة الرجال.

رجال مخلصون منحهم ثقته

- أحمد سالم بامعس: بدأ العمل مع الشيخ عبدالله بفرع الصرافة في شارع قابل، ثم انتقل إلى العمل بفرع شارع الستين أمام المطار القديم في الشرفية، ثم شارع فلسطين، وهو يعمل بشركة السبيعي إلى اليوم بمقرها الأخير بشارع حراء، وقد أوكل إليه الشيخ عبدالله مهاماً كثيرة خلال فترة عمله



أحمد سالم بامعس، ٥٠ عاماً من العمل مع عبدالله السبيعي بالإخلاص والوفاء والإباء

الطويلة معه تقترب من الستين عاماً، وبامعس خير دليل على أن من يعمل في مؤسسة السبيعي لا يتقادع ما دام قادرًا على العمل، إلا إذا طلب ذلك بنفسه.

- صالح العماش: عمل في فرع الرياض، وقد حدثت بينه وبين الشيخ عبدالله السبيعي مصاهرة؛ فقد تزوج حفيد الشيخ عبدالله السبيعي من ابنته.

- عبدالله باعجاج: وهذا الرجل له قصة مع الشيخ عبدالله، فقد جاء صبياً من حضرموت فعينه أميناً لمستودع الشركة لأمانته، لكن الشيخ عبدالله رأى فيه الطموح والرغبة في إكمال تعليمه وتطوير ذاته، فوجهه إلى تعلم اللغة الإنجليزية على نفقة الخاصة في مدرسة مسائية، فبرع باعجاج وتفوق فيها، وتعلم الآلة الكاتبة، وقد أعاذه الشيخ بعد عدة سنوات على افتتاح محل تجاري للأقمصة خاصة به، وأثبت نجاحاً كبيراً في تجارته هو وأولاده من بعده، وهذا ليس بمستغرب؛ فهو ديدن الشيخ عبدالله في دعم موظفيه بإشرافهم في مجال عملهم معه، بل وإعانتهم على الاستقلال بأعمالهم التجارية.

- أحمد صالح باحفين: كان يعمل في أحد محلات الأقمصة بمكة المكرمة، فلما رأه الشيخ واختبره قال له: «هناك محل صفيناه، فخذ منه ما تشاء من البضاعة وبعها». وكان هذا ذكاءً من الشيخ، واختباراً للباحفين في الوقت نفسه، وقد نجح فيه باحفين، واستطاع أن يبيع ما أخذ من بضاعة، ولما جاء ليرد ثمنها للشيخ عبدالله، لم يأخذ منه، بل قال له: «ادخل به تجارة، وبيني وبينك النصف». وكان رئيس المال الذي ابتدأ به باحفين كما يقولون ديون متجرات



أحمد صالح باحفين في مكتبه وإلى جواره صور الشيخ عبدالله السبيعى
تعبيرًا عن وفائه ومحبته له

مستهلكة، ثم دخل باحفين بعد ذلك في مجال تأجير العقارات واستثمارها في مكة المكرمة، ونجح باحفين في هذا نجاحاً كبيراً. ومن محبة الشيخ عبدالله له وإعجابه

بذاته دفعه للاستقالة بنفسه، وهو اليوم من الناجحين في هذا المجال، ويحمل للشيخ عبدالله محبةً وتقديرًا ووفاءً كبيراً، فمن يدخل عليه في مكتبه بمكة المكرمة يجد خلفه صورتين كبيرتين للشيخ عبدالله السبيعى، ويروي بكل اعزاز وفاء لكل من سأله قصة دعم الشيخ عبدالله السبيعى له، وفضله عليه.

- صالح العبدلي: أوكل له الشيخ عبدالله الإشراف على المخازن ومستودعات البضائع، ومثله مثل باعجاج؛ أخلص في تحمل مسؤولية المستودعات، وكسب ثقة الشيخ عبدالله ومحبته.

وقد عمل مع الشيخ عبدالله عدد كبير من العاملين والسائلين في المؤسسة وفي البيت، نذكر منهم على سبيل المثال: صالح البخيت: الذي كان سائقاً مخلصاً، صالح المطلافي: وهو ابن أخت زوجة الشيخ عبدالله السبيعى، عبد الرحمن السلام: وهو أيضاً ابن خالة أولاده.

تسامحه وتواضعه للعمال والموظفين

كان الشيخ عبدالله السبعي يعامل الموظفين ببساطته وسماحته، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلَيَسْعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطٌ وَجْهٌ وَحُسْنٌ خُلُقٌ» [رواوه الحاكم]، فإذا ارتكب أحدهم خطأً خارجاً عن إرادته سامح معه، ولم يعاقبه ولم يعنفه.. ولم يقم بفصل موظف أبداً.. فكان معروفاً عنه حبه للموظفين، والدفاع عنهم، فلا يقبل أبداً أن يهينهم أحد، أو يسيء إليهم أحد، حتى لو خسر الصفقة نتيجة لذلك، فكان يعاملهم كأنهم زملاء أو إخوان أو أبناء، فهو يعلم أن التجارة مكسب وخسارة، فمن تسبب له في خسارة يوماً لطالما كان سبباً في تحقيق أرباح أخرى في مرات كثيرة، فإذا أخطأ فلا بد أن يسامحه ويشجعه، ويعطيه الدعم حتى يتجاوز هذا الخطأ، ولا يكرره.

تعود الشيخ عبدالله السبعي التواضع مع عماله وموظفيه، فلا يشعرهم أبداً بأنهم يعملون عنده وفي خدمته، بل كان يعاملهم بندية ومساواة، وكأنهم إخوته أو أولاده. وكان يعاملهم معاملة راقية جداً سواء في العمل أو خارج العمل، فقد كان يشاركونهم أفراحهم وأتراحهم... يشاركونهم مناسباتهم السعيدة، ويشاركونهم عزاءهم وحزنهم، ويقوم بما يجب أن يقام به في مثل هذه المناسبات، ففي بعض الأحيان يأخذ أحد أبنائه معه في السيارة، ويدخل إلى وسط جدة لمقابلة أحد موظفيه في حي السبيل أو غيره.

وكان الشيخ عبدالله يتفقد أحوال موظفيه وعماله، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة في كل ما يخص حقوقهم وصحتهم وراحتهم، وقد ظل على هذا التواضع مع الموظفين والعمال والمساكين إلى آخر حياته، يجمع كل الموظفين الذين عملوا تحت قيادته في شركة السبعي، والمدرسين، والسائلين، والخدم في بيته، ولم يعامل أحداً منهم قط على أساس وظيفته، بل كان يعامل كل واحد منهم على أساس إنسانيته.



صالح يمشي على خطى والده في دروب الخير والتور

كان يشفع على الموظف والعامل إشفاق الأب على ابنه، وكان يقول: «إن أبنيائي لديهم من يهتم بشؤونهم، لكن هؤلاء الغرباء لن يهتم بهم أحد إذا لم نهتم نحن بأمور صحتهم وراحتهم»، وما أكثر ما سمع الشيخ عبدالله وهو يردد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» [رواه الطبراني]، وهذا ما شهد له به كل خدم وعمال بيته، وشهد به كل موظفيه الأحياء، وهي شهادة لا تزلف فيها، فالرجل بين يدي ربه لا يعلم من ذلك شيئاً.

وهذا يؤكد أن الشيخ عبدالله السبيعي كان يتمتع بروحانية شديدة، تلك الروحانية التي أكسبته حب الموظفين الكبير له، إلى جانب حرصه على العمال الذين يعملون عنده، فكان يطلب من أحدهم عدم إرهاق نفسه أكثر من اللازم، ويقول له: «إذا شعرت بالتعب خذ قسطاً من الراحة، وإذا احتجت شيئاً كلامني مباشره، وإذا لم يلب لك الأولاد طلباً ما عليك إلا إبلاغي»، وهذا لم يكن حكراً على موظف بعينه، بل كان يشمل كل العاملين عنده.

فكان الشيخ عبدالله يوصي المسؤول بمن يعملون معه، ويطلب منه ألا يغضِّب أحداً منهم، ولا يجعل أحدهم يبيت حزيناً أو غاضباً، فالدنيا كلها زائلة، وكان دائمًا يقول: «طالما أن الرَّجل منهم يؤدي ما عليه من واجب بأمانة وضمير، انتهى الأمر، فلا نريد منه أكثر من حقنا، وإياك أن تظلم أحداً بسبب العمل، ولا تكلف أحداً بعمل أكثر من اللازِم».

لقد اهتم الشيخ عبدالله بموظفيه لدرجة أنه عندما يريد أحدهم أن يقوم بإجازة، فكان الشيخ يقدم لهم المساعدات في سفرهم، ولو كانوا مقيمين وعلم أن أحدهم لديه ظرف مرضي؛ سارع بتقديم ما يجود به من مال، وطلب منه السفر إلى أهله للاطمئنان عليهم. وتعود أن يعطيهم من أموال الزكاة في رمضان، ولم يدخل عليهم أبداً، فلم يترك أحداً منهم يحتاج شيئاً، بل دائمًا يحاول بكل ما استطاع أن يدخل البهجة والسرور على قلوب كل المقربين منه.

الاهتمام بتعليم الموظفين

كان الشيخ عبدالله -رحمه الله- يهتم بتعليم الموظفين عنده، فجعلهم يدرسون ويتعلمون على حسابه الشخصي، ومنهم أحمد بامعس وباعجاج وغيرهما؛ حيث كانت رواتبهم تصرف لهم دون انقطاع أثناء دراستهم. كما اهتم بتطويرهم من الناحية العلمية والمهنية، وإذا كنا نحن اليوم في الشركات نتحدث عن التعليم والتدريب، ونطالب به، فقد قام الشيخ عبدالله السبعيعي بذلك قبل ظهور هذه البرامج بعدة عقود، فالموظفون الذين عملوا عنده كانوا بسطاء، وغير متعلمين، فاهتم بتعليمهم على نفقةه.

معاملته مع السائقين

ُعرف عن الشيخ عبدالله السبعيعي اهتمامه بأحوال السائقين الذين يعملون معه، وحسن معاملته لهم، والاهتمام بهم، خاصة الملتحمين والمتدربين منهم، وذلك عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِخْوَانُكُمْ - يعني خدمكم -

خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمُهُ مَا يَأْكُلُ، وَلَيُبْسِهُ مَا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِنُوهُمْ عَلَيْهِ». [رواه البخاري ومسلم].

لقاء السائق بالأحضان..!

أحد السائقين الهنود كانت إجازته كل سنتين، فإذا عاد من الإجازة فرح الشيخ عبدالله السبعي بعودته جدًا، واستقبله بنفسه، وضمه إلى صدره، وقال له: يا مرحباً، يا هلا، يا هلا، وقد شوهد هذا أكثر من مرة، ومرافقه هذا السائق للشيخ كانت مرافقة طيبة، فهو يذهب به إما إلى المسجد القريب من منزله وإما إلى الحرم، ولم يصحبه ولو مرة واحدة إلى الأسواق.

قصة إسلام السائق جون

كان جون سائقاً فليبيينياً يعمل عند أحد أبناء الشيخ عبدالله، فلما بلغ الشيخ أنه أسلم، وغير اسمه إلى عبدالله تيمناً باسم الشيخ، فرح الشيخ فرحاً شديداً، وأرسل إلى ابنه يطلب منه أن يراعي هذا المسلم الجديد، ويتبه له، ولا يثقل عليه حتى لا تفوته الصلوات، ولما جاء موسم الحج قال للمسؤول عن الموظفين: «نحن نريد أن يؤدي هذا المسلم الجديد الحج، فابحث عن الحملات التي تقوم بتوفيق المسلمين الجدد أو الأجانب غير السعوديين من لا يتكلمون العربية»، وفي ذلك الوقت كان الحج قد أُزف، والحملات تقريرًا قد اكتملت أو كادت، فلم يعرف المسؤول بماذا يجيب الشيخ، وحدثته نفسه بأنه ربما ينسى الشيخ هذا الموضوع، لكنه فوجئ بالشيخ بعد يومين يسأله قائلاً: «ماذا فعلت في الموضوع الذي كلفتكم به؟» فقال المسؤول: والله ياشيخ، حصل كذا وكذا، فقال له: «ابحث لنا عن أي حملة، حتى لو اضطررنا أن نؤجر سيارة كاملة، ونتكفل بالباس وبالحملة وبالحجاج كلهم، وندفع التكاليف كاملة، ليس لدى أي مانع».

وبالفعل قام بتفويج سيارة بمن فيها، وكان عددهم خمسين، وأنفق على الجميع من ماله الخاص، كل ذلك من أجل أن يحج السائق جون – أو عبدالله – في تلك السنة.

خمسة آلاف ريال..!

يُذكر أن أحد السائقين الهنود جاء مرة، وقال للمسؤول عن الموظفين: لقد استلقتُ من الشيخ عبدالله خمسة آلاف ريال، فكيف أعيدها إليه؟ فقال له المسؤول: وكيف استلقتها منه؟ قال: حينما أردتُ أن أسافر قلتُ للشيخ عبدالله إن زوجتي مريضة، فأعطاني خمسة آلاف ريال، فهل أعيدها؟ فقال له المسؤول: والله إذا كنتَ أخذتها سلفاً فأعدوها. فأتى السائق الهندي بالخمسة آلاف – والمسؤول يراه – وقال: يا بابا، هذا المبلغ، فقال الشيخ: «لا، لا، خذها، بارك الله لك فيها، وفقك الله، وشكراً على حرصك».

عبرة في التسامح مع موظف خان الأمانة

في إحدى المرات شجع الشيخ عبدالله أحد موظفيه في تجارة الأقمشة، واحتسب له نسبة شراكة ليشجعه على الإخلاص في العمل، وأعطاه مبلغاً ليعمل وينمي به تجارته، لكن هذا الموظف استغل طيبة الشيخ عبدالله، فلم ينمِّ المال لعدم أمانته، وكلما أرسل الشيخ عبدالله أحد أبنائه ليستلم المال من هذا الرجل لا يحصل منه إلا على القليل، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك نظام الحسابات المقيدة، فقط يتم جرد البضاعة ورأس المال، فخان ذلك الموظف الأمانة، لكن الشيخ عبدالله رحم ذلك الموظف وسامحه، وقال: لا يذهب شيء عند الله، ولم يفصله من العمل، واستمر يعمل معه ويساعده، ولم يوقفه، ولم يوبخه... رحمةً به وبأولاده.

الفصل السادس عشر

أغلى من الحب

الأخوة وروعتها بين الشقيقين محمد وعبدالله

«أخوي محمد» أعز علي من نفسي، وأغلى من كل ما أملك، فهو الذي رعاي وعلمني في طفولتي وكيري، وهو بعد والدتنا أستاذنا الأول، ولم أشعر يوماً في حياتي أنا شخصان، فتحن منذ طفولتنا إلى اليوم رجلاً واحداً ولا يفرق بيننا إلا الموت.

عبدالله بن إبراهيم السبيع



ضرب الشقيقان السبعان محمد وعبدالله -رحمهما الله- أروع الأمثلة في الإخاء والحب والإيثار، فقد عاشا حياتهما كلها - التي وصل كل واحد منها فيها إلى المائة عام أو اقترب منها - كأنهما شخصاً واحداً، بل كانا بالفعل شخصاً واحداً. جمعتهما في طفولتهما مشاعر اليتيم وظروف الفقر وحبهما العظيم لأميهما وبرهما بها، ولم يفرقهما الغنى والمال والثروة كما فرق بين إخوة كثير غيرهم. لأجل هذا كله تظل العلاقة بين هذين الأخوين الشقيقين نموذجاً رائعاً للأخوة الحلوة، والأخوة الحقة الصادقة.

إن سيرة الشقيقين عبد الله و محمد السبيعى ستبقى نموذجاً يحتذى في المحبة والتقدير والتضحية والإيثار، كما تبقى قصة شراكتهما وتعاونهما مضرب الأمثال، وحديث الناس في المجالس في عموم المملكة، فتكاملهما وتأخيهما وصل إلى حد أن أصبحا روح واحدة حلت بجسدين، لا ترى بينهما اختلافاً أو تناقضاً.

رجلان في رجل.. اسم واحد وتوقيع واحد

سكن الشقيقان في بيوت مشتركة منذ ولادتها في عنيزه بالقصيم وفي المسجد، ثم في مكة المكرمة وجدة، وحين انتقل محمد إلى الرياض كتب على بيته منزل محمد وعبدالله السبيعى، وهذه العبارة بتقاطعها مكتوبة على بيوت جدة التي سكن فيها عبد الله، فهي بيوتهم، ويشتراكان في ملكيتها معاً. وهم كذلك مشتركان في سكنهما بمكة المكرمة، وهي وحدات سكنية مجاورة لبيت الله الحرام، اشتراها في شركة مكة للإنشاء والتعمير، واشتركا كذلك في بيت المدح وبالطائف.

وفي أعمالهما التجارية لا يفرقان بين بعضهما، فهما شيء واحد، وذات مشتركة، وكيان غير منقسم، فيوقعان توقيعاً واحداً يحمل اسمهما محمد وعبدالله السبيعى، فإذا وقعَ محمد كان توقيعه هذا، وإذا وقعَ عبد الله كان توقيعه التوقيع نفسه.

وقد استمرا شريكين في عملهما التجاري مناصفة في كل شيء، حساباتها واحدة، وأملاكهها واحدة نحوًا من ثمانين سنة، لم يجر بينهما خلاف، ولم تقع بينهما منازعة، ليكونا نموذجاً من نماذج الإخاء التجاري الناجح بين الأشقاء في المملكة العربية السعودية.

التحقican شريkan في الخسارة قبل المكسب

من جمال الأخوة بين عبدالله و محمد السبيعي أنهما لم يختلفا أبداً في التجارة بينهما، ولا يلوم أحدهما الآخر على صفقة خسرها أو خطأ وقع منه أو حتى من أحد أبنائه.. وما يؤكّد ذلك أنهما لم ينفصلا طيلة حياتهما في العمل حتى كبر أبناءهما.

كما أن عبدالله لم يكن يتخد قراراً أو يفعل شيئاً إلا بعد أن يأخذ رأي أخيه الأكبر محمد، فكان محمد يوافق عليه مباشرة، وبعد انتقال الشيخ محمد إلى الرياض تولى الشيخ عبدالله العمل الخيري بمكة المكرمة وجدة، فإذا سئل الشيخ محمد عما يخص جدة ومكة المكرمة فكان يطلب من سائله الرجوع إلى أخيه عبدالله، فهو الموجود هناك، وهو المسؤول، وأما ما يخص الرياض فكان الشيخ عبدالله يقول: اذهبوا أخي. فكل منها فوض الآخر في منطقته، وأعطاه الصلاحية كاملة في القرار والتصرف.

في إحدى المرات احتاج الشیخان إلى عمارات يشتريونها من أجل مشروع ما أو صفقة، وكان المبلغ كبيراً يعد بالملايين، فتعاملوا مع شخص اتضح فيما بعد أنه غير أمين، وقبض عليه، فحزن الشيخ محمد عندما علم بذلك الأمر، لأن أحد أبنائه هو من قام بهذه الصفقة، فما كان من الشيخ عبدالله إلا أنه واسى أخاه، وقال له: لماذا تحزن ويسأل صدرك؟ ما ذهب ذهب، فلا تهتم، والحمد لله، ما ضاع سبأقي غيره، وهذا من الممكن أن أقع فيه أنا أو أنت.

وقد خسراً أموالاً كثيرة في السودان، فقد كانوا يريدان شراء أرض بالسودان ليقيموا عليها مشروعًا خيريًّا، وفقدوا هناك ملايين كثيرة، ولم يحزن أحدهما على ما فقدوه من أموال، ولم يلق أحدهما باللائمة على الآخر.

بينهما كلام لا يفهمه إلا الأشخاص السبعان



من جمال الأخوة بين عبدالله ومحمد السبيعي أنها كانا عندما يتكلمان مع بعضهما فهما يتتكلمان بسرعة طبيعية غير مصطنعة معروفةان بها، فلا يفهم من حولهما ما يقولان، حتى وإن كان صوتهما مرتفعاً.

والدليل على تفاهمتهم دون أن يفهم من حولهما ما يقولان هو أن الشيختين محمد وعبدالله السبيعي ذهبا يوماً إلى الملك خالد رحمه الله، فعادة كان الشيخ محمد السبيعي يذهب إلى الملك خالد كل أسبوع، ويصللي معه المغرب، ويتناول معه القهوة، ثم يخرج. فلما كان الشيخ عبدالله السبيعي موجوداً اصطحبه معه ذلك اليوم، وكان الوقت ظهراً، وهم يجلسان بالصالون، والجميع يتمازحون، وإذا بالشيخ محمد يتحدث بصوت منخفض مع أخيه الشيخ عبدالله، فقال الملك خالد: (يا سبيعي، أرى أنكما تتحدثان عن العمل والملايين، لكن خذا راحتكم، فليس هنا أحد يفهم ما تقولان، فتكلما بصوت عالٍ، ولا أحد سيعلم ما تتحدثان فيه).

بكلماته ودموعه

عبدالله السبيع يوصي ابن أخيه ناصر بوالده



من جمال الأخوة أنه يوم وفاة والدتها نورة العماش رحمها الله، وبعد انتهاء مراسم العزاء، قام ناصر بن محمد السبيع ابن أخي الشيخ عبدالله وزوج ابنته لتوصيل عمه بالسيارة من الرياض إلى المطار ليعود إلى جدة، وأنثناء الطريق جاشت نفس الشيخ عبدالله وبكى وراح يوصي ابن أخيه بالاهتمام بوالده، ويحكي ناصر تلك اللحظات قائلاً: ونحن في السيارة، أتذكر أنه بكى، وظل يوصيني بوالدي: انتبه، أبوك لم يعد له أحد، ذهبت أمي، ولم يبق لي إلا هو، انتبه إلى أبيك. وهذا أثر في شخصياً بشكل كبير جداً، لدرجة أنني كنتُ أقوم بتهئته، فغرس فينا - رحمه الله - قوة العلاقة بين الأخوة وبين الأبناء والآباء.

عبدالله يزور أخاه في الرياض ليطمئن عليه

بعد وفاة الوالدة نورة العماش رحمها الله، كان عبدالله السبيع يذهب إلى الرياض بين آن وآخر لا لشيء إلا ليطمئن على أخيه محمد، كان إذا جاء

الرياض لم يطل البقاء فيها، يأتي فقط لرؤيه شقيقه، ويقول: نفسيًّا لا أرتاح في الرياض، ولكنني أفرح بوجودي إلى جوار أخي الحبيب.

(أخوي).. أحب كلمة إلى قلبه

إن صلة المودة ووشيعة المحبة بين الأخوين عجيبة، فإذا اشتري عبدالله شيئاً وأعجبه، قال لأبنائه: اشتروا منه وابعثوا به لـ (أخوي) في الرياض. إنه لا يسمّيه محمدًا أو يناديه باسمه، وإنما يقول: أخوي! فقد اعتاد الشيخ عبدالله أن ينادي شقيقه محمدًا في كل محادثاتها ولقاءاتها المباشرة، قائلاً: (أخوي)، كيف حالك يا (أخوي)? طمئنٌ عليك يا (أخوي)!! وهكذا.

إثمار كل واحد من الأخوين شقيقه على نفسه

في أمور الدنيا والآخرة

مثلما أحب عبدالله شقيقه محمد وآثره على نفسه في أمور الدنيا والآخرة، أحب محمد شقيقه عبدالله وآثره على نفسه في أمور الدنيا والآخرة، حدث ذات مرة أن مؤسستهم الخيرية عرضت على محمد مشروعًا لإجراء عمليات النظر للمعوزين، فقال لهم: هذا المشروع يحبه أخي عبدالله كثيرًا، أفترح أن تذهبوا إلى جدة وتعرضوه عليه؛ لأنه سيفرح به. فلما عرضوه على عبدالله فرح به فعلاً، وقال: الحمد لله أن هؤلاء الذين أُجريت لهم العملية، سيتمكنون الآن من قراءة القرآن الكريم.

وذات مرة اشتري عبدالله مصحفاً مقسوماً على ثلاثين جزءاً، بعدد أجزاء القرآن الكريم، مكتوبًا بخط كبير واضح تسهل قرائته، فأعجبه ذلك وسره غاية السرور، ثم قال: «اشتروا مصحفاً وأرسلوه لأخي محمد، لأن أخي محمد يحب أن يقرأ القرآن، وهذا يسهل عليه القراءة بيسر وسهولة، وسيفرح به».

تنوّق لا ينقطع أبداً

كان مشهداً طبيعياً - إذا حانت المواسم التي يجتمعون فيها عادةً - أن ترى كل واحد منها يستعجل شقيقه الآخر في القدوم حتى يمتد الأنس به، ويشعر بدفء الأخوة وجمال المحبة المتبادلة.

كان كل منها حريصاً على سعادة أخيه، راغباً في إسعاده، وكان عبدالله يعد الأيام ويتضرر الليلى؛ ليلة تلو الأخرى، ترقباً حلول شهر رمضان المبارك، حتى يجاور بيت الله الحرام، وليلقى أخاه وتتوأم روحه محمداً، والذي يأتي كل عام من الرياض إلى مكة المكرمة للعبادة، ولرؤيه أخيه كذلك، فيمكث فيها شهراً كاملاً، يجتمع هو وعبدالله في سكن واحد، ويجلسان جنباً إلى جنب في استقبال ضيوفهما.

ثم إذا انتهى شهر رمضان سافرا معاً إلى الهدى في الطائف، فيبيقان مدة من الوقت هناك، ولا يقرر أحدهما العودة والرجوع إلى بيته ومدينته إلا إذا قرر الآخر، بل إن محمدًا كان يقول لأبنائه: «ما ودي نستعجل بالرجوع؛ لأنني أرى أخي عبدالله مستأنساً». وهذا نفسه ما كان يردده عبدالله لأبنائه، إذ ينشد كل منها راحة الآخر وأنسه وسعادته.

يدرك أحمد بامعس وهو من قدامي موظفيهم موقفاً يؤكّد هذه الألفة والمحبة الراسخة بينهما، فيقول: كنا على اعتاب موسم الحج في إحدى السنوات، فقرر الشيخ محمد أن يسبقنا إلى المخيم في مني، أما الشيخ عبدالله فقد بقي بعده يوماً لاستكمال أعمال الصرافة، لأن موسم الحج من أهم المواسم، فلما انتهى اليوم اتصل الشيخ محمد بشقيقه الشيخ عبدالله وقال له: «أين أنت يا أخي؟ تأخرت علينا». فلما انتهى من المكالمة التفت إلى الشيخ عبدالله وقال: «خلاص، قفل المحل، لا بد أن نذهب إلى مكة المكرمة.. والله أشتقت لأنسي». فقلت له: وماذا عن المعاملات المتبقية؟ قال: «أجل المعاملات إلى بعد العودة من الحج، لأن أخي يحتاجني إلى جواره، ولا بد أن نذهب فوراً».

الشيخ محمد السبيع يعلن إهداء قلبه لأخيه عبدالله!



وهذا العرفان والتقدير فعله كذلك الشيخ محمد، إذ سأله أحد الصحفيين سؤالاً عاطفياً وجداً نياً وهو يتحين منه أن يتحدث عن زوجته أو أولاده وبناته، فقال له: لو قُدِّر لقلبك أن تعطيه لأحد، فلمن تعطيه؟ ردَّ عليه الشيخ محمد قائلاً: «قلبي لشقيقتي عبدالله، مع احترامي لأم أولادي!».

فلا غرابة حين ندرك أن واحداً من أسرار هذه العلاقة والألفة والمحبة هي دعوات المرأة الصالحة العابدة نورة العماش والدتها رحمها الله.. وهنا يقول الشيخ محمد كاشفاً سرَّ هذه العلاقة الدافئة بينهما وما فيها من التفاصيل العميقة: «كانت دعوات الوالدة أن يجمع الله بين قلبينا، ويحقق نجاحنا».

وكان الشقيقان السبعان مقتنيين بأن رضا والدتها، ودعاءها الدائم لها، وراء ما وصلا إليه من محبة وأخوة وتفاهم ونجاح في الحياة.

التزاوج بين أولادهما

تبادل الأخوان الرعاية والاهتمام بالأبناء، فكما كان عبدالله يحب أولاد أخيه محمد ويهم بأمرهم، كذلك كان محمد أيضاً يحب أولاد أخيه عبدالله، ويسأل عنهم، ويهم بشؤونهم، ولا عجب!! فقد تزوج إبراهيم بن عبدالله من هدى ابنة عمه محمد، وتزوج اثنان من أبناء محمد باشتين من بنات عبدالله.

ناصر بن محمد السبيعى وحب عمه عبدالله

من جمال الأخوة بين عبدالله ومحمد السبيعى أن كل واحد منهم كان يحب أولاد الآخر كأئمهم أولاده تماماً.. ويهم بأحوالهم.. ويسأل عن أخبارهم.. ويرعى شؤونهم. وعلى سبيل المثال يتحدث ناصر محمد السبيعى عن ذكرياته مع عمه عبدالله، وعن حبه له قائلاً: «كان عمِي عبدالله -غفر الله له- والدًا ثانِيًا لي، أحبني عمِي عبدالله جَبًا شديداً، فكنتُ أستمتع بقضاء الصيفيات عنده لما أجدتُه من حرص واهتمام، حتى إنَّ الذي قالتْ لي فيها بعد: لا أعرف كيف كنت أطيع والدك، وأنت عمرك ٤ - ٥ سنوات، وأتركتَ تبقى شهرین عند عملك في جدة. فهذه سن طفولة، ومع ذلك كنتُ أذهب وأقيم مع عمِي، وكنتُ أذهب معه إلى المكتب في شارع قابل في الصباح.. أستيقظ وأفطرُ معه، وأركبُ معه السيارة، وأجلس بجوار العدادين، أو بجوار الكتبة، وكان يرسلني مع المندوبين بالشيكات أو الندية، ثم نعود. وكانت مكافأتي نهاية اليوم ريالاً واحداً، كنتُ أشتري به حلوي وأوزعها بعد العصر، وهذا هو الوقت الذي أستمتع فيه. فكنتُ أذهب معه في الصباح، وفي المساء أبقى في البيت ألعب الكرة، أو أستمتع مع من هم في مثل سني، فكنتُ أعيش مرحليتين، وكان - رحمه الله - يأتي ويصطحبني في آية مشاور، وفي نهاية الأسبوع يأخذنا إلى البحر لسبح، فكان هناك حرص وعناية واهتمام بي».

وكان عمِي عبدالله - رحمه الله وغفر له - يهتم بالخط اهتماماً كبيراً، ويقول: «الخط من أساسيات المرء وبناء شخصيته. ويحضر لنا المدرسون حتى ولو لم نكن



بجدة، فقد أحضر لنا مدرساً ونحن في الطائف، كنا نذهب إليه ساعتين يومياً، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك آلات، فكان كل شيء يكتب كتابة يدوية؛ الخطابات والحسابات والكشوفات وغير ذلك.. كلها يدوية. وكنت أظل معه في جدة إلى منتصف الليل نكتب، فكنت أكتب ما يقارب ١٧ - ٢٠ خطاباً موجهاً إلى عملائنا في الكويت أو الرياض أو غير هذا، فالخطأ كان شيئاً أساسياً عنده، وكان حريصاً على جودته».

قصة إلحادي بنات عبدالله عن عمها محمد

كل أبناء الشيخ عبدالله السبيعي يحتفظون بذكريات مع عمهم محمد السبيعي، ونورد هنا نموذجاً من قصة روتها منى عبدالله السبيعي عن عمها محمد لأنها تعيش في الرياض، قالت: كان عمي محمد حبيباً لطيفاً، يسأل عن أحوالنا دائماً، فكان يسأل عن أحوالي كثيراً وكأنه أبي، فقد كان زوجي د. سليمان السحيمي مسافراً، وكان أبنائي صغاراً، لذلك كان عمي محمد يأتيني في البيت، فيدخل من باب وينخرج من الآخر، ويقول: (حتى لا يعرف الناس

أنه ليس هناك رجل باليمن)، فينزله السائق على هذا الباب، ويطلب منه أن يتضرره على الباب الثاني؛ لأن بيتي القديم كان له بابان متظاهران، فحين كان سليمان يقول له: أنا سأسافر، كان عمي يفكر في وضعي وحيدة مع أولادي، فأصبحت أقول له: لا تعلّمه، لأنه صار يتعب في السؤال عنني: أين أنت؟ أين ذهبت؟ من أين جئت؟ هل تحتاجين شيئاً أحضره لك؟ تعالى وابقي معنا هنا.. وهكذا. لأننا دائمًا معًا كعائلة، فكنا إما عند عمي أو عند أبي، فهذا البستان هما الأساس، كل الزيارات واللقاءات والمناسبات والأعياد... كانت إما عند أبي أو عند عمي.

استعداد عبدالله بالتنازل عن كل ما يملك لأخيه محمد

لم يترك عبدالله أي فرصة لمحديثه إلا وعدد لهم فضائل شقيقه الأكبر عليه، فقد ظل ينظر إليه باعتباره شقيقه ووالده ومعلمه، ولم ينس يوماً أنه تعلم الكتابة وقراءة القرآن على يديه، فقد علّمه كل شيء حتى قيادة السيارة، فضلاً عن فنون التجارة والشراكة.

في إحدى اللقاءات على قناة MBC تحدث الشيخ عبدالله السبعبي أمام الملايين من المشاهدين عن أخيه محمد، وقال معتبراً بالفضل: «أخي محمد علمني كل شيء، فقد كان حازماً معي في التعليم لا سيما تعليم القراءة والكتابة، ولو لا فضل الله ثم أخي ما كنت تعلمت الكتابة، ولا حفظت القرآن».

ولم يبالغ الشيخ عبدالله السبعبي عندما قال لأحد الإعلاميين إن كل ما يملكه هو ملك لأخيه؛ البيوت والشركات والأراضي وغيرها من العقارات والأموال والأطيان هي ملك مشترك، ثم أضاف مؤكداً: «و كنت مستعداً للتنازل عنها جيئاً إرضاء لشقيقه الأكبر محمد الذي هو أعز عليّ من نفسي».



قصة فصل الشراكة التجارية بين الشقيقين

من جمال الأخوة بين محمد وعبدالله السبيعى أنها عندما انفصلا لم يختلفا أبداً في تقسيم الثروة والتجارة والأعمال التي كانت بينهما، رغم أن الثروة كانت عظيمة، ومع ذلك لم يحدث بينهما خلاف حولها، وهذا على نقيض ما سمع ونرى في المحاكم اليوم من صراعات بين الإخوة وورثة الإخوة أو أبناء الإخوة.. لكنَّ الشقيقين محمد وعبدالله السبيعى شيء مختلف. كانوا على استعداد للتنازل عن أية أموال - منها بلغت - من أجل أن يبقى الأفضل، فالأموال تأتي وتذهب، وتبقى العلاقة مع الآخرين.

وفي عام ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م) اتفق الشقيقان السبعان على قسمة شركتهما مناصفة بينهما، قسمة (بطيخ) كما يردد العامة، فما تنازعوا في شيء، أو اختلفا في أمر، وكذلك أبناءهما لم يقع بينهما أي نوع من الخلاف أو النزاع على الثروة، بل فوجئ الجميع بأنَّ أوصى محمد العاملين في لجنة الفصل: «أي شيء يريده أبناء أخي عبدالله فهو لهم، لا تناقشوهم في شيء»، والأمر نفسه قاله الشيخ عبدالله للجنة: «كل ما يريده أبناء أخي محمد فهو لهم».

ومن عجائب الإثمار والتضحيه بين الشقيقين أن لجنة الفصل إذا عرضت على أحدهما شيئاً ثميناً، قال: «هذا اترکوه لأخي، لأنه قيم، وهو يستحقه، وسيفرح به»، هذا ما كان يفعله محمد وعبدالله معاً، فكل واحد منها كان يؤثر أخيه بأفضل العقارات وأطيب الأماكن وأكثر الحصص ربحاً.

فلا عجب أن تنتهي أعمال لجنة الفصل - في مدة وجيزة - بقسمة واحدة من أكبر الشركات السعودية، شركة عمرها ثمانون عاماً، وفيها أملاك كثيرة في جميع مدن المملكة، ناهيك عن شراكتهما في العديد من المدن والموقع المملوكة لهما، أو مما كانوا من المساهمين فيه.

وكانت لجنة فصل الشراكة مكونة من: خالد صالح الهدال، د. عادل محمد السليم، ناصر محمد السبيعي، خالد عبدالله السبيعي. وبعد أن أنهوا الفصل بينهما، أسس كل واحد منها شركته التجارية الخاصة التي تجمعه بأبنائه، وأبقوا المؤسسة الخيرية على حالها مدة قبل انقسامها لجمعيتين.

يقول الأستاذ خالد صالح الهدال، وهو من شارك في مراحل الفصل: لم يمر علينا فصل بين أخوين انتهى بهذه الطريقة من الود والمحبة، والتنازلات التي حدثت دون الرجوع إلى الحسابات والدفاتر وغير ذلك، فالحقيقة أن الشقيقين لم يدخلان في التفاصيل أبداً.

امتناع عبدالله عن رؤية أخيه وهو يتالم من العرض

عندما هاجم المرض الشيخ محمد السبيعي، واشتد به في آخريات أيامه، وأصبح طريح الفراش، كان أخوه الشيخ عبدالله لا يريد أن يرى شقيقه في تلك الحال وهو على فراش المرض، ولكنه كان دائم السؤال عن أخيه، فيقول: كيف أخي؟ ما حال أخي؟ ومرة سأله ابنته هند فقالت له: «هو متعب جداً، حتى الأكل صاروا يطعمونه بالغذيء»، فأغلق الموضوع مباشرة، ولم يجعلها تكمل الحديث، لأنه لم يستطع - أو لم يحب - أن يسمع هذا عن أخيه.. وعاش طوال فترة مرض أخيه بعيداً عنه؛ يكابد مشاعر الألم والشوق إليه.

التعاشل محمد في مرضه بسماع صوت أخيه عبر الهاتف

من عجائب ما يرويه أبناء الشيخ محمد السبيعي أنهم كانوا يتصلون بهم عبد الله ليكلم أخيه لتنشيط ذاكرته، فكان الشيخ عبد الله يتحدث من جدة إلى أخيه بصوت متهدج حنون، ويغنى لأخيه الأغاني التي يحبها، فيسمع الشيخ محمد صوت أخيه عبد الله عبر مكبر الصوت، فيتعشّ، ويتهلل وجهه، وتسرى في جسده همة وهو يحاول أن يتحرك على سريره، ولا يريد من أخيه أن يسكت، بل يقول له: أكمل.. أكمل..!

حزن عبد الله لوفاة أخيه محمد

توفي الشيخ محمد السبيعي يوم الجمعة ١٤٣٨/١١/٢٦ هـ، فحزن الشيخ عبد الله على وفاة أخيه حزناً شديداً. وكان صبوراً، يكتم حزنه ولا يظهره، ومن شدة كمده وحزنه لم يستطع أن يحضر جنازة أخيه، لم يأت إلى الرياض ليحضر دفن أخيه من شدة تأثره، فهو لم يستطع أن يراه وهو مريض، فكيف يتحمل أن يراه وقد توفي؟! وما بالنا بالسير في جنازته.. ومواراته الثرى...!! رحمة الله عليهم ورضوانه.

لقد ظلت العلاقة التي ربطت بين الشقيقين والشريكين محل تساؤل دائم، لأنها بلا شك تعد من أطول الشراكات العائلية، وأصدقها، وأنقاها، وأفضلها تطبيقاً، كما أنها رغم ما مر بها من عواصف ومنغصات ومكدرات ومشكلات لا يخلو منها بيت أو عمل، إلا أنها ارتفقت فوق كل ذلك، واستحكمت بالمثل العليا التي تربط بينهما، حتى تحولت إلى أسمى وأرقى العلاقات الأخوية والعائلية والإنسانية والتجارية التي عرفتها المملكة العربية السعودية، إن لم تكن أنجحها بلا منازع.. أخوة تصر كلمة الحب عن وصفها، لم يكن ما بين الشقيقين حباً، بل أكبر وأعظم، كانت أخواتهما حقاً أعلى من الحب..!

الحب الذي لا يموت

رحل محمد ولكن لم يرحل من قلب أخيه عبد الله



الفصل السابع عشر

عبدالله بن إبراهيم السبيع

برنامج حياته وعاداته من شبابه إلىشيخوخته

ذهبت إلى كثير من بلاد الدنيا فلم أجده أحب إلى قلبي من الذهاب إلى مكة المكرمة والموكوث فيها ، والتزام بيت الله الحرام ، كما لم أحب موعداً في حياتي لا يخلفه أحداً مثل حبي لمواعيد الصلاة على وقتها في جماعة.

عبدالله بن إبراهيم السبيع



انقسمت حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي إلى ثلاث مراحل مختلفة، تفاوتت هذه المراحل ما بين ضيق ذات اليد وما بين متوسط الحال إلى السعة ورغد العيش، فالمراحل الأولى كانت مرحلة الفقر والتقشف حيث كان لا يملك شيئاً من متع الدنيا، ثم المرحلة الثانية متوسط الحال وهي مرحلة بناء العمل التجاري بعد تأسيس الشركة والانتقال إلى جدة، والمراحل الثالثة مرحلة الغنى وسعة الرزق التي عاشها، وفي بداية هذه المرحلة إلى منتصفها تقرباً عاش الشيخ عبدالله حياته مثل أي رجل أعمال، ولكنه في النصف الثاني من هذه المرحلة بعد تقدمه قليلاً في السن زهد في الدنيا وعاش حياة البساطة، ولم تعد أشياء كثيرة تجذبه أو تهمه، على أنه في كل مراحل حياته كان مستعصياً بدينه، ملتزمًا بكل ما يحبه ربه ويرضاه..

عبدالله السبيعي في حياة رغد العيش

عاش عبدالله السبيعي حياة رغيدة في ملبيسه وأأكله، وصار متميزاً في كل شيء، امتلك في جدة بيته متميزاً، ولم يكن هذا البيت يتصرف بالمالحة والإسراف، ولكنه كان نموذجاً في الزينة والأثاث، متميزاً بالترتيب والدقة والجمال.

سافر إلى خارج المملكة في رحلات عمل كثيرة متنوعة، وزار كثيراً من بلدان العالم، ورغم أنه لم يكن يجيد اللغات الأجنبية إلا أنه سافر في رحلات طويلة، واستطاع أن يدبر أموره في هذه الرحلات، حيث كان يكتب الكلمات الإنجليزية باللغة العربية في وريقات يأخذها معه ليستعين بها، وفي أي بلد يزورها كان يبحث عن ييسر له أمره في تلك البلد.

لم يكن يسافر إلى الخارج للتتنزه والاستمتاع بقضاء الصيف كما يفعل كثير من الأغنياء، بل كان يذهب وحده للعمل، أما الصيف فإنه يفضل أن يقضيه داخل

المملكة، فهو يرى أن المملكة بها أماكن أفضل لقضاء الصيف فيها، واختار أن يقضي الصيف مع أسرته بالطائف.

اختلف البرنامج اليومي للشيخ باختلاف المرحلة العمرية له، حيث كان لكل مرحلة ظروفها ومتطلباتها، فعادات الإنسان وحاجاته تختلف في كبره عنها في شبابه.

تنظيم حياته بمواعيد الصلوات



كان برنامج حياته اليومية يقوم على ركائز، وهي الصلوات الخمس التي لا يفرط في حضورها في المسجد، فمثلاً كان برنامجه في كل البيوت التي سكنها في جدة أن يذهب لصلاة الفجر في المسجد ومعه الموظفون، ثم يعودون جميعاً وينامون، ثم يستيقظون في التاسعة صباحاً ليذهبوا إلى المكتب، وفي هذه الفترة كان يقود السيارة بنفسه، ثم بعد ذلك استأجر سائقاً، فكانوا يذهبون إلى المكتب في شارع قابل، ويداومون في المكتب إلى الواحدة بعد الظهر، ثم يعودون إلى البيت، فيتناولون طعام الغداء.

بعد الغداء تأتي القيلولة، فینام قليلاً حتى العصر، ثم يستيقظ فيتهياً لصلاة العصر، ثم يتناول القهوة في جلسته بالبيت، وبعد الساعة الخامسة يركب السيارة ويذهب مرة أخرى إلى المكتب ليداوم الدوام الثاني، ويظل بالمكتب إلى ما بعد صلاة العشاء، وبعد ذلك يغلق المكتب ويعود إلى البيت، فيتناول طعام العشاء مع العائلة، وإن كانت والدته - رحمة الله - مستيقظة، بدأ بالسلام عليها أولاً. وكان من عادته النوم مبكراً.. فكان موعد نومه غالباً في الساعة الحادية عشرة مساءً.. فلم يكن يسهر أكثر من هذه الساعة حتى يستيقظ مبكراً لصلاة الفجر.

فرحته الكبيرة في رمضان



كان عبدالله السبيعـي يقضـي شـهر رمضان في مـكـة المـكرـمة، وـكان له بـرـنامج يـحرص عليه ولا يـغـيرـه، وـقد أـجـمـعـ من عـرـفـه وـعاـصـرـه عـلـيـ أنه تـعـودـ أن يـقضـي شـهر رمضان كـامـلاً بمـكـة المـكرـمة، وـيـصـلـي طـوال شـهر رمضان بالـحرـمـ، وـيـنـقـطـعـ عن كلـ شـيءـ منـ أمـورـ الدـنـيـاـ، منـ التـجـارـةـ وـالـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ وـالـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ، بلـ حتـىـ الـكـلامـ فـإـذـاـ جـاءـهـ بـعـضـ زـوارـهـ الـكـرامـ وـتـكـلـمـواـ فـيـ الـأـمـورـ الـمـبـاحـةـ منـ أمـورـ الدـنـيـاـ، أـعـرـضـ عـنـهـمـ، وـلـمـ يـسـرـسـلـ مـعـهـمـ فـيـ الـكـلامـ، وـيـقـيـ مـلـزـمـاًـ بـالـذـكـرـ وـالـتـعـبـدـ لـلـهـ عـزـ وـجـلـ.

كان في السنوات الأولى له بجدة يقيم في بيت صغير في مكة المكرمة مجاوراً للحرم، وكان يقيم في رمضان مائدةً في ساحة الحرم المكي الخارجية؛ ليفطر عليها مع أبنائه وأصحابه والمعارف من أهل مكة والوافدين إليها وجمع من الفقراء والمساكين يحرض على مودتهم والاهتمام بهم. كان يفرح بكل من يأتيه الصغير قبل الكبير، يفرح بالمسكين والبسيط أكثر مما يفرح بالوجيه، فكانت تلك فرحته الكبيرة في رمضان.

برنامجه في أبراج مكة المكرمة المطلة على الحرم

فيما بعد انتقل عبدالله السبعي إلى أبراج مكة المكرمة المطلة على الحرم المكي مباشرة، فصار برنامجه يبدأ من اليوم الأول لشهر رمضان المعظم من بعد صلاة الفجر، يبدأ في أبراج مكة بالدور السادس (٦١٧ - ٦١٩)، وهو شقتان يقيم فيها مع عائلة، ثم أضاف شقة للضيوف رقم (٦٠٦)، وهذه تخصص لتناول الإفطار اليومي طوال رمضان، فقد تعود الشيخ أن يصلى الفجر في المصلى بأبراج مكة، وهو مصلى عام يتسع لآلاف المصليين، ثم لما كبرت سنّه صار يصلى في بلكونته المطلة على الحرم، ويصلّي معه أبناؤه ومحبّوه والموظّفون والجيران، وهي بلكونة كبيرة تتسع للعشرات.

وبعد الصلاة يبقى في جلسته حتى الشروق، ثم يستريح، ثم يخرج فيصلي الظهر والعصر، ثم يخرج بعد العصر ربما بنصف ساعة، حيث يذهب إلى مكانه في الحرم، ويبيقى منشغلاً بتلاوة القرآن إلى أذان المغرب، ثم يعود إلى بيته حيث السفرة التي يقيمها ليستقبل فيها أحبابه وجيرانه وأصدقاءه ومن يأتي إلى مكة المكرمة من المثقفين وطلبة العلم والمشايخ والعلماء وغيرهم لتناول طعام الإفطار. ثم تبدأ جلسة علم قصيرة، يحضرها كثير من العلماء أمثال الشيخ السديس وغيره، ثم يصلّون العشاء والتراويح وبعدّها يتناولون بعض الفطائر، ثم يستأنفهم للراحة ليستطيع القيام لصلاة الفجر... وهكذا.

أهل العلم في مجلسه الرمضاني

ثم تكون جلسته التي يستضيف فيها أهل العلم، ويتحدث فيها أحد الموجدين بموعدة أو شيء من هذا القبيل، فيفتح الشيخ أولاً هذه الجلسة بتلاوة القرآن، فله قراءة جميلة على طريقة كبار السن من أهل نجد، وهي قراءة متقدمة، فالكثير من المتخصصين في العلوم الشرعية والقرآن أثروا شأنه جميلاً على تلاوته ومخارج حروفه، ثم قبل أذان العشاء بـ ١٥ دقيقة أو ٢٠ دقيقة يومياً يقوم للموضوع والتجهز لصلاة العشاء ثم التراويح، وبعد التراويح يجلس جلسة خفيفة، ثم يدخل إلى بيته ويسامر أولاده وزوجته حتى ينام... وهكذا.

رحلاته الجمعوية السنوية إلى الحج



أدى عبدالله السبيعى الحج أكثر من سبعين مرة في حياته، وكان يصحب معه أسرته والصبيان الذين يخدمونه، كما يصحب بعض السائقين أو الطهاة وغيرهم لأداء فريضة الحج، وكان الطهاة يجهزون الطعام في قدور، فيجهزون الطعام

اللازم للمزدلفة وهم بعرفة، ثم يأخذونه معهم، وكان يشاركه في بعض رحلات الحج شقيقه الشيخ محمد الذي كان يأتي من الرياض بزوجته وأولاده وأحفاده، فيذهب الجميع إلى الحج.

وكان لبيته في الرويس بباب خلفي، وبجواره ما يشبه مستودعاً يضم كل لوازم ومستلزمات الحج من خيام وقدور وغير ذلك، فإذا أراد الحج ذهب واختار مكاناً في مكة أو منى أو عرفة حيث يقيم الخيام، فكان أهله وعائلته لا يشعرون بمشقة الحج، بل يشعرون أنهم في نزهة جميلة، فيحضر سيارة كبيرة (تريلا) فيملؤها ويدهبون بها، وكان هذا الوضع في كل البيوت التي سكنها.

في مكة المكرمة كانت الخيام تنقسم إلى خيام للرجال وأخرى للنساء، وكان الشيخ هو المطوف الخاص لأسرته، فيدخل إلى الحرير، وأمه على قيد الحياة، فيجلس في الأمام ويدعو للجميع، وكل النساء يتأثرن بدعائه، ثم يذهب إلى المزدلفة، ثم عرفة بالسيارة نفسها، يركب النساء بالأسفل والرجال بالأعلى.

وكان يقوم بنفسه برمي الجمرات عن صغار العائلة من البنات وكذلك عن والدته، وقد استمر هذا الحج الجماعي سنوات طويلة، إلى أن حدث الحريق المعروف بالحرم، ومن بعدها لم يعد يذهب بالعائلة سنويًا كما تعود.

برنامجه اليومي في آخر سنوات حياته

بين البيت والمكتب والمسجد

في السنوات الأخيرة من حياته تغير برنامجه اليومي نوعاً ما نظراً للتقدم سنه وبلوغه الثمانين، فصار برنامجه يبدأ عادة قبل الفجر، فيذهب إلى المسجد القريب من بيته في حي الربوة بجدة، وفي كثير من الأحيان يكون أول الوافصلين إلى المسجد، فيقوم برفع الأذان.

بين الأذان والإقامة كان يتلو آيات من القرآن الكريم حتى يحين موعد الصلاة، فيصلي الفجر مع المصليين، ثم يعود إلى بيته فيستريح حتى الساعة التاسعة، ثم يستيقظ ليتناول طعام الإفطار، ويجلس مع أسرته؛ ليتعرف على أحواهم.

وقبل الظهر بنصف ساعة يذهب إلى المكتب حيث تعود أن يداوم على الذهاب إلى العمل حتى قبيل وفاته، وإن كان وجوده في المكتب وجود رمزي،



يذهب قبل الفجر إلى المسجد القريب من بيته، وإذا وصل إليه مبكراً يقوم برفع الأذان

بمعنى أنه لا يداوم دواماً حقيقياً مُرهقاً، لكن وجوده كان يسعد الموظفين، ويملاً المكان برقة وبهجة وسعادة، فيفرح أبناءه بوجوده بينهم.

عندما يدخل الشيخ مكتبه، يترك أبناءه ما يأذيهم من عمل ويتجهون إليه ليحيوه ويسلموا عليه ويتباركوا به، ثم تقدم له القهوة، وبعد ذلك في الغالب يأتيه أحمد بامعس، وهو موظف قديم، يعمل معه منذ ستين عاماً تقريباً، فيعطيه موجز أخبار المكتب، مثلًا وصلنا في الوقف الفلاني إلى كذا، وجاء خطاب كذا.. فتعرض عليه بعض القضايا التي لها علاقة بالعمل الخيري، وهذا علاقة بمساعدات الناس، وبعض المتابعات الكبيرة، وهو يسأل أسئلة عامة عن بعض المشاريع، خاصة المشاريع الواقعية، ويقوم بإعطاء توجيهاته العامة ونصائحه فيما يتعلق بالعمل، وإذا جاء ضيف أو زائر إلى المكتب استقبله الشيخ ورحب به.

يظل في المكتب حتى تحين صلاة الظهر، فيتجه إلى أقرب مسجد، وهو مسجد النويصر أو مسجد البسام في شارع حراء فيصل في الظهر، ثم يعود إلى المكتب، ويظل فيه حتى الساعة الثانية والنصف تقريباً، ثم يذهب إلى البيت.

برنامجه في البيت

بعد الساعة الثانية والنصف يعود الشيخ إلى بيته، والمسافة بين المكتب والبيت حوالي نصف ساعة، فيتناول طعام الغداء ويرتاح قليلاً، ثم يتجه إلى المسجد لأداء صلاة العصر، فيكون من أول الداخلين إلى المسجد، فيصلي العصر ثم يعود أدراجه إلى البيت.

تعود عبدالله السبعيعي أن يذهب إلى المسجد المجاور لبيته مشياً على أقدامه إلى آخر خمس سنوات من حياته، ثم صار له عارض صحي مع تقدمه في السن، فأصبح يذهب بالسيارة، ولكن ذلك حدث بعد بلوغه الخامسة والستين.

برنامجه في السنوات الأخيرة من حياته

في الخمس سنوات الأخيرة من حياته كان يقضي وقته موزعاً بين العبادة والعمل الخيري، فكان من جدول أعماله اليومي أنه عند العصر يجتمع بأهل الحارة، وبعد المغرب يجلس في المسجد، ولا يخرج إلا بعد صلاة العشاء، ويعود إلى المنزل، فيجلس مع بناته، ويتناول معهن طعام العشاء، ويجلس يتسامر معهن حتى الساعة الحادية عشرة ثم ينام ليستيقظ فجراً، واستمر يواظب أبناءه - رحمة الله - للذهاب إلى المسجد، ثم يذهب إلى المسجد، ويبيقى به حتى شروق الشمس، يقضي وقته هناك في قراءة القرآن، ثم يعود إلى المنزل، فينام قليلاً، ثم يستيقظ لتناول الإفطار، ويصلِّي الظهر في المسجد، ثم يتجه إلى المكتب، وعندما يرجع يتناول غداءه، ويرتاح قليلاً قبل صلاة العصر، ثم يصلِّي العصر، ثم يجتمع بأهالي الحي .. وهكذا.

جلسة بعد العصر في صالون منزله

كانت جلسة العصر تتدنى إلى ما قبل المغرب بثلاثين دقيقة أو أربعين دقيقة حسب الوقت صيفاً أو شتاءً، فتنتهي قبل أذان المغرب، ثم يدخل الشيخ مباشرة فيرتاح عشرين دقيقة تقريباً، ثم يتوضأ ثم يذهب للمسجد ليصلِّي المغرب،



ويكون أيضاً في الصـفـ الأول، ومـكانـه معـرـوفـ، وربـما قـرـ السنـوات دونـ أنـ يـتـخـلـفـ عنـ الصـفـ الأولـ، وإنـ تـأـخـرـ فـهـوـ فيـ الصـفـ الأولـ فيـ أـقـصـيـ الـيمـينـ أوـ أـقـصـيـ الـيـسـارـ. أحـبـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ مـنـ الأـشـعـارـ ماـ يـسـمـونـهـ الشـعـرـ الشـعـبـيـ،ـ فهوـ يـحـبـ منـ الشـعـراءـ الشـاعـرـ اـبـنـ لـوـيـحـانـ،ـ فهوـ صـدـيقـهـ.ـ وـكـانـ يـقـرـأـ أـيـضـاـ أـشـعـارـ الـمـلـكـ فـيـصـلـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـ،ـ وـالـمـلـكـ فـيـصـلـ كـانـتـ لـهـ مـحاـورـاتـ مـعـ بـعـضـ الشـعـراءـ،ـ فـكـانـ الشـيـخـ -ـ رـحـمـهـ اللهـ -ـ يـحـبـ أـشـعـارـهـ كـثـيرـاـ،ـ وـيـطـرـبـ لـهـ،ـ فـتـقـرـأـ عـلـيـهـ،ـ وـتـعـجـبـهـ كـثـيرـاـ.

وـمـاـ كـانـ يـعـجـبـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ وـيـطـرـبـهـ إـذـ قـرـأـ عـلـيـهـ أـحـدـ اـسـمـ حـارـةـ مـنـ حـارـاتـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ،ـ فـأـخـطـأـ فـيـ اـسـمـهاـ،ـ فـيـصـحـ لـهـ وـهـوـ مـنـتـشـرـ مـنـ السـعـادـةـ،ـ وـكـأنـهـ فـيـ دـاخـلـهـ يـسـتـعـيدـ ذـكـرـيـاتـهـ فـيـ تـلـكـ الـحـارـةـ،ـ فـكـانـ هـذـاـ الشـيـءـ مـاـ يـدـخـلـ السـرـورـ عـلـيـ قـلـبـهـ،ـ رـحـمـهـ اللهـ.ـ وـهـذـهـ الجـلـسـةـ الـعـصـرـيـةـ كـانـتـ هـيـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ لـيـزـورـهـ أـحـبـابـهـ وـأـصـحـابـهـ،ـ فـفـيـ الـغـالـبـ مـنـ أـرـادـ زـيـارـتـهـ تـكـونـ جـلـسـةـ الـعـصـرـ هـيـ أـنـسـبـ وـقـتـ،ـ لـأـنـهـ فـيـ الصـبـاحـ يـكـونـ نـائـئـاـ مـرـتـاحـاـ،ـ وـعـنـدـ الـظـهـرـ فـيـ مـكـتبـهـ.ـ وـيـزـورـهـ فـيـهـ الـزـوـارـ الدـائـمـونـ وـالـمحـبـونـ لـهـ..ـ وـمـاـ أـكـثـرـهـ !!

القراءة مع عبدالعزيز القحطاني

والكتب التي أحب بها



كان الأستاذ عبد العزيز القحطاني مرافقاً للشيخ عبدالله في مجلسه والمسجد وتكرير الأحفاد

بعد صلاة العصر يجلس في مجلسه المخصص له في بيته، ويكون عنده غالباً صحيفه عكاظ، حيث كان الشيخ يهتم بما يتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخبار، فكان أولاً يأخذ الصحيفة، ويتضخها، ولأن بصره صار ضعيفاً، كان يقرأ العناوين الكبيرة، ويرى الصور، مثلًا صورة خادم الحرمين.. ويقلب، ويقلب، فإذا جذب اهتمامه خبرٌ معين، طلب من الأستاذ عبدالعزيز القحطاني - الملازم له في سنواته الأخيرة - أن يقرأ له تفاصيله، فيقرأ له كاملاً، أما ما عدا ذلك فيمر عليه سريعاً. وفي هذه الجلسة العصرية أيضاً، يقرأ عبد العزيز القحطاني عليه أخبار مكة المكرمة، فطرب الشيخ لها أيها طرب، فإذا أراد القحطاني أن يسعد الشيخ ذكر أسماء الحواري في مكة القديمة، التي لا يعرفها أبناؤه، فيفرح بذكرها كثيراً، خاصة الأماكن التي لم تعد موجودة في العصر الحاضر، بل أصبحت أثراً بعد عين.

وأحياناً - وهذه من الأمور النادرة - يعطي عبدالعزيز الصحيفة، ويقول: انتق لي منها أهم ما فيها، فيترك كل ما فيها من أمور عادية، ويقرأ عليه الأخبار السياسية والاقتصادية، فهذا ما كان يهمه أكثر من القضايا الأخرى، وإذا كان هناك عمود أدبي أو قصيدة يحبها كثيراً، ثم يطالع معه الإنترنت ليرى آخر الأخبار التي ربما تكون أحدث مما ورد في الصحف.

بعد الانتهاء من مطالعة عناوين الأخبار في صحيفة عكاظ، يطلب من عبدالعزيز القحطاني أن يحضر كتاباً ليقرأه عليه، وقدقرأ عليه كثيراً من الكتب في هذه الجلسات اليومية، ولكنه كان يبدأ غالباً القراءة في كتاب (رياض الصالحين). وكان يعجبه كتب المذكرات الشخصية لما فيها من قصص وتجارب، ومن بين الكتب التي أعجب بها كثيراً كتاب (الذكريات) للأستاذ إبراهيم الحسون، ويقع في أربعة مجلدات، وقد قرأه القحطاني عليه كاملاً، والسبب في إعجابه - رحمة الله - بهذا الكتاب وحرصه على قراءته، هو أن إبراهيم الحسون من عنيزة، وعاش جزءاً من حياته في مكة المكرمة وجدة، وكان الشيخ يعرفه معرفة شخصية، وكثير من ذكريات الحسون عاشها عبدالله السبيعى في الأماكن نفسها، وتلامس ذكرياته، فكان يستعيدها أثناء القراءة، ويتتشي بها.

ومن الكتب القيمة التي قرأها عليه أيضاً بعض مؤلفات الشيخ عبدالله بن عقيل، العالم المعروف رحمة الله عليه، وكان يعرفه معرفة شخصية، فكان يعجبه أحد كتبه لما فيه من الألغاز الفقهية والأدبية.

قرأ عليه أيضاً جزءاً كبيراً من كتاب المجموع المنتخب للشيخ زامل صالح الزامل، وهو من العلماء المعروفيين رحمة الله، وكان على صلة به. أما كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الأ بشيبي، وهو مجلد كبير شهير في الحكم والطرف وقصص التاريخ وحياة السابقين، فكان يعجبه هذا الكتاب، ويحب الاستماع لقصصه، وتعجبه أبيات الشعر الحكيمية، وبعض القصص التي كان يحفظ بعضها، ويستشهد بها في مجالسه.

إعجابه بالإنترنت وقصة مكالمته لأخيه محمد



لم يكن الشيخ عبدالله السبيعي يتعامل بنفسه مع معطيات التكنولوجيا والتقنية الحديثة، فلم يكن لديه واتساب مثلاً، فهو لم يقنن جواً ذكيّاً، والسر في ذلك أن بصره كان ضعيفاً في أخريات حياته، يكفيه فقط للسير في الطريق، لذلك لم يكن يتمكن من القراءة إلا في المصاحف الكبيرة، ولم يكن يحتاج من الجوال سوى للرد على المكالمات وإجرائها، ولكنه كان يحب كل مصدر للمعرفة. وهذا كان يطلب من عبدالعزيز القحطاني أن يدخل الواقع الإلكترونية فيقرأ عليه من الآياد منتديات القصيم عامة، ومنتديات عنيزه خاصة، فقد كان يحبها كثيراً، وكان منبهراً بالإنترنت، ويتعجب منه، وكيف أنه يأتي بأشياء قديمة لم تعد موجودة، وكيف.. وكيف؟!! .. و.. و.. إلى آخره.

وذات مرة عندما قرأ عليه عبدالعزيز القحطاني أخباراً وأشياء قديمة عن عنيزه، اتصل الشيخ عبدالله بأخيه الشيخ محمد، وقال له: قرئ علىَ كذا

وكذا، فتعجب الشيخ محمد وقال: كيف؟! ومن أين؟! فقال الشيخ عبدالله: من الإنـترنتـ. فـتعـجبـ الشـيـخـ مـحمدـ وـسـأـلـهـ: ما الإنـترنتـ؟! فأـجـابـهـ: هـذـاـ شـيءـ يـحـضـرـهـ الأـوـلـادـ فيـ جـهـازـ وـيـقـرـأـونـ مـنـهـ، أـلـاـ تـعـرـفـهـ؟! وـبـدـأـ يـكـلـمـهـ عـنـهـ. وـكـانـ الشـيـخـ عبدـالـلهـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ قـدـ قـارـبـ التـسـعـينـ مـنـ عـمـرـهـ وـالـشـيـخـ مـحمدـ قـارـبـ المـئـةـ!

جلسة ما بين المغرب والعشاء في المسجد



حرص عبدالله السبيعـي على جـلـسـةـ ماـ بـيـنـ الـمـغـرـبـ وـالـعـشـاءـ فـيـ الـمـسـجـدـ، وـلـاـ يـقـدـمـ عـلـيـهـ شـيـئـاـ، حـتـىـ لوـ كـانـ شـيـئـاـ مـهـمـاـ جـداـ، وـمـنـ ذـلـكـ أـنـهـ عـنـدـ وـفـاهـ أـخـيهـ الشـيـخـ مـحمدـ - رـحـمـهـ اللهـ - أـتـاهـ أـنـاسـ كـثـيرـونـ مـنـ وـجـهـاءـ الـبـلـادـ لـلـعـزـاءـ، فـقـالـ نـسـتـقـبـلـ الـعـزـاءـ مـاـ بـيـنـ الـعـصـرـ وـالـمـغـرـبـ فـقـطـ، وـلـكـنـ لـمـ أـبـلـغـوهـ أـنـ بـعـضـ النـاسـ يـأـتـونـ مـنـ خـارـجـ جـدـةـ، فـفـتـحـ بـابـ الـعـزـاءـ لـمـ بـيـنـ الـمـغـرـبـ وـالـعـشـاءـ عـلـىـ مـضـضـ!

ولـمـ يـكـنـ الشـيـخـ عبدـالـلهـ يـجـامـلـ فـيـ عـادـاتـهـ التـعـبـيدـيةـ، فـقـدـ حـدـثـ أـنـ الـأـمـيرـ مشـعلـ بـنـ مـاجـدـ بـنـ عبدـالـعزـيزـ، جـاءـ إـلـىـ الـعـزـاءـ، وـالـشـيـخـ عبدـالـلهـ يـصـلـيـ الـمـغـرـبـ، فـقـيلـ لـهـ: إـنـ الـأـمـيرـ قـادـمـ فـيـ الطـرـيقـ، فـلـمـ يـخـرـجـ مـنـ الـمـسـجـدـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ أـتـىـ بـأـذـكـارـهـ كـامـلـةـ، وـصـلـيـ السـنـنـ، ثـمـ خـرـجـ مـنـ الـمـسـجـدـ مـنـ أـجـلـ الضـيـفـ الـكـبـيرـ وـالـعـزـاءـ.

برنامجه في بيته بعد العشاء إلى صباح اليوم التالي

بعد أداء صلاة العشاء في المسجد، يعود الشيخ عبدالله السبعي إلى البيت، فيتناول طعام العشاء، ثم يجلس لسamerة الموجود من أهله، وفي الغالب كان الأولاد القربيون يأتون، وكذلك البنات القربيات، فتكون جلسات سمر جميلة قد تمت إلى الساعة الحادية عشر مساءً، ثم ينام الشيخ إلى قبيل الفجر، ثم يقوم لصلاة الفجر في المسجد، وجلسته في المسجد لقراءة القرآن إلى قبيل الإشراق، ثم يعود إلى البيت، فينام إلى الساعة التاسعة صباحاً أو نحوها، ثم يتناول طعام الإفطار، وجلسة خفيفة، ثم يذهب إلى الدوام... وهكذا.. رحمه الله.



الفصل الثامن عشر

عبدالله السباعي.. الدين والإيمان في حياته

مفهومي للدين والإيمان أنها منهج حياة، يترجمه سلوك المسلم ومعاملاته، وأرى أن مخافة الله الحقيقة لا تظهر في المساجد والصلوات فقط، ولكنها تظهر في الأسواق، وعند تعاملنا مع الناس بالمال، بحفظ حقوقهم المادية والمعنوية والتزام الصدق معهم.

عبدالله بن إبراهيم السباعي



فَهِمَ عبد الله بن إبراهيم السبيعي الدين والإيمان على أنها منهج حياة، يترجمه سلوك المسلم ومعاملاته مع عباد الله، وكان يرى أن مخافة الله الحقيقة لا تظهر في المساجد ولا في الصلوات فقط، ولكنها تظهر في الأسواق والأماكن العامة، وعند تعاملنا مع الناس بالمال والأخلاق، حيث يلزم المسلم في هذه الأحوال حفظ حقوق الناس المادية، واحترام حقوقهم المعنوية، والتزام الصدق والأخلاص والأمانة في كل ذلك.

وكان الشيخ عبد الله - رحمه الله - يرى أن معنى (الدين) ومعنى (الإيمان) يتلخص في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، وتبنيه الشيخ عبد الله منذ باكر شبابه أن الدين والإيمان هنا مرتبطان بالمعاملات وليس بالعبادات. لهذا كان يقول: إن العبادات لله وحده، وتقوم على النية التي لا يعلمها إلا الله، وإذا لم يترجم المسلم دينه وإيمانه في معاملاته مع عباد الله فهو من الخاسرين بصرف النظر عما يبديه أمام الناس من مظاهر العبادة. وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده.

ونرى أن كل ما ورد في هذا الكتاب ما هو إلا ترجمة حقيقة لمفهوم الدين والإيمان في حياة الشيخ عبد الله بن إبراهيم السبيعي، وهذا يلزمنا هنا أن نقف قليلاً عند عباداته وعاداته في هذا الشأن لنستكمل صورة شخصيته.

الالتزام والاعتدال غير المتشدد

كان تعامله مع ربه في عباداته بالتدين المعتدل غير المتشدد مع المحافظة على ثوابت الدين، فكان قوي العقيدة والإيمان بالله، مداوماً على حفظ القرآن

وترتيله أغلب وقته، مؤدياً للزكاة، متبرعاً بالصدقات، كثير الصيام، محافظاً على الأذكار، يحج كل عام ويعتمر كثيراً، محباً للمكوث وقتاً طويلاً في رحاب المسجد الحرام بمكة المكرمة، ورغم كثرة انشغاله كان شديد البر بوالدته، حريصاً على صلة الرحم القريب والبعيد. ولشدة حرصه على الصلاة في جماعة لم يكن يسكن بيته إلا إذا كان بجواره مسجد، وكل البيوت التي سكنها كانت بجوار مسجد أو قريباً منه؛ ليتمكن من أداء الصلاة في جماعة. لكنه لم يكن متشددًا، فتعامل مع الحياة العصرية ومعطياتها بروح سمححة دون تنازل عن التزامه بتعاليم دينه.

علاقته الوثيقة بكتاب الله

ظل الشيخ عبدالله مداوماً على قراءته، فيخرج قبل أذان الفجر بحوالي ١٥ دقيقة إلى المسجد، فيجلس ويقرأ القرآن حتى الصلاة، ثم يجلس بعد الصلاة. كما حرص الشيخ عبدالله على سماع القرآن الكريم وقراءته في جلساته واجتماعاته، وكان يتلو القرآن في أول الجلسة بصوته العذب الجميل على طريقة أهل نجد.



مع الشيخ د. عبدالله المطلق في خدمة كتاب الله



تعود الشيخ عبدالله قراءة القرآن دائمًا، فإذا سافر من مكان لأخر قرأ القرآن أثناء السفر، فحين كان يسافر بأولاده من جدة إلى مكة المكرمة أيام الجمعة لزيارة جدتهم نورة السمايعيل^(١)، كان يجلس بجانب السائق الذي يقود السيارة، وهو يقرأ القرآن ويرتله بصوت عالي حتى يصل مكة المكرمة، فيدخلهم، ثم يذهب هو إلى الحرم أو إلى عمله بمكة المكرمة، ويبيقى في الحرم حتى يصل الجمعة، ثم يرجع ليتغدى. وبعد الغداء يذهب إلى الحرم، ولا يخرج من مكة المكرمة إلا بعد صلاة العشاء، فيمر على الجدة، ويسلم عليها، ثم يأخذ أسرته ويعود إلى جدة، وأثناء طريق العودة يقرأ ويرتل القرآن أيضًا. وظل هكذا طيلة عمره، حتى أثناء وجوده في المستشفى في أيامه الأخيرة، طوال وعيه يردد القرآن الكريم دون توقف حتى دخل في غيبوبة مرض الموت، رحمه الله.

(١) نورة السمايعيل هي أم الزوجة الثانية للشيخ عبدالله السباعي السيدة أم صالح لولوة بنت عبدالعزيز بن عبدالله السباعي. قضت عمرها كله بمكة المكرمة.

حرصه على الصلاة في جماعة

عُرِفَ الشِّيخ عبد الله بحرصه الشديد على أداء الصلاة في أوقاتها جماعة بالمسجد، ولم تفتته تكبيرة الإحرام إلا نادراً، فهو يعلم قيمة وثواب الصلاة في جماعة، وهو مدرك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي النَّهَارِ لَأَسْتَبَقُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَתَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبُّوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفَّ الْمُقَدَّمِ لَأَسْتَهُمُوا». كما أدرك الشِّيخ عبد الله أهمية صلاة الفجر، وما يعود على الإنسان من البركة وسعة الرزق بسبب حرصه عليها.

قضاء شهور رمضان في مكة المكرمة



كان الشِّيخ عبد الله السبيسي - رحمه الله - قد تعودَ أن يقضي شهر رمضان في مكة المكرمة، وظل يحرص على هذا الأمر، فقد كان هذا برنامجه دائماً، يجتمع بأسرته في بيته في مكة المكرمة خلال شهر رمضان من كل عام، وكانت مائدةه واجتماعاته بأصدقاء وأقاربه وغيرهم قائمة طوال شهر رمضان، وكانت تبدأ

من صلاة المغرب وتستمر إلى الساعة ١٢ ليلاً، بعد صلاة التراويح. وقد سار أبناءه على المنهج نفسه؛ حيث يقضون طوال رمضان بمكة المكرمة، وبيتهم هناك مفتوح إلى الآن، والفتور متوفّر للجميع.

اختيارة الأفضل في دينه

كان عبدالله السباعي دائم التحرى عن أمور دينه وعبادته، فإذا رايه أمر، واستفسر عنه، ووُجد فيه رأيين أو خلافاً بين العلماء، أخذ بما يكسبه الفضل والأجر، ولعل هذا من أسرار بركة الله - عز وجل - له في رزقه. وبعد الانتقال إلى مبني مكتب الشركة الأخيرة في شارع حراء، أقيم فيه مصلى لائق وواسع، وبدأ يصلى فيه مع موظفيه، ثم سأله بعض أهل العلم عن ذلك، فأجابوه بأنه لا بأس أن يصلى في هذا المصلى، لكن الأفضل أن يصلى في مسجد تقام فيه الصلوات الخمس. ومنذ أن سمع هذا الرأي مال إليه مباشرة، وأصبح لا يصلى إلا في المسجد، وذلك تقريباً خلال السنوات الثمانية الأخيرة من حياته.

الموعد الذي لا يخلفه أبداً

إذا أراد أن يذهب إلى أي مكان وقد قرب وقت الصلاة، يؤجل خروجه، ولا يخرج إلا بعد أن يؤدي الصلاة حتى ولو بقي ربع ساعة أو نصف ساعة، ومهما بلغ به التعب أو نال منه لم يكن يتوانى عن الذهاب إلى المسجد ولو على عصا مشياً على قدميه.

لا إكراه في الدين

كان أaaaaالشيخ عبدالله يتبع أولاده، ويحثهم على الصلاة، فلو رأى أحدهم - أو إحداهن - قد تأخر عن الصلاة، حزن وعاتبه برفق. وحين يكون ذاهباً إلى المسجد ينادي على الجميع بصوت عالٍ وهو يقول: الصلاة.. الصلاة، ويدق على الأبواب، خصوصاً أبواب الأولاد ليخرجوا معه إلى المسجد، حتى العمال

أنفسهم كان يدعوهم لأداء الصلاة في المسجد، ويغضب إذا تخلف أحد عن الذهاب إلى المسجد، ولكنه لا يحبر أحداً على الخروج للصلاة، وإنما يُذَكِّر فقط، ولكنه إذا وجد أحداً لا يستجيب يردد قول ربه: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. وقد استمرت عادته في دعوتهم للصلوة طيلة حياته حتى دخل المستشفى في مرضه الأخير.

حرصه على التأني في الصلاة والتزام السنن



كان الشيخ عبدالله يحرص على أداء السنن الرواتب والتوافل عموماً؛ كقيام الليل قبل الفجر، والضحى، وصلاة قضاء الحاجة... إلخ، وهو دائمًا ينصح الناس بالخشوع والتأني في الصلاة، ف ذات مرة رأى شخصاً يصلِّي بسرعة في الحرم، فلما انتهى اقترب منه، ونصحه بأن يتمهل وينتشغ في صلاته. وحدث ذلك مع واحدة من أهل بيته، وظللت تذكر له ذلك وتدعوه له.

الفصل التاسع عشر

حب عبد الله السبيعى للمساكين والفقراء والأيتام

أحبت المساكين والفقراء والأيتام من حب رسول الله ﷺ لهم، وكثرة توصيته بهم، فأنا آنس بهم وآنس لهم، ويسعدني إدخال السرور إلى قلوبهم، وحسبنا أنه دعا ربنا أن يعيش مسكنينا ويموت مسكنينا ويحضر مع المساكين.

عبد الله بن إبراهيم السبيعى



على مائده في رمضان



تربي ونشأ الشيخ عبدالله السبعي وأخوه الأكبر الشيخ محمد منذ طفولتهما في رعاية والدتهما على حب المساكين والتعامل معهم ببساطة وجلوس معهم على مائدة واحدة

أحب الشيخ عبدالله السبعي المساكين حباً حقيقياً، وأشفق عليهم أشد الإسفاق، وحمل همهم، خاصة عند حدوث أي تغير اقتصادي في البلد، فكان عطوفاً عليهم، يقربهم منه ويبالغ في إكرامهم، ويهتم بقضاياهم، ويسعى لحل مشاكلهم، والأمثلة على هذا الحب والاهتمام بالفقراء والمساكين كثيرة يرويها كل من عمل معه أو صاحبه أو عاش بالقرب منه من أهله وأسرته، وقد سمعتُ منهم عشرات القصص سنتصر في هذا الفصل على أمثلة منها لرسم هذا الجانب في شخصيته رحمة الله.

نجد هؤلاء المساكين والفقراء أثناء إفطاره بالحرم في شهر رمضان يجلسون حوله، منهم على مائده إلى جانب أولاده وأقاربه ومن يزورونه، حيث إنه من

بعد صلاة المغرب يفتح لهؤلاء بيته القديم الذي يسكنه في الشامية، وبعد هدم الشامية في التوسيعة أصبح الشيخ يقيم بوحدات شركة مكة المكرمة السكنية المطلة على الحرم، ويقيم مائدة إفطار مفتوح، وكان يستمتع بهذا الأمر، خاصة إذا لم يبق شيء من الطعام، وإذا وجد طعاماً متبقىً أمر المسؤول عن المائدة أن يوزعه على الفقراء.

عمال النظافة وصدقة الفجر

تعود - رحمه الله - عند عودته من صلاة الفجر أن يتصدق على عدد من الفقراء من عمال النظافة بمبلغ محدد، كان يجهزه لهم، وفي إحدى المرات تعرض له ثلاثة من عمال النظافة، يطلبون منه الصدقة، ولم يكن في هذا اليوم قد جهز المبلغ الذي تعود عليه، فاعتذر منهم، وفي اليوم التالي أعطاهم المبلغ بأثر رجعي؛ فأعطى كل واحد منهم ما تعود إعطاؤه له مضاعفاً، وكأنه حق لهم، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أُمَّوَادِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمُحْرُومِ﴾ [سورة المعارج: ٢٤-٢٥].

قصة المسلمة الأوربية التي لم يجد لها زوجاً

إذا سمع الشيخ عبدالله بإشكال أو حاجة لفقير، شعر أن قضاءها وحلها هو واجب عليه شخصياً، فمرة من المرات سمع بأمر ملة مسلمة تعيش بإحدى البلاد الأوربية، وعلم أنها عولمت معاملة لا تليق بها، حيث عاملها صاحب العمل معاملة جافة، فسألها أحد الأشخاص: لماذا تصبرين على الضيم؟ فقالت: أنا أنفق على أطفالي الأيتام. فلما قرئت القصة على الشيخ تألم أشد الألم، وكان في حضرته بعض كبار السن، فاتجه إليهم واحداً بعد الآخر قائلاً: يا فلان، تزوجها ومصاريفها علىي، ومهرك كله علىي، فاعتذروا واحداً واحداً، وبقي مدة يقول: تلك المسكينة ماذا حدث لها؟ وماذا حدث لأولادها؟ ولم تكن له سابق معرفة بها، بل مجرد خبر في صحيفة، لكن بالنسبة للشيخ كانت قضية القضايا.



جند الشيخ عبد الله السبيعِي نفسه وأولاده وأصحابه وجند المال لخدمه الفقراء والمساكين والأيتام وأقام لهم مؤسسة خيرية

قصة ندمه عندما ظن أنه أخطأ على فقير..!

عود الشيخ نفسه على العناية بفقراء الحي الذي يسكن فيه، وتعود الفقراء في حيه والأحياء المجاورة أن يقصدوه، ولا يرد منهم أحداً، ولو حدث أن رد أحداً لأي عارض فإنه يتالم أشد الألم، ويشعر بتأنيب ضمير لا مثيل له.

فمرة عاد إلى بيته متقدراً ظاهراً الحزن والألم، فسئل عما به، فقال: أعادنا الله من الشيطان، كنتُ سائراً، وعند الإشارة جاءني فقير، ففتحت نافذة السيارة، وأعطيته مبلغاً كما أعطي أي سائل - ولعل السائل كان يتوقع مبلغاً كبيراً - فلما أعطيته النقود، نظر إلى وقال: ما هذا؟ فقط هذا؟ فحزنت لأنه تكبر على النعمة، ويجب على الإنسان ألا يتكبر، وأن يأخذ ما يأتيه قليلاً كان أو كثيراً، فقلت له: إذا

لم تعجبك أعدها ولا تأخذها، فلما أعادها وضعتها في جيبي، وأغلقت النافذة ومشيت، وهذا سبب ضيقني وحزني، وأخشى أن يتحقق في قول الله عز وجل: ﴿وَآمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [سورة الضحى: ١٠]. فقد أكون نهرته، وبقي الشيخ مدة على هذه الحال، وهو يردد هذا القول ويستغفر الله، مع أنه لم ينهره، ولم يسع إليه، بل أعطاه درساً في القناعة والرضا بما قسم الله له.

موقف لا ينسى مع أحد الفقراء

تعود الشيخ عبدالله في رمضان أن يذهب إلى الفقراء في حي الشامية بمكة المكرمة، حيث كان يمتلك عمارة شعبية قديمة هناك، فكان يجلس فيها، ويجتمع حوله الفقراء ويتناولون معه طعام العشاء، وهو يستمتع في تلك اللحظات بوجوده مع هؤلاء المساكين. وكانت جلسته بعد صلاة المغرب لتناول العشاء بعد الخروج من الحرم، فيجدون المائدة قد هيئت، وهي مائدة بسيطة، عبارة عن غرفتين في تلك الشقة، فيجلس وحوله الفقراء على تلك السفرة، وهو يشعر بسعادة، الله وحده أعلم بها.

من عجائب قصصه في إعانة المساكين

ومن القصص العجيبة في إعانته للمساكين التي يرويها الذين عملوا معه وصاحبوه، أنه رحمه الله كان أحياناً يتطلب من سائقه أن ينصرف إلى البيت، ويقف هو على الشارع ليستقل سيارةأجرة، فيتجاوز عن كل السيارات الحديثة الموديل، ويختار سيارة قديمة منظر صاحبها ينم عن رثة وعزوز، فيوقفه ثم يحاوره في المبلغ الذي يتطلبه حتى يصل معه إلى أقل سعر ممكن، ويركب، فإذا وصل وجاء ليدفع الأجرة فاجأ السائق الفقير بمبلغ كبير لا يخطر له بالبال!

مساعدته في زواج الفقراء والأيتام والمحاقين

كان الشيخ عبد الله السبعاوي يحرص على كل ما يسعد الأيتام، ويسارع إلى فعل كل ما يدخل السرور على قلوبهم، ذات مرة وهو بمكة المكرمة، سمع بإقامة حفل زواج للأيتام، فذهب ومعه خاصته إلى الحفل، وكانت دار الأيتام قرية من رابطة العالم الإسلامي في تلك المنطقة، فحضر الحفل مع الأيتام والقائمين على أمورهم، وسعد الشيخ سعادة لا حد لها بهذا الأمر.

وقد أرقَّ الشيخ عبد الله كثيراً قضية زواج المطلقات والكيفيات وذوات الهمم، فهو يساهم في حفلات الزواج الجماعي لغير القادرين، لكنه كان يتمنى أن يكون هناك التفاتة إلى زواج المعاقات أو الكيفيات بشكل عام، لأن الشاب في الغالب إذا أراد الزواج يبحث عن الجميلة القوية، المكتملة، لكن ما ذنب الكيفية؟ وماذا تفعل من لديها إعاقة؟ وماذا تفعل المطلقة ذات الأولاد؟ لذلك تمنى الشيخ لو تبنيَّ أحدُّ هذا الأمر، ليضع يده في يده، ويكون بذلك أسعد الناس.

ثم بعد، حَدَثَ أن جاءه أحد الإخوة من القصيم، وقال له: لدينا جمعية تعنى بتزويج هذه الفتاة؛ الكيفيات والمعاقات وما إلى ذلك، ففرح الشيخ فرحاً شديداً جداً، وبادر بتکليف من يسأل عن هذه الجمعية، وعن أمورها النظامية، وعن وضعها المالي.. إلخ. ودعمها دعماً سخياً، وكان سعيداً بذلك.

دعم المحتاج بتأهيله وتعليمه مصنة

كان منهج الشيخ عبد الله السبعاوي - رحمه الله - في مساعدة الفقير واليتيم هو تأهيله للعمل، وتعليمه مهنة تدر عليه المال بصورة دائمة، وليس مجرد مساعدة سنوية، وكأنه يتمثل قول القائل: (بدلًا من أن تعطيني سمكة، علمني كيف أصطاد)، ويتمثل فعل النبي ﷺ حين جاءه سائل في الحادثة المشهورة بكتب السنة، فقال له: «اذهب فاحثِّطْ»^(١)، فالشيخ دائمًا حريص على دعم الفقير

(١) القصة مذكورة بكتب السنة والحديث طويلاً، آخره: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحْيَءَ وَالْمَسَأَةُ نُكْتَةٌ فِي

والمسكين، ودعمه الصحيح يكون بتعليمه ما يجعله يقوم بنفسه ويكتفيها بذلكً من انتظار الإحسان من الآخرين، فكان يقوم بتعليمهم المهن، وتأهيلهم للعمل، ويرى أن ذلك أفضل من أن يعطيهم كل عام، وذلك عن طريق المؤسسة، التي لديها برامج في هذا المجال، فالمؤسسة دعمت - ولا زالت - جمعيات ومراكز لتأهيل الأيتام، وتقوم بتعليمهم الخياطة، والحاسب الآلي، والمهن المختلفة، وكان الشيخ عبدالله دائمًا يتبع هذه البرامج ويسأل عنها.

فرحة الشيخ ببرنامج مكافحة العمى



طرب الشيخ عبدالله السبيسي وسعد كثيراً عندما علم بوجود برنامج لمكافحة العمى، فقد علم بوجود مخيمات ومراكز طبية تتجه إلى اليمن وإفريقيا للقيام بإجراء عمليات اليوم الواحد لعلاج أمراض العيون، كالملاء الأبيض، والماء الأزرق... فتابع الشيخ أخبار هذه الحملات والقوافل، وقام بدعمها مالياً.

وَجِئْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسَأَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّذِي فَقَرِيرٌ مُذْكُونٌ، أَوْ لِلَّذِي غُرْمٌ مُفْطَعٌ، أَوْ دَمٌ مُوجَعٌ» سنن ابن ماجه (٧٤٠ / ٢) حديث رقم . ٢١٩٨

الفصل العشرون

الوجه الأبيض والعمل الخيري في حياة عبدالله بن إبراهيم السبيع

عندی شرکان، الشرکة التجارية وهذه لأبنائي يديرونها ولهم عوائدھا وأرباحھا،
أما أنا فلي شرکتی الخاصة وهي الوقف الذي أوقفته لوجه الله، وهي أهم
عندی من كل ما أملك في الدنيا

عبدالله بن إبراهيم السبيع





الوجه الأبيض في حياة كل إنسان هو الوجه الذي يقدم به أعمالاً لا يتغير بها سوى مرضاه ربه من إطعام جائع وكسوة عار وعلاج مريض وتعليم فقير وكفالة يتيم وتفریج كربة وإدخال السرور لقلب مسلم استعداداً ليوم لا ريب فيه ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. وانتظاراً لوعد الله، والله لا يخلف الميعاد: ﴿وَآتَاهَا الَّذِينَ ابْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

ولكن لو كان عبدالله بن إبراهيم السبيعي على قيد الحياة قد يرضي أن نكتب قصة كفاحه في الحياة عبرة ودروساً للأجيال القادمة، ولكنه لن يرضي أن نكتب هذه الفصل من هذا الكتاب، وهو أهم فصول حياته وأغلاها عليه، لأنه يريد

أن يكون خبيثة له عند ربه لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى. ولكن لأننا نكتب هذا الفصل بعد أن أفضى إلى ربه بما قدم، فلا يضيره أو ينفعه ما نكتب، ولكن ينفع الأحياء من بعده حين نقدم أعماله الخيرية منفعة تشجع على الخير وترسم القدوة للناس، فيكون هذا الفصل بالذات والكتاب كله بمثابة صدقة جارية له أجر من عمل بها.

صدر رحب ولسان رطب

كان عبدالله بن إبراهيم السبيعي – رحمه الله – سباقاً إلى الخير والإحسان، مساهماً في الأعمال الخيرية التي يراها تمثل المصارف الصحيحة لوجوه البر والإحسان، وقد بذل كل ما يستطيع فيها لها، وكان حريصاً أن لا يشوب عمله رباء أو شهرة، فكان دائمًا يقول لأبنائه ولمن يعملون معه: (لا تتحذروا عما نفعله حتى لا يضيع ثوابنا، فما نفعله لا يتغير به غير وجه الله وحده). وقد صبت معظم أعماله الخيرية – وليس كلها – في مؤسسته الخيرية التي حملت اسمه فيما بعد.

فمن المعروف عنه أنه لا يرد محتاجاً أو مسكييناً، فيأتي السائل وملفه معه، ويطلب لقاء الشيخ، فيقوم الموظف المسؤول بتوصيله إلى الشيخ، فلا يخرج من عنده إلا وهو مجبور الخاطر. وعلى سبيل المثال كان يتحمل علاج المرضى ونفقاته كاملة، ولا يعطيهم نقوداً سائلة في أيديهم، بل يقوم هو بنفسه بسداد العلاج وتتكلفته في المستشفى، وكذلك في التعليم والسكن وقضايا الغارمين والمعسرين وغيرهم. ولعل من أهم مزاياه في التعامل مع هؤلاء أنه يستقبل السائلين رجالاً أو نساءً بصدر رحب ولسان رطب، لا يعبس في وجه أحد حتى لو لقى منه أذى، ولا يُظهر للذى أمامه حقيقة مشاعره حتى لو اكتشف منه كذباً أو خداعاً فيعتذر بكلمة طيبة.



الشيخ عبدالله السبيع مع د. عادل السليم ولديه صالح وفهد

حسن العهد من الإيمان

ومن مظاهر بره وإحسانه أنه كان يتقدّم صديقاته والدته وأقربائها وأرحامها، وفي ذلك قصص كثيرة تؤثر عنه، وعلى سبيل المثال أنه كان يعطي بناته نقوداً - بعد وفاة جدتها - ويطلب منها أن يذهبن إلى إمرأة بعينها، ويطلبن منها أن تدعوه هذه المرأة لوالدته، وأن يبارك الله في ذريته، وكان يردد في مثل هذه المناسبات قول النبي ﷺ: «حسن العهد من الإيمان» [رواه الطبرني في الكبير].

عطفه على العاملين والعاملات بمدارس أولاده

وكان - رحمة الله - يتلمس المساكين ومحدوبي الدخل في حدود علمه، فكان مثلاً يهتم بالخدم والحراس في المدارس التي يدرس أبناؤه بها وفي غيرها من المدارس مما يعلم عنه، ويكرمه من فضل الله، وكان بسؤاله عنهم وتفقد أحواهم يزرع في أبناءه قيم العطف على المساكين، والتواضع لهم، ويذكر بعض

أبناؤه وبناته أنه كان يسألهم عن أبناء الأسر الفقيرة في مدارسهم ليصلهم بالصدقة أو الزكاة، ويؤكد عليهم دون أن يحرج مشاعرهم.

إكرامه للداخلين حديثاً في الإسلام

من أعماله الخيرية تكفله بنفقات حج من أسلموا من غير المسلمين، فقد كان يدعم جمعيات دعوة الجاليات للإسلام، ويترعرع لهم سنوياً بمبالغ معينة، وكان حريصاً على مقابلة الذين يسلمون خارج المملكة أو داخلها، فيستضيفهم، ويلقى بعضهم الشهادة، وكان يتابعهم ويحرص عليهم، ويتعامل معهم بود لكي يشعرهم بذفةأخوة الإسلام.

حقيقة المسجد اليومية

كان شديد الحرص على حمل حقيقة إلى المسجد المجاور يومياً، وكل من يمرون عليه وهو في المسجد بين المغرب والعشاء يحصلون على ما يسر الله لهم، وقد بدأ هذا الأمر قبل وفاته بحوالي عشر سنوات، وكان الناس أحياناً يعلمون بوجوده فيتاون إليه من كل مكان.

قصة السبعة آلاف

لم يتوقف عطاء عبدالله السبيعي عند حدود المملكة فقط، بل شمل كل إخوانه في الإسلام، ودليل ذلك قصة ذكرها لأولاده قبل مرضه، حيث كان في البداية يصلّي في مسجد الشربتلي، ثم انتقل بعد ذلك إلى مسجد صغير قريب من بيته، فجاءه رجل سوداني في هذا المسجد يسأل عنه: أين عبدالله السبيعي؟ فلما دلوه عليه، قال له: أنت عبدالله السبيعي؟ فأجابه بنعم، فقال: أنا فلان، هل تعرفني؟ فلم يعرفه الشيخ عبدالله، فقال السوداني: ياشيخ، منذ عشرين عاماً جئتكم واستلتفت منكم سبعة آلاف، والآن قد جمعتها،

وحيث لا أسددها إليك. ولما لم يكن الشيخ عبدالله يتذكر هذه الواقعة، لذلك أخذ المبلغ منه وعدّه، ووضعه في جيبه، ثم سلم عليه، وعندما أراد السوداني الخروج من المسجد نادى عليه وقال له: خذ المبلغ، والله لقد ساختك فيه قبل أن تأتي، وهو لك.

رسالة من إفريقيا

حين توفي الشيخ عبدالله السبيع أرسل عالم داعية من دولة إفريقية إلى أولاده في جدة مقطعاً صوتياً، ذكر فيه أنه كان كل عام يأتي إلى والدهم برسالة من الشيخ ابن باز فيعطيه مبالغ لبناء مساجد في إفريقيا ورعايتها والإنفاق عليها.. وختم رسالته بقوله لهم: لا تحزنوا لوفاته، فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون..!

وعيه العبر بمعنى المسؤولية الاجتماعية

كان عبدالله السبيع حريصاً على العطاء الذكي، فقبل إنشاء مؤسسته الخيرية في صورتها القائمة، كان يتلمس مساعدة الفقير بما يعينه على التخلص من فقره، ورفع مستوى المعيشي والمالي بصورة مستدامة.. فكان يتكلم مع بعض الفقراء الذين يأتون إليه ليساعدوهم، ويقترح أن تكون مساعدته لهم في صورة فتح مشروعات صغيرة؛ لتصبح مصدر دخل دائم لهم، كعربات البيع أو المحال الصغيرة... وما إلى ذلك. جاء إليه أمين المؤسسة الخيرية بخطبة العمل، وذكر له رؤية العمل، وغايته الريادة في العطاء لإحداث أثر تنموي. فقال له عبدالله السبيع: الريادة في العطاء بإحسان. فقال الأمين: ماذا تقصد بإحسان يا شيخ. فقال: عطاء بلا منّ ولا أذى، ونفع الناس بما يعلمهم مهنة ولا يُريق ماء وجوههم.

ويفعل الشيء نفسه مع موظفيه وأصحابه، حيث يتلمس أحواهم ويعينهم على تحمل تبعات الحياة. طلب منه أحد موظفيه المساعدة في شراء منزل، فذهب معه ورأى المنزل، وأعجبه وتوقع له مستقبلاً، وأقرض الموظف وأوصاه.. ثم باع الموظف المنزل بمبلغ أكبر وسدد الدين الذي عليه، واستفاد من الزيادة في تحسين حياته.

موقف يحفظه له أهل الليث وجنوب المملكة

كان عبدالله السبيعي يحرص إذا أعطى إنساناً نقوداً من الصدقة أو الزكاة ^{ألا} يعود إليه هذا الشخص مرة ثانية ليطلب الإحسان، لأنه يعلم مهنته، وقد توسع في تنفيذ هذه الفكرة في بعض مناطق المملكة، حيث حرص على تطوير أهل المنطقة وتنمية قدراتهم وتأهيلهم للعمل وحفظ ماء وجوههم من السؤال مرة أخرى، وذلك عن طريق إعطائهم معدات تمكنهم من مزاولة مهنة الصيد، ليستفيدوا بها، ويستغنوا عن طلب المساعدة أو انتظارها من أحد، فكانوا يستعملونها في مشروع الروبيان والأسماك في الليث، وهو مشروع وطني كبير دخل فيه الشقيقان السبعان شركاء مع البلاع والراجحي.

تأهيل المرأة المحتاجة للعمل

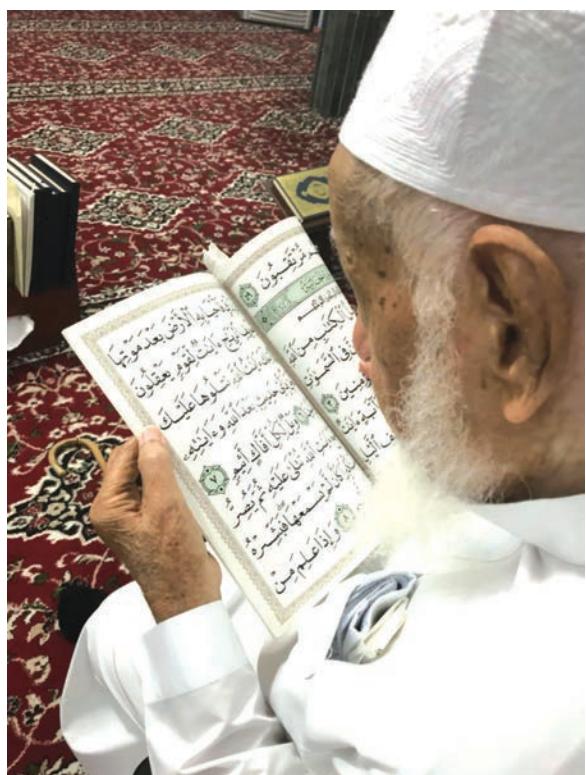
كان من ضمن وعي الشيخ عبدالله السبيعي المبكر بمفهوم المسؤولية الاجتماعية إيمانه بدور النساء وثقلهن في تنمية المجتمع، وكان يرى أن عمل المرأة المحتاجة يصون كرامتها ويرى حفظ شرفها وعفافها، بسبب ذلك الإيمان عمل على تكينهن وتأهيلهن، ولم يكتف بذلك التأهيل، بل إنه استعان بهؤلاء النساء، فوظف في أحد المشروعات التجارية التي يشارك في ملكيتها أكثر من مائة امرأة، وذلك بعد تطويرهن مهنياً، وقد استوحى تلك الفكرة من حياة أمه نوره العشاش وكفاحها وصبرها وعملها - رحمها الله - بعدة مهن لتتوفر لقمة عيش شريفة لولديها في بداية حياتهم.

المساعدة في تسكين الفقراء والمحاجين

أقام الشيخ عبدالله أكثر من عمل خيري سكني بمكة المكرمة، فقد كانت لديه أرض أقام عليها عمارة، وأصبحت وقفاً للفقراء يسكنون فيها بأجر رمزي قدره ٢٥ ريالاً شهرياً، وهذه العمارة ما زالت موجودة إلى الآن.

حرص الشيخ عبدالله السبيعي على إخراج الزكاة، وإنفاقها في وجوهها المختلفة، وكان يتبع إنفاقها بنفسه، وربما يخرج أكثر من

الزكاة المفروضة عليه شرعاً. ومن شدة حرصه على الزكاة كان يقول: «لا تجعلوا الزكاة تطلبنا، بل نطلبها نحن».



كان الشيخ عبدالله السبيعي يرى أن حق الله في ماله أعظم من حقه الخاص

بناء المساجد وعماراتها

ومن الأعمال الخيرية التي قام بها - رحمه الله - بناء المساجد، فقد بني مساجد في مكة المكرمة وجدة والطائف والقصيم والجوف وعسير، وبنى أكثر من ستة مساجد في جدة، ومسجدتين في مكة المكرمة أو أكثر، وجدد بناء المسجد الذي بجوار بيته ووسعته، وكذلك الإعانة على استكمال مسجد لم يكتمل أو إعانته من يقوم على عمارة مسجد بتوفير تأثيثه وفرشه.

فلسفته في الاهتمام بالمكفوفين وجمعيات الزواج والقرض الحسن

اعتنى بالمكفوفين، يرعاهم ويدعم علاجهم، ومن ذلك خيمات البصر... فسأله القربيون منه: لم كل هذا الاهتمام بالمكفوفين؟ فقال: إذا أبصر قرأ القرآن وتذكر في خلق الله.. فنكون شركاؤه في الأجر. وأسهم في تأسيس بعض جمعيات الزواج لأنه يرى في الزواج إعفاف للشباب وبناء لأسرة صالحة.. وقبل وفاته بسنوات قليلة وجّه عنایته لترويج ذوي الإعاقة حاجتهم للحياة أكثر.

كما اعتنى بالقرض الحسن، وقد خصص لذلك مبلغاً يقوم بتدويره بين المحتاجين. وذلك قرض وليس صدقة، والقرض الحسن يُعطى بلا فائدة، ويُستعاد لأنّه ليس صدقة، رغبة في امتحال حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرتة». وقد سعت مؤسسته الخيرية لتوسيع ذلك وفق متطلبات المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي بما يحقق استدامة الخير الذي بناه الشيخ عبدالله السبيعي.

حبه لعنيزة.. خيركم خيركم لأهله

من مظاهر الوجه الأبيض لعبدالله السبيعي وفاؤه لسقوط رأسه عنizه وأهله، فهي موطن آبائه وأجداده عملاً يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله». والأهل في معناها الأوسع العشيرة والوطن بعد الأسرة، ويدخل هذا في صلة الرحم.

وقد عبر عن ذلك الحب بإقامة مشاريع خيرية كثيرة فيها خدمة لها ولأهلها.. منها إنشاء أول جمعية خيرية بها، وهي جمعية عنيزه للزواج، التي كان حريصاً عليها وساهم فيها. وهناك عدة جمعيات أخرى ساهم فيها، مثل جمعية الأيتام، وجمعية البر.. فكان يساهم فيها سرياً، كما ساهم أيضاً في جمعية تحفيظ القرآن. فكان - رحمة الله - يشارك في أي عمل خيري في عنيزه أو في غيرها من مدن القصيم، فيساهم ويدعم هذا العمل.



الشيخ عبدالله السبيع مع ابنه منصور يضحكان في سرور على طريق الخير والنور

أنشأ مع أخيه الشيخ محمد في عنيزة مشفى كبيراً للرعاية الصحية للكبار السن، وهذا المشفى قائم إلى الآن، وله بصمات خيرية كثيرة في عنيزة. وكان حريصاً أن يحضر جمعة أهل القصيم التي تقام في جدة، وتقام كل أسبوع في منزل واحد منهم، وكان يسعد هناك بلقاء الأديب الذي أعجب بمذكراته الأستاذ إبراهيم الحسون وهو من أبناء عنيزة وآخرين مثل عبدالرحمن العوهلي، وكان مستشاراً بإمارة مكة المكرمة. والشاعر علي القرى، وعبدالعزيز الدخيل، وعبدالله المنصور، وعبدالرحمن النعنع، وعبدالعزيز القاضي.. وكلهم كانوا رجالاً كباراً. ومن طريف ما حدث له أن جاءه مرة رئيس نادي النجمة في عنيزة يطلب دعماً مالياً للنادي، فقال له الشيخ: أنا أشجعكم، وأدعو لكم، لكن موضوع الدعم المادي هذا لا أقدمه إلا إذا كان لمسجد أو عمل خيري، فنحن على استعداد في هذه الحالة لتقديم الدعم المالي.

ظهور مؤسسة محمد عبدالله السبيعى الخيرية



تحول العمل الفردي والمنح الشخصي إلى مؤسسة محمد عبدالله إبراهيم السبيعى الخيرية التي أوقف لها الشقيقان أصولاً كثيرة

اقتراح أبناء الشقيقين محمد عبدالله السبيعى على والديهما فكرة تأسيس مؤسسة خيرية باسم محمد وأخيه عبدالله، لتحويل العمل الضخم - من أعمال الخير التي يقوم بها الشيخان - إلى عمل مؤسسي منظم، واختار د. عادل بن محمد السليم^(١) الذي كان في طليعة مؤسسها، أميناً عاماً لها.

(١) د. عادل بن محمد السليم أمين عام مؤسسة محمد عبدالله إبراهيم السبيعى الخيرية (١٤٢٣ هـ - ١٤٣٨ هـ) ومن مؤسسيها. ولد في عنيزة عام ١٩٦٠ م، وتخرج في قسم الكيمياء بكلية العلوم جامعة الملك سعود عام ١٩٨١ م. حصل على الدكتوراة في الكيمياء من جامعة إسكس ببريطانيا عام ١٩٨٨ م. عمل بالتدريس في جامعة الملك سعود (١٩٨٨ م - ٢٠٠٩ م). عضو مجلس إدارة عدة مجالس خيرية، منها: عضو مجلس نظارة وقف الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعى ومؤسساته الخيرية. عضو مجلس إدارة شركة عبدالله السبيعى الوقفية. عضو مجلس نظارة وقف الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعى سابقاً. عضو لجنة الاستئثار في شركة (الضليعة) الاستئثرية التابعة لوقف الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعى سابقاً. عضو مجلس أمناء مؤسسة محمد عبدالله إبراهيم السبيعى الخيرية. وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللجان الخيرية والتطوعية. حالياً رئيس مجلس إدارة شركة د. عادل السليم وأولاده للاستئثار القابضة. ورئيس مجلس إدارة عدة شركات ومؤسسات أخرى.



د. عادل بن محمد السليمي أول أمين عام لمؤسسة محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي الخيرية

وهكذا تحول العمل الفردي والمنح الشخصي إلى مؤسسة محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي الخيرية التي أوقف لها الشقيقان أصولاً كثيرة، لكل واحد منها وقف مستقل تحت إدارة واحدة ويُصرف ريعها في خدمة المجتمع.

وقد أحدثت مؤسسة محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي الخيرية نقلة كبيرة في قطاع المنح في المملكة العربية السعودية، وأصبحت أنموذجاً يحتذى به في أسلوب العمل الإداري، والحكومة، وآليات المنح، وتحولت - كما هي عادة

الشيفيين - إلى مؤسسة مانحة تسهم مع أخواتها من المؤسسات المانحة في قيادة قطاع المنح. واستقطب لها الشيفان كفاءات إدارية أكاديمية متقدمة، أسهموا بها بحابهم الله إياها من العلم والتجربة في إدارة المؤسسة الخيرية، ونقلها إلى آفاق أرحب؛ فغطّت مجالات منحها جميع مناطق المملكة، ومدتها الرئيسة، فضلاً عن عدد كبير من المحافظات والقرى والمراكز. واستمررت مؤسسة محمد وعبد الله بن إبراهيم السبيعي الخيرية تعمل حتى عام ١٤٣٨هـ، حيث تحولت إلى مؤسستين تسعيان سعياً دائباً في خدمة الإسلام والمسلمين في المملكة العربية السعودية.

قصة الوقف الذي أصبح مؤسسة

أوصى الشيخ عبدالله السبيعي بإخراج ثلث ماله وقفًا في أبواب الخير، يخرج بعد وفاته من التركة.. وأخذ يشاور المقربين منه، ويسألهم عن الأمر، وآلياته الإجرائية، فأشار عليه أحد الخبراء المجربيين بتحويل هذه الوصيّة إلى وقف



سمو الأمير فيصل بن خالد الفيصل والشيخ إبراهيم بن محمد السبيسي في حفل افتتاح مشروع الوقف الخيري الذي حمل اسم والدهما في تندحة بجنوب المملكة

منجز قائم في حياته، فوُقعت الفكرة في نفسه موقع القبول والرضا، ولم يتردد الشيخ البطة في قبولها، بل أخذ القلم من لحظته، وكتب على ورقة الوصية أن تحول إلى وقف منجز يبدأ من ساعته. وهكذا، بكل طمأنينة ويسر، وفي لحظة، أوقف أملاكاً كبيرة تنمو، كأنّها أخرجها من جيب ثوبه الأيسر وأدخلها في الأيمن..!
وحين بدأ في إجراءات الوقف الرسمية، اختار لوقفه أفضل الأصول والعقارات التي يملكها، وأكثرها عوائد، مما يقع في أماكن ثمينة في مكة المكرمة وغيرها، ممتثلاً في ذلك قول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكان يقول: «عندى شركتان، الشركة التجارية وهذه لأبنائي يديرونها و لهم عوائدها وأرباحها، وهم أدرى بها، وأما أنا في شركتي الخاصة وهي الوقف الذي أوقفته لوجه الله، وهي أهم عندي من كل ما أملك في الدنيا». ولم يكن - رحمه الله - يحب أن يتحدث كثيراً عن شركاته وأملاكه وعقاراته وأسهمه



الشيخ عبدالله السبياعي والشيخ عبد الرحمن السديس يحملان درع شكر وتقدير لمؤسسة محمد عبدالله السبياعي الخيرية لتبني مبادرة المقرئ الإلكترونية على مستوى العالم وفي معيتهم د. محمد العصيمي و د. عادل السليم والأستاذين صالح وفهد عبدالله السبياعي

التجارية أو يباهي بها، ولكن إذا جاء الحديث عن المشاريع الخيرية، وأبواب العطاء، وأوجه البر، فإن له نصيب الأسد من حديثه وإنصاته.

كان عبدالله السبياعي يرى أن حق الله في ماله أعظم من حقه الخاص.. يقول أحد المرافقين له: غبت عن مجلس الشيخ يوماً لأنني كنت في مكة المكرمة، فلما قابلني من الغد قال لي: ليتك أخبرتني أنك في مكة، عندي عمارة قيد الإنماء وأحببت أن تقف عليها. يقول الرجل: تملّكتني العجب، لأنني لم أعهد عبدالله السبياعي يتكلم كثيراً عن مشاريعه التجارية، ثم علمت فيما بعد أن هذه العمارة التي رغب إلى زيارتها هي أحد أوقافه الكبرى في مكة المكرمة، فكان حريضاً على متابعة سير العمل فيها حتى تنتهي سريعاً، ويستفيد من ريعها المحجاجون، ولطالما سمعته يقول: هذا حق اللهأمانة في أعقاننا، علينا أن نرعاها لعباده.

يروي أحد القرىين منه أنه حين حصر أوقافه وحررها وفصلها عن المتبقى من ماله.. جاءه أحدهم بعد مدة، فقال له: نسينا أرضاً لم نجعلها هنا أو هناك،

فما توجيهك؟ يقول: فتفاجأت بأنه يقول لي: اجعلها مع أوقافي، فما حجزها الله إلا تكون لوجهه الكريم. ثم كان في عام ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٠١٩ م أن تم تأسيس مؤسسة عبد الله السبيعى الخيرية لتنطلق في خدمة المجتمع بثوبها الجديد امتداداً لإرث عظيم ورثته من مؤسسة محمد وعبد الله السبيعى الخيرية.

مؤسسة عبد الله بن إبراهيم السبيعى الخيرية



مؤسسة عبد الله بن إبراهيم السبيعى الخيرية مؤسسة أهلية مانحة تأسست عام ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٠١٩ م في الرياض، تهدف المؤسسة إلى خدمة كتاب الله، والرقي بالعملية التعليمية، وتطوير المؤسسات الخيرية، وتحفيض أعباء الفقر في المجتمع، والاهتمام بالرعاية الصحية ومكافحة الأمراض، ونشر الدعوة وتوعية الحاليات الوافدة، والعناية بالمشاريع الموسمية، وإنشاء المساجد ومشاريع النفع العام، وتبني المشاريع النوعية والمتخصصة مثل الخدمات الاجتماعية، والتنمية المجتمعية، وتعزيز مفهوم العمل الخيري المستدام الشامل، وتطوير الشراكات مع مختلف الجهات لتعظيم الأثر المجتمعي.

وأمينها العام د. حسن محمد بن شريم^(١) وأدباتها وأهدافها وإنجازاتها معروفة. ويكفي ما قاله معالي وزير الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية - رئيس مجلس إدارة المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي م. أحمد بن سليمان الراجحي حيث قال في كلمة له: «خرجَت مؤسسة عبدالله السبيعي من



د. حسن محمد بن شريم أمين عام مؤسسة التقليدية في العمل، وأصبحت تُضيف للقطاع الثالث عملاً نوعياً... وكل متابعتي لمؤسسة السبيعي الخيرية تصبُّ في الإستراتيجية الجديدة التي يُشرف عليها سمو ولي العهد شخصياً - يحفظه الله، وغفر الله للشيخ عبدالله السبيعي الذي عمل في هذا المجال في العمل الخيري حيث أوقف ثلث ماله لأعمال الخير في وقت متقدم من حياته، ونحن نغبط الشيخ عبدالله رحمة الله وهو يجني ما عمله من سنوات»^(٢).

صناعة نماذج للقطاع التنموي

تنطلق المؤسسة في توجيه المال وصرفه على الجهات المستفيدة وذات الأهلية من مبدأ التأكيد والتحري الدقيق من الجهة المستحقة والمستفيدة، وتتولى المؤسسة المتابعة والإشراف على سير العمل حسب البرنامج المتفق عليه بين الطرفين. وقد رعت المؤسسة صناعة نماذج عمل ناضجة، وجهات نماء واعية؛ فوضعت نظاماً إدارياً واعياً لكل مجال في البناء المؤسسي، من لوائح وأنظمة وأدلة وتطوير أداء، وبرامج التنمية البشرية، لتكون بيت خبرة تستفيد منه الجمعيات المماثلة. بحيث لا

(١) د. حسن محمد بن شريم أمين عام مؤسسة عبدالله بن إبراهيم السبيعي الخيرية منذ يناير ٢٠١٨ م، تربوي وناشط معروف في العمل الخيري، عضو مجلس أمناء مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية، عضو مجلس نظارة وقف عبدالله السبيعي، عضو لجنة الأوقاف باللجنة التجارية بالرياض

(٢) في حفل تكريم شركاء مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية بالرياض بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٢٣ م

تتكرر الجهود، فاستفادت منه مختلف الجمعيات الخيرية في مجالات متعددة، كل ذلك سعياً لتمكين العمل الأهلي ودعمه ليكون أكثر كفاءة في الخدمة والعطاء.

تمكين طلاب المنح

برنامج بذاته المؤسسة الأم مؤسسة محمد وإبراهيم السبيعي الخيرية عبر البرامج التعليمية والتأهيلية وأكملت السير فيه مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية، فتبنت تأسيس كرسى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لتنمية وتأهيل طلاب المنح، ليكونوا سفراء حقيقيون للمملكة في بلدانهم نماء للخير ومساعدة للناس، وفق أنظمة كل بلد جاءوا منها ، كل ذلك دعماً لهذه الجامعة التي تستقطب سنوياً أعداداً كبيرةً من الطلاب من جميع دول العالم للدراسة فيها، من خلال خطة استراتيجية، ونماذج عمل عالمية، ومارسات دولية وآليات صنعت المبادرات الفاعلة، بما يحقق نماءً وعطاءً مختلفاً يُحسب لهذا الوطن في خدمة الإنسانية .

مبادرة (عنایة) لرعاية الأيتام

ولخدمة الأيتام أطلقت مؤسسة عبدالله السبيعي الخيرية مبادرة نوعية أطلقت عليها اسم (عنایة)؛ حيث يرعى البرنامج العناية باليتيم: كفالةً وتعلیماً وتربيّةً وتوجیهًا له ولأمه، ليشعر بقيمة المجتمع، وحرصه عليه، لينشأ اليتيم نشأةً صالحةً كريمةً، ثم يصبح شخصاً فاعلاً منتجًا في وطنه. وقد تبني هذه المبادرة جميع جمعيات الأيتام، وتم استنساخها في بلدان أخرى.

جائزة التميُّز في العمل الخيري

تعدُّ هذه الجائزة من أهم إنجازات مؤسسة السبيعي الخيرية الأم التي أسسها الشقيقان، وتهدف إلى الارتقاء بكفاءة المؤسسات الخيرية والعاملين فيها،



كان الشيخ عبدالله ينظر للدكتور عادل السليم بمثابة ابن له، وكان له دورٌ محوريٌّ في المؤسسة الخيرية وأيقافها للأخرين محمد وعبدالله السبياعي

وتخلق أجواءً تنافسية تسهم في تبني المؤسسات الخيرية لمعايير الجودة المتبعة في هذا القطاع، وفق ممارسات عالمية، حيث اعتمدت هذه الجائزة على جائزة التميز الأوروبي، وجائزة (ديمينج) اليابانية وجائزة بالدرج الأمريكية، ودرست ممارسات الجوائز الأخرى في العالم، مثل جائزة ماليزيا ودبى والأردن، لتخرج بمعايير خاصة لهذه الجائزة، كأول جائزة في العالم تُعنى بالقطاع غير الربحي، وتطور أدواته ومعاييره وقياسه، ليصل إلى جودة عالية.

وقد حرص الشقيقان محمد وعبدالله السبياعي على ألا تكون الجائزة باسم المؤسسة، فهما يريان أنَّ الهدف منها تطوير القطاع غير الربحي في المملكة، ويهدفان إلى رفع جودة الأداء فيها، غير أنَّ ولاة الأمر رأوا أن يكون ابتداء الجائزة في أول أمرها تحت مسمى المؤسسة، تخليقاً لحق الشيفيين، وتقديرًا لدورهما، ثم تكون لكل القطاع، وهذا ما تم لاحقاً، فأُنشئت لها مؤسسة خيرية



من أعمال مؤسسة محمد وعبدالله السباعي الخيرية مسجد وجمع تندحة الخيري بمنطقة عسير الذي أوقفه الشیخان محمد وعبدالله لوالدهما إبراهيم بن محمد السباعي بتاريخ ١٤٣١ / ٥ / ١ هـ

مستقلة ومتخصصة، تحت إشراف المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي، وبشراكة مع عدد من المؤسسات الأهلية وال المجالس التخصصية تدير أعمالها، وتشرف على تطوير التميُّز في القطاع، وأصبح هناك عدّة مؤسسات خيرية، في طليعتها مؤسسة عبدالله السبعاني الخيرية.

مِبادرة تفريغ الكوادر البشرية

اعتنت المؤسسة بتفريغ الكفاءات الفاعلة خلال مسيرتها، وذلك إيماناً منها بأن الموارد البشرية المتوجهة هي من يستطيع تحقيق الرؤى بفاعلية، فتم العمل على تفريغ قيادات نوعية بشراكة مع الحرمين الشريفين، ومع الجمعيات والمؤسسات الأهلية، إيماناً بأن التمكين يبدأ من السير بنجاح في رحلة الأداء.

تأسيس المؤسسات

الأهلية

بذلت المؤسسة جهوداً في العمل على المساهمة في تأسيس مؤسسات أهلية مماثلة تسعى لنفع المجتمع، وذلك من خلال تشجيع وتحفيز البادلين للوقف، وتأسيس جهات مانحة تسهم في خدمة المجتمع من البادلين من رجال وسيدات الأعمال.



الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السبياعي في يفتح في تنحية المسجد والمجمع الخيري وقف جده إبراهيم بن محمد السبياعي نيابة عن والده وعمه

الاستدامة المالية

قامت المؤسسة بتمكين

الجمعيات الأهلية من آليات الاستدامة المالية لتأسيس إدارات مالية، والدعم المباشر للأوقاف، والبحث عن حلول نوعية للاستدامة المالية مثل التأهيل على الإسناد، وصناعة الصناديق الاستثمارية والقرض الحسن والاستثمار الاجتماعي، والشراكات المتخصصة مع الجهات ذات الوعي بفكر الاستدامة مثل هيئة سوق المال وصندوق دعم الجمعيات وبنك التنمية الاجتماعية وغيرها.

الجهات الوسيطة النوعية

بالتعاون مع عدد من الجمعيات الأهلية قامت المؤسسة بتأسيس كيانات وسيطة عبارة عن شركات ربحية أو غير ربحية تعمل لصالح القطاع غير الربحي للعمل على إنهائه بأساليب علمية، وشراكات محلية وعالمية، للارتقاء

بكفاءة القطاع وفاعليته، سواء في الجوانب الوقفية أو المالية أو الاستدامة أو القانونية أو الإدارية أو الاستشارية.

التطوع

عملت المؤسسة على تفعيل العمل التطوعي في داخلها منذ تأسيسها، فخبرات المؤسسة ومستودعها الرقمي كلها موقوفة على القطاع، وكذلك عملت المؤسسة على تأسيس وحدات عمل تطوعية في الجامعات وإدارات التعليم والجمعيات المتخصصة. وعملت المؤسسة على مبادرة وطنية كبيرة، وهي تأسيس مشروع (إدامة) لمظومة تطوعية مستدامة شراكة مع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ووزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية والتي أصبحت بعد ذلك مع الرؤية الوطنية معياراً وطنياً معتمداً بنفس المسمى (معيار إدامة)، والمساهمة في تأسيس منصة تطوعية لخدمة الفرص التطوعية تناغماً مع الرؤية ٢٠٣٠.

التطبيقات الإلكترونية

سعت المؤسسة مع الجهات ذات العلاقة والجمعيات المتخصصة والوسطية لتأسيس برنامج يعنى بتطبيقات الطفولة ورعايتها والعناية بها، ومن ذلك (مبادرة عدنان) معلم القرآن الكريم الذي ذاع صيته وعم أثره حتى أصبح من أوائل واجهة قوقل في المبادرات والتطبيقات الأكثر فاعلية في العالم.

والقرار الذي لقى به عبدالله السباعي ربه

لم يتزدد عبدالله السباعي قط في اتخاذ القرار لصالح علاقته بدینه إذا كانت هناك مفاضلة بين علاقته بدینه وعلاقته بدیناه، ومثلاً اتخذ قرارات حاسمة في مسائل الزكاة والأوقاف، كان آخر قرار حاسم لصالح علاقته بربه اتخذه أثناء جائحة كورونا، ختم به حياته ليلقى ربه به بعد ذلك بقليل.



الشيخان محمد وعبدالله السبيع ومعهما إبراهيم بن محمد السبيع يناقشون مع الأمين العام لمؤسسهم الخيرية د. عادل بن محمد السليم مشروعات المؤسسة

تأثرت أوقاف المؤسسة الخيرية بجائحة كورونا كغيرها؛ فكثير منها عقارات في مكة المكرمة، وهي من أكثر المدن التي تأثرت بسبب إيقاف الحج والعمرة داخليًّا وخارجياً، فأدى ذلك إلى تراجع كبير في عائدات العقارات والشركات العاملة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.. فاتخذت إدارة المؤسسة الخيرية قراراً بتقليل المصارييف التشغيلية، والأموال المخصصة للمنح، استجابة لتراجع الإيرادات.

كان عبدالله السبيع له رأي آخر، فأصدر قراره الجريء، وقال: كيف نتوقف عن الصرف والعطاء في جائحة كورونا؟ الناس يحتاجون إلينا الآن أكثر من أي وقت مضى، ونحن مع وطننا في مواجهة هذا الوباء.. فلا تتأخر عنهم، وسنكون في صف واحد مع الوطن، نكمل ونسدد ونعين، هذا واجبنا.. ولهذا زيدوا الدعم، وضاعفوا العطاء، والذي لا تغطيه إيرادات الأوقاف أدفعه لكم من مالي الخاص.



الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبعيني وإلى جواره ابنه الأكبر إبراهيم في محافل الخير والعطاء والتور

وهكذا أنفقت المؤسسة في تلك السنة أكثر مما كانت تنفقه في السنوات السابقة، سواءً من السلال الغذائية، أو المنح الطبية، أو المساهمة في التعليم الإلكتروني بعد تعليق الدراسة الحضورية، وغيرها من أوجه الصرف المناسبة للجائحة. ولعل هذا القرار الذي اتخذه عبدالله السبعيني من أهم القرارات التي اتخذها في حياته التي يؤثر فيها دينه على دنياه رحمه الله.

عطاء المؤسسة مستمر، وأثره باقٍ من خلال اعتماده لمجالس ولجان فعالة يقوم عليها أبناءه من بعده مع مستقلين اختارهم الشيخ عبدالله بن نفسه وارتضاهم. وواصل أبناءه وبناته خيرية أبيهم، فها هم يوقفون ويخدمون دينهم ووطنهم بعمل نوعي من خلال مؤسسة عبدالله السبعيني، فرحم الله الأصل وبارك في الفرع الصالح.

الفصل الحادي والعشرون

بركة العمر كله..!

كانت أمي بالنسبة لي و«أخوي محمد» المثل الأعلى في التربية، والعمل والتضحية،
فلم تكن لنا مجرد أم فقط، بل كانت الأم والأب والسدن الحقيقي لنا طوال حياتنا،
فتعلمنا منها كيف يكون سلوك الإنسان ترجمة لدینه.

عبدالله بن إبراهيم السبيع



المثل الأعلى في الصبر والتضحية

كان الشيخ عبدالله السبيسي - رحمه الله - بارًّا بأمه نورة بنت ناصر العماش، بل شديد البر بها، فهي من قامت بتربيته وتربيته أخيه الأكبر محمد بعد أن توفي والدهما رحمه الله؛ امتنعت عن الزواج بعد وفاة زوجها، رغم أنها تأيمت في سن مبكرة، ورفضت الارتباط بزوج آخر حتى لا تشعر بالتقدير معهما، أو تؤثر في نفسياتهما، فعاشت من أجل تربية ابنيها، ومارست بعض المهن اليدوية البسيطة من أهمها الخياطة، وذلك حتى تستطيع تدبير القوت لهما، وحتى لا يشعرا بمرارة اليتم وحاجة الفقر.

قاست الوالدة نورة بنت ناصر العماش كثيًّا في سنوات حياتها الأولى خاصة بعد وفاة زوجها إبراهيم السبيسي، فقادت بتربيه ابنيها تربية حسنة، فربت محمدًا حينما كان زوجها مسافرًا، وتحملت أمورًا صعبة، ومن أجل لقمة العيش وافقت على سفر محمد إلى عمه ناصر السبيسي في مكة المكرمة، وصبرت واحتملت فراقه، فسافر محمد على أساس أن سبل الرزق هناك أفضل من القصيم في ذلك الوقت، وعمل في الخارج والسكنية والبناء، ثم تيسرت له وظيفة حكومية في المسجدid قرب المدينة المنورة فذهب إليها. ولكن لا تبعد الوالدة عن والدها وافقت نورة العماش على السفر إلى المسجدid ومعها ابنها الأصغر عبدالله وجدهما حصة الوالصل. واجتمع شمل الأسرة كلها في المسجدid، ولكن هذه الأم رأت ببعد نظرها أن المستقبل الواعد لولديها في مكة المكرمة، فلم يملك محمد إلا طاعة أمه راضيًّا، فانتقلت الأسرة إلى مكة المكرمة حيث استقر بهم المقام هناك وحقق الله نورة العماش ما كانت تمناه لولديها من نجاح بعد صبر وكفاح.

حرمت نورة العماش نفسها، وهي في عز شبابها، من كل متع الحياة، ومن كل ما تتمناه شابة في مثل سنها، واتجهت إلى الله العلي القدير وحده تستعين به، وتسعى لمرضاته، ولا مطلب لها ولا دعاء منها إلا التوفيق لولديها أن ينشأ نشأة صالحة، كانت تذكرهما دائمًا بحديث أن من يظلمهم الله تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله شاب نشأ في عبادة الله.

سخرت هذه الأم حياتها كلها لولديها لتصنع منها رجلين عصاميين أشداء طموحين، وربتهما على مبادئ الدين والخلق الحسن، والعبادة الصادقة المخلصة، فكانت بحق مدرستهما الأولى قبل أي مدرسة، وكانت معلمتهما الأولى قبل أي معلم، وأمضت حياتها كلها لها ومعها وإلى جوارهما، لم تفارقهما قط إلا للقاء ربها راضيةً مرضيةً رحمة الله عليها. وقد عاش ولداها الشیخان محمد وعبدالله حافظين لصنيعها، بارين بها، يجلانها ولا يقدمان شيئاً في حياتها عليها قط.

حب واحترام ليس له حدود

كان احترام الشيخ عبدالله السبيعي لوالدته شيئاً كبيراً جداً بالنسبة له، كانت لها مكانة عظيمة ومنزلة عالية في نفسه، واعتباراً في نفوس أبنائه وفي نفوس جميع أفراد أسرته، فهي محور البيت، وهي نوره الذي يستضيء به الجميع، فمثلاً من عاداته في إجلال أمه وإعطائها مكانتها في نفوس الصغار من الأبناء والأحفاد روى لي أبناؤه وبناته أنه كان حريصاً على أن يعطيها المال أو النفقة لتصلهم منها، وهذا معنى كبير من معاني التقدير والإجلال للأم، فهو يريد أن يقول لأبنائه هذه أمري مصدر الخير الذي سخره الله لي، وهي كل شيء في حياتي.

أسلوب حياتها في التعامل مع أهل بيتها

يشهد كل من كان حوالها أو عاش بالقرب منها أنها سيدة مسلمة، عاشت سنوات طويلة في بيت ولديها محمد وعبدالله في جدة ومع زوجتيهما في احترام

وتقدير متبادل، لم تسلك يوماً سلوكاً يؤذي زوجات الأبناء من أمهات الأزواج مثلما هو معروف قدیماً عندما كانت العائلات تعيش في بيت واحد.

لم تكن نورة العماش تتدخل أبداً في شؤون زوجات ولديها، ولا تسأل عن ما لا يخصها، تتغاضى وتجاوز بالتغافل إذا رأت شيئاً لم يعجبها، وإذا تكلمت دفعت بالتي هي أحسن من قلب أم حنون، وقبل أن تتقدم في السن ظلت تشارك زوجات ابنيها في بعض أعمال البيت بما تستطيع، وتغدق من حبها وحنانها على أبناء ولديها الذين عاشوا في كنفها.

وكان من توجيهاته الشديدة أن لا تُترك والدته وحيدة في البيت أبداً، فكانوا إذا أردوا مثلاً أن يذهبوا إلى المصيف في المدا بالطائف، أو إلى زيارة عمهم محمد وأولاده في الرياض، أو أرادوا الذهاب للتنزه في أي مكان خارج مكة أو جدة، خاصة بعد أن كبرت في السن، ولا تستطيع الذهاب معهم، فكان لا بد منبقاء أحد أفراد الأسرة معها، رغم أنها كانت تطلب منهم أن يذهبوا ويستمتعوا، فالبيت مليء بالخدم، لكن الشيخ عبدالله كان يرفض ذلك.



كلمة أسعده من ابنه منصور فابتسم

خصالها وعاداتها وأسلوب حياتها

ظلت نورة العماش طوال حياتها، حتى بعد أن أقبلت الدنيا على ولديها، تحب أن تخيط ملابسها بنفسها، وكانت ثيابها واسعة، فكانت تحضر سلطتها وخيوطها،

وتحلّس كل يوم بالشمس لتخيط بيدها ما تريده أن تلبسه، وكانت تجلس بين المغرب والعشاء بمصالاها، فتصلّي المغرب وتحلّس حتى العشاء بالمصلّى، تدعو وتستغفر، ثم تصلّي العشاء، ثم تصعد إلى حجرتها تنتظر ابنها عبد الله حتى يعود من المكتب، فتتعشى معه.

كانت رحّمها الله لا تحب التدخل في شؤون غيرها، ولا فيها لا يعنيها، فلا تتكلّم كثيراً، وتحب العمل، حتى بعد أن تيسّر الحال، وفتحت الدنيا أبوابها في وجه ولديها، كان لها زنبيل يخصّها تضع فيه أدوات الخياطة، وتحلّس بنفسها تخيط ثيابها، وتصلاح ملابسها، وتستمتع بذلك، وهذا قبل أن مرضها.

لم تكن - رحّمها الله - تحب الطبخ، ولا دخول المطبخ، لكنها تساعد فقط، فهي لا تحب أن تجلس دون عمل، فكانوا يحضرون إليها الخضار لتنظفها وتصلّحها وتقطعها وهي في مجلسها أو غرفة نومها.

كانت - رحّمها الله - طوال سنوات عمرها سواء في بيت ابنها عبد الله أو في بيت ابنها محمد فيما بعد متفرغة للعبادة والصلاحة، فلا تُرِي إلا وهي على سجادتها أو سريرها، وكانت لها دورة مياه خاصة لها سواء في جدة أو الرياض، وقد خصّت لنفسها ملابس للصلاحة، وكانت منتظمة في حياتها، ونظيفة طاهرة، على وضوء معظم وقتها ما استطاعت..

بر ابن التسعين بأمه

كان بره بها فوق العادة، براً صغيراً، وشاباً، وشيخاً مسنّاً، حياته في كل مراحلها كانت براً بأمه ووفاءً لجميل صنعتها معه ومع أخيه محمد.. فقد كان - رحّمها الله - حافظاً لصنيع أمه، كثير الذكر لها رحّمها الله، حتى بعد أن بلغ التسعين من عمره، وكان لا يفتأّ يتحدث عن أمه ورعايتها له ولأخيه الأكبر محمد، ويلهج بالحديث عن تقديره واحترامه لها، وعرفانه بالفضل لما قامت به من عناية ورعاية، فقدّرها وأجلّها كثيراً، وأدّام الدعاء لها ليل نهار.



بفضل الله ثم برضاء والديه رزق الشیخ عبدالله بن إبراهيم السبیعی الأبناء البررة ویظہر منهم في
الصورة صالح وخالد وفهد ومنصور في أحدي المناسبات الخیرية

مصاحبة دائمة لها ولا افتراق عنها

من مظاهر بر الشیخ عبدالله السبیعی بأمه - على سبيل المثال لا الحصر - أن أول شيء يفعله عندما يدخل البيت هو الذهاب إليها، فهو لا يدخل ولا يخرج إلا بعدما يمر لیسلم عليها، ولا يأكل وجنته إلا بعد أن يتتأكد أن أمورها على خير ما يرام، وقد يتناول عشاءه عندها، ويقضى معها وقتاً في حجرتها، كذلك تعود أبناؤه وأحفاده أن يجلسوا معها، بل كانت العائلة كلها تتحلق حولها^(١). وحين ي يريد السفر لأمر ما، كان يمر عليها لیسلم عليها، فكانت تدعوه له، فتُسمّي الله ثم ترقيه بآيات من القرآن الكريم وأحاديث النبي صلی الله عليه وسلم. وعندما يعود يدخل إليها ليطمئنها على عودته.

(١) ذکر لي ذلك أبناؤه جمیعاً.

مصاحباتها وخدمتها في مكة المكرمة

كان يصحبها كل عام لتقضى معه شهر رمضان في مكة المكرمة، من أوله إلى نهاية الستة أيام الأول من شهر شوال، ويظل معها ليل نهار يخدمها ويسهل أمورها ويلبي احتياجاتها، ولا يتركها أبداً، فكان يظل مرابطاً معها في مكة المكرمة، يقضيان معًا أغلب الوقت في بيت الله الحرام بجوار الكعبة المشرفة، وكان إذا غاب عنها لظروف قهرية رتب لها أمورها، وأحضر لها واحدة من قرياتها لتسكن معها حتى لا تشعر بالوحدة، ول تقوم بخدمتها؛ وتطبخ لها، وتنظف، وتذهب معها إلى الحرم، وهو يتبع أمورها دائمًا، فلو صادف ولم يجد من يذهب معها لم يتركها أبداً، بل لا بد أن يجد من يبقى معها، لأنها لا تستطيع أن تبقى وحدها.

كان الشيخ عبد الله يصطحب والدته إلى الحرم ممسكاً بيدها، وقبل التوسعات الحديثة في الحرم المكي كان طرف درجة مكسورة في المدخل الذي تمر منه والدته، فأحس أن والدته قد أتعبتها هذه الدرجة المكسورة، فأحضر العمال لإصلاح هذه الدرجة على نفقته الخاصة، وكل ذلك حرصاً منه على راحة والدته، ولم يقل هذه مسؤولية شؤون الحرمين ولم يبلغهم بذلك.

سر حبه للعنب .. !

كان الحديث عن أمه يؤنسه ويسري عنه، فإذا رأه أولاده متغير الحال، أو مكدر الخاطر، طرقوا سيرة والدته جدتهم، فيفرح، ويبدأ في الكلام عنها، وكان الشيخ يقول: «لم أعرف أبي، فكان مولدي أثناء سفره الذي لم يعد منه، فلم أره، وكانت أمي هي الأم والأب في حياتي» وكان دائمًا يكرر هذا.

وقد رأى الشيخ عبد الله - رحمه الله وغفر له - مرة يأكل العنبر بالخبز، فتعجب من قوله، وقالوا: الناس يأكلون الإدام بالخبز! فقال الشيخ: «أمي كانت تأكل العنبر بالخبز، فأنا أحب ما تحب أمي».



من آثار بر الشیخ عبدالله السبیعی بوالدته بُرُّ ابناه به وفي الصورة يظهر ابنه الأکبر إبراهیم يقبل يد والده وهذا من برکة العمر

ومن بره لها حرصه على أن يشرك أمه في أجر الصدقات التي يخرجها، فكان يعطي الأموال لأمه لتصدق هي بنفسها، وخرج الصدقة بيدها، فكانت تفرح بذلك جداً.

سر حبه لـ نوره بنت ناصر بن محمد السبیعی

أراد ناصر بن محمد السبیعی - وهو ابن أخيه وزوج ابنته - أنجب بنتاً أسمها نوره، فكان الشیخ إذا جاءه اتصال من الرياض من أولاد أو بنات أخيه، أو حتى من أخيه نفسه، كان يبادره المتصل قائلاً: كيف حال نوره بنت ناصر؟ حتى سمعه أحد الأشخاص يوماً، فتعجب وقال: يا شیخ، أراك تسأل عن نوره بنت ناصر، وهي ليست الحفيدة الوحيدة؟ وبيتك مليء بالأحفاد والأحباب! فقال الشیخ: لا، هذه البنت أنا أحبها؛ لأن اسمها نوره، واسم أبيها ناصر، وأمي نوره بنت ناصر، فكان من حبه لأمه يحب من تسمى باسمها رحمة الله عليهما.

ذكرى عاشت معه العمر كلها

قال الشيخ يوماً: إن أمي كانت تقوم تصلي من الليل وأنا صغير، وأنا أريد أن أنام، وأنا تعودت أن أنام في حضنها، فلا يأتيني النوم، فكنتُ أقول لها: يا أمي، يكفي صلاة. وذات مرة أصابني ألم في رأسي وأنا في عملي بالدكان، فتركته، واتجهت إلى البيت بمكة المكرمة، و كنت دون العشرين من عمرى، فعرفت أمي ما أشعر به من ألم، وبمجرد أن نظرت إليَّ، ولم يزل الألم بي حتى ضمتني، ووضعت رأسي على صدرها، فكانت - رحمها الله - إذا ضمت رأسي على صدرها دقائق زال الألم، ثم أعود إلى عملي.

درس لا تنساه أم هيثم من جدتها

روت لي ابنته مني (أم هيثم) موقفاً من صباها مع جدتها، ضمن ما حدثتني به عن والدها. حدث ذات مرة وهي طفلة في التاسعة من عمرها، أن أصيبت بوعكة صحية، ومررت بها جدتها نورة فرأتها على ذلك الحال، فقالت لها: ما بك يا مني؟ فقالت: أنا متعبة، فقالت لها جدتها: لا، لا تقولي متعبة، قولي: الحمد لله، أنا بخير. فتعلَّمت مني منذ صباها هذا الدرس الجميل من جدتها، تعلمت الاحتمال والصبر والحمد لله في السراء والضراء..

سنوات عمرها الأخيرة في الرياض

أكرم الله - عَزَّ وَجَلَّ - عبدالله السبيعي ببقاء أمه عنده في بيته حتىجاوز السبعين من عمره، فأمه - رحمها الله - عمرت حتى قاربت المائة، فظل يبرها إلى أن بلغ هو سبعين سنة، ووصل أخوه الشيخ محمد إلى سن الثمانين. وبحكم سفر ابنها محمد إلى الرياض وبقائه لإدارة عملهما هناك، آثرت نورة العماش البقاء مع عبدالله في بيته حتى مرضت في آخر عمرها، فانتقلت إلى الرياض عند ابنها الأكبر محمد إبراهيم السبيعي؛ لمتابعة حالتها الصحية هناك، وكان ابنها عبدالله



من بركة العمر توارث البر في أحفاد الوالدة نورة العباش من ولديها محمد وعبد الله،
وهذا عبد العزيز بن محمد السبيسي^(١) يُقبل يد عمه عبدالله

دائم الزيارة لها أثناء فترة إقامتها بالرياض، وقد شاء الله أن تبقى بالرياض وتكون وفاتها في الرياض إلى جوار ابنها محمد ليقوم برعايتها في سنواتها الأخيرة، وهي حكمة إلهية عادلة بين الأخوين، فكان تریضها ووفاتها وهي عند محمد تعويضاً مساوياً عن السنوات التي عاشتها مع ابنها عبدالله في جدة.

مدرسة الأم المجاهدة

كان الشيخ عبدالله تلميذاً في مدرسة تلك الأم المجاهدة، وأسدًا تربى على يديها، ومن أخلاقها نهل واكتسب القيم والمبادئ التي ظهرت في حياته، فهذا القائد نتاج تربية هذه المرأة المجاهدة المربية التي أنتجت وربت هذين الأسدين

(١) عبد العزيز بن محمد السبيسي: رجل أعمال، شريك مؤسس وعضو مجلس إدارة شركة محمد بن إبراهيم السبيسي وأولاده للإستثمار(ماسك) ونائب رئيس مجلس إدارة شركة جدوى للإستثمار وعضو مجلس إدارة: المركز السعودي للتحكيم التجاري وشركة الفارابي للبتروكيمياوكيات وشركة فجر كايتال وكثير من الشركات والمؤسسات . حاصل على بكالوريوس إدارة أعمال من جامعة الملك سعود.

محمد وعبدالله السبيسي، وهي تستحق مكانة عليا، رحمها الله وأسكنها فسيح جناته.

وما القيم والمثل التي ظهرت في تصرفات وأعمال ابنها عبدالله إلا غيض من فيض من أخلاق تلك المرأة، ويكفيانا أن نتأمل ما قام به الشيخ عبدالله في السنوات العشرين الأخيرة من حياته حين ترك الدنيا ومتاعها وزيتها، وزهد في كل ما امتلكه من ثروة طائلة، وقيامه بالكثير من المشروعات الخيرية والأوقاف التي رعاها، وترجمته لكل تلك الأعمال بإنشاء مؤسسة مشتركة باسمه وأسم أخيه، ثم أكمل عطاءه منفرداً في مؤسسة خاصة به هو وحده بعد انفصال الشراكة بينه وبين أخيه، فكل ذلك إنما هو نتيجة لما غرسه فيه أمه من حب المساكين، والزهد في المال والثروة، والرغبة فيها عند الله عز وجل، فكل ما ينفقه من مال هو باق له يدخله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فرحمه الله على تلك الأم، وعلى ذلك الشبل، وجمعنا الله بها في مستقر رحمته، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

أعلى ما تعلمه من والدته

ترجم الشيخ عبد الله ما تعلمه من قيم وأخلاق في مؤسسة خيرية تبنت تلك القيم التي زرعتها الأم، وأول وأهم قيمة زرعتها الأم في الشيخ عبدالله هي الزهد والبعد عن الرياء، وعن ضجيج وصخب حب الجاه، فقد كانت امرأة تراقب الله - عز وجل - في كل حركة من حركاتها، وفي كل سكنة من سكناها، فأنتجت عبدالله الذي ارتبط بالأخرة، عبدالله الذي ارتبط بالمساكين، عبدالله الذي يفكر كيف يبني له قصوراً في الجنة، فهذا الربط كان من نتيجة أنه أوقف ثلث ماله المقدر بـمليارات للإنفاق على الفقراء والمساكين، ولم يترك هذا الوقف في وصية ينفذها أبناؤه من بعده، بل لقد قام بنفسه وفي حياته بأن

أوقف المليارات وهو حي يرزق، فخرج من الدنيا، وتخفف من أثقالها وأعباتها، واغتسل من أوزارها وأدرانها، وفضل أن يقضي ما بقي من حياته مع وقه، وما بقي من ثروته الطائلة وزعه على أبنائه وزوجته وبناته، فخرج من الحياة وهو حي، وجلس في ظل وقه، وهذا ما ربته عليه أمه بزهدتها وتعلقها بمكانتها المكرمة، وتعلقها بالله عز وجل، وتحري الحلال والحرام.

ومن القيم التي غرستها الأم في ابنها الشيخ عبدالله الإخلاص وعدم الرياء، فكان الشيخ عبدالله لا يحب إطلاقاً مسألة الإعلام والتسلط الإعلامي، والمثال على ذلك ما رواه لي أمين عام مؤسسة محمد وعبدالله السبيعي الخيرية آنذاك د.عادل السليم، الذي قال لي: لقد عملت كأمين عام للمؤسسة ما يربو على ١٥ سنة، وكانت المؤسسة تنشر بعض أعمالها في الصحف الورقية مثل تصريحات الأمين العام العادل السليم وتوجيهات الشيخ محمد والشيخ عبدالله.

وفي كل مرة ينشر فيها خبراً إعلامياً يقول الشيخ عبدالله للأمين العام: «يابني، يا عادل، يا دكتور، يا ولد ابن سليم، لا تضيع أعمالنا بالرياء والإعلام». وفعلاً أصدر د.عادل السليم توجيهاته بعدم النشر رغم عدم قناعته، لكنه استطاع ببلاقته المعهودة إنتهاء هذا الموضوع في جلسة مع الشيخ عبدالله، حيث أقنعه بأن هذه التصريحات الإعلامية ليست لذواتنا وأشخاصنا، فنحن نبرز المشروع والمبادرة إعلامياً؛ لكي ينقاد التجار والمحسنون والمترعون؛ لأن هدفنا بداية الخطوة وزرع القدوة.

ثم شرح له الفكرة فقال: يا شيخنا، لكي نأخذ حسنات بهذا العمل، فعندهنا مشروعات مثل مشروع العطاء الذكي، وعندهنا مشروع الحفاظ، وعندهنا مشروع الكرسي لصالح جامعة الإمام، وعندهنا أعمال خيرية في أطراف المملكة، عندهنا مشاريع كثيرة نذكر فيها الإسهامات، وقال الأمين العام، وقال حسن شريم،

وقال فلان وقال فلان، والقصد منها هو أن تنشر الفكرة والمبادرة للمؤسسات المانحة والمتربيين، فيأخذوا الفكرة، فهذا المقصود يا شيخ عبدالله حين نذكر ذلك في الإعلام، وليس المقصود أن نقول إن الشيخ عبدالله تبرع، إطلاقاً، لذلك نحن لا نذكر قيمة الأموال التي تبرعنا بها وما أكثرها، وما أعظمها، وما أكبرها. واقتنع الشيخ عبدالله بأن له أجر من عمل بأي مبادرة تقيمها المؤسسة، وهذه القيمة قد تعلمها وأخذها من أمه رحمها الله عز وجل.

وقف نورة العماش لتحفيظ القرآن الكريم



الشيخان محمد وعبد الله السبعاني في مناسبة من مناسبات بركة العمر أثناء افتتاح وقف والدتهما المسماى دار مكة النسائية لتحفيظ القرآن الكريم بجامعة الملك سعود

ارتبطت السيدة نورة العماش - رحمها الله - طوال حياتها بالقرآن الكريم، وزرعت في ولديها محمد وعبد الله حب القرآن والمداومة على تلاوته في أوقات الرخاء والشدة طيلة عمرها. وقد حدثني د. عادل بن محمد السليم - صديق الشيفيين محمد وعبد الله والمقرب منها وموضع ثقتها - أن الشيفيين كلفاه بدراسة مشروع يخلد ذكر والدتها ويكون صدقة جارية لها إلى يوم القيمة بفضل الله، ولما كان القرآن الكريم محور حياتها ومنهج حياة ولديها اتجه التفكير

مباشرة إلى عمل له صلة بالقرآن الكريم، واتفق الرأي على أن يكون مشروعًا كبيراً لتحفيظ القرآن الكريم.

د. عادل السليم يروي قصة الحصول على أرض الوقف



من إنجازات بركة العمر وقف نورة العماش مدرسة ومعهد دار مكة لتحفيظ القرآن الكريم

روى لي أخي د. عادل بن محمد السليم أول أمين عام لمؤسسة الأخرين محمد وعبد الله السبيعي الخيرية قصة تيسير الله العلي القدير لوقف والدتها نورة العماش بجامعة الملك سعود، يقول أنه كان يسكن بسكن الجامعة بصفته عضو هيئة التدريس بها، وفي الوقت نفسه كان الأمين العام للمؤسسة الخيرية، وكان الشيخان يريدان تخليد ذكرى والدتها بوقف قرآني يتناسب مع شخصيتها، ورأى د. عادل أن أرضًا تقع في مساحة تصل إلى ٢٥٠٠ متر ضمن حدود سكن أعضاء هيئة التدريس، وعلى الشارع الرئيسي، تصلاح لهذا الوقف لسهولة الوصول إليها ولو جودها بين الناس، واستحسن الشيخان الفكرة. وتحدث د. عادل مع المسؤولين في الجامعة بشأنها، فقيل له: لا يمكن بهذه الأرض محجوزة

مشروع آخر. وعرضوا عليه أرضاً قرب الملاعب والمستشفى، لا تصلح لمثل هذا المشروع لبعدها عن المنطقة السكنية.

ويكمل د. عادل السليم القصة وتيسير الله فيها فيقول: لم أ Yas، ودعوت الله التيسير فهذا عمل خالص لوجهه الكريم - ولا نزكي على الله أحداً - وبعد أن قفلت في وجهي السُّبُل ألموني الله عز وجل أن أذهب لصلة العصر في المسجد الذي يصلني فيه مدير الجامعة معالي د. عبدالله بن محمد الفيصل بجوار بيته. وبالفعل وجدته هناك، وهو يعرفني جيداً، فسلمت عليه، وعرضت عليه المشروع فقال: أعلم، ولكن هذا صعب، فَقَبَلَتْ رأسه قلت له: ما جئتكم أطلب شيئاً لنفسي، ولكني أعرض عليكم مشروعـاً الله يشهد لك بين يدي رب يوم تلقاه. فتأثر الرجل، ووافق. وكنت جاهزاً بخطاب، فوقع عليه، وأحالني لنائب الأمير د. خالد بن عبدالله المقرن آل سعود الذي تربطني به زمالة ومودة، فذهبت طائراً من الفرح، ولو كنت حزت الدنيا كلها لنفسي ما فرحت بها هذا الفرح، ولكن للفرح في الله لذة روحية لا يعرفها إلا من ذاقها. والتقييت الأمير د. خالد في بيته، وقلت له ما قلته لمدير الجامعة، فوافق فوراً، وقال: لا حاجز أمام ما هو لله، توكل على الله. واتجهت فوراً للشيخين محمد وعبدالله السبيع وابلغتهم، ففرحا فرحاً عظيماً، وترحما على والدتها، وقالا هذه امرأة قرآنية كتب الله لها ما عاشت له وفي سبيله، فما ذلك التيسير إلا خبيثة لتلك المرأة عند ربه رحمة الله عليها ورضوانه، ولا نزكي على الله أحداً.

وأصبح هذا الوقف منذ عام ١٤٣٠هـ الموافق عام ٢٠٠٩م إلى يومنا هذا يؤدي دوره في خدمة القرآن الكريم، فهو معهد في الصباح لتخريج الحافظات والذاكرات والمعلمات لدور القرآن الكريم في الرياض كلها وخارج الرياض، وفي العصر معهد للبنات الصغيرات والطالبات لتعليمهن القرآن، وتعليم الأمهات اللواتي لا يجدن القراءة.

كما أقيم إلى جواره روضة لتكون هناك استدامة، وسمى (وقف نورة العماش لتحفيظ القرآن)، وأقيمت قاعة كبيرة تكفي تقريرًا ٥٠٠ امرأة لتلقى بها المحاضرات الدينية، والمحاضرات التوعوية، ومحاضرات في التثقيف الصحي، والتثقيف الاجتماعي، وكل أسبوع يعقد فيه محاضرة في متلى الجامع بالسيدات.

فكان إنشاء هذا الوقف له ثمرتان: أولاهما تخليد ذكر أمها الكريمة المكافحة القوية المجاهدة، وثانيهما ربطها بالقرآن الكريم، لأنها تحب القرآن، ولا يزال هذا الوقف تحت رعاية جامعة الملك سعود، وهو من المشاريع التي خلدت تلك الأم التقية المكافحة رحمة الله عليها ورضوانه.

دور السيدة زين بنت جمل الليل في الوقف

أطلق الشيخ عبدالله على المدرسة النسائية القرآنية وقف والدته بجامعة الملك سعود اسم (دار مكة المكرمة)، وتم اختيار السيدة زين بنت جمل الليل (أم حكيم) مديرًا لها، وهي التي وقفت على تأسيسها والإشراف عليها تعاونها ابنتها د.غدير بنت الزميل د. حسن عبدالحكيم الأستاذ بكلية العلوم جامعة الملك سعود. وقد تولت د.غدير بنت حسن عبد الحكيم إدارة الدار خلفاً لوالدتها.

كانت أم حكيم نحلة وشعلة عمل دؤوب لا ينقطع، وكان لديها قدرة عجيبة على تجميع البنات والعضوات، وفعلاً أصبح لتلك الدار شأن كبير على مستوى الرياض. تلك المرأة الفاضلة عملت دون مقابل، رفضت أن تأخذ أجراً أو راتباً على عملها الذي تقوم به في الدار خدمة للدين الله وكتابه الكريم. قال لي د. عادل السليم في معرض حديثه عن قصة تأسيس الدار إنه ذات مرة تحدث مع الشيخ عبدالله عن عمل أم حكيم وإخلاصها ورفضها استلام أي مكافأة، وأنثى على

السيدة الفاضلة أم حكيم خيرًا. وكان يتخرج سنويًّا من هذه الدار ١٠٠ - ١٥٠ حافظة لكتاب الله، ويصرف الشيخ محمد والشيخ عبدالله لتلك الحافظات والمتخرجات مكافآت مالية، والطالبات الصغيرات يصرف لهن مكافآت آخر السنة، خاصة في شهر رمضان.

أما السيدة الفضلى أم حكيم فكانت ترفض أن تأخذ أي شيء مقابل مجدها وعملها كمشرفة ومديرة لهذه الدار، لكن الشيخ عبدالله أصر على مكافأتها، فاقتصر أن تكون مكافأتها للآخرة ما دامت رفضت مكافأة الدنيا، وقال: نبني لها مركزً إسلاميً تحفيظيً في إندونيسيا، مع مرافقه وبئر ماء فيه. وفعلاً رتب هذا الأمر، وتم بناء مركز لتحفيظ القرآن، ومسجد متكملا هناك باسم أم حكيم، وكانت مفاجأة لها حين شاهدت صور هذا المركز، وبرنامجه، وتم إبلاغها بأن افتتاحه سيكون في الموعد كذا، ولا بد أن تذهبي أنت وابنتك ومن يعز عليك إلى إندونيسيا لتفتحي مركزك.

وفعلاً تم الحجز، وتتكلف الشيخ عبدالله بكافة مصروفات سفرها وما يتبعه، ففرحت أمها فرح كيف أن الشيخ عبدالله كافأها بشيء لم تتوقع أن يكون. وهذه من اللفتات التي قلما يفطن لها بعض الناس في العمل الخيري مع المتطوعين، فكان وقعا عليها وقعًا غير طبيعي، فأقامت وجاحدت وضاعفت الجهد في مدرسة نور العمال الشهاد القرآنية. وهذا دأب الشيخ عبدالله لمن يعمل معه في القطاع الخيري، فيعامل كلاماً بما يناسب وضعه وظروفه.

وبالمثل أقام الشيخ عبدالله بدعم جمعية تحفيظ القرآن في عنيزه مسقط رأسه وجعل لها وقفًا؛ وفاءً لهذه المدينة التي تحتضن ذكريات صباحه، حيث كانت أمه تصحبه إلى المسجد تلو المسجد، وتسمعه القرآن وتحفظه له، وتذهب به إلى مجالس القرآن والكتاتيب.

الفصل الثاني والعشرون

في مواجهة تحديات المرض والشيخوخة

كانت أمي بالنسبة لي و«أخوي محمد» المثل الأعلى في التربية، والعمل والتضحية، فلم تكن لنا مجرد أم فقط، بل كانت الأم والأب والسد الحقيقى لنا طوال حياتنا، فتعلمنا منها كيف يكون سلوك الإنسان ترجمة لدینه.

عبدالله بن إبراهيم السبيعى



بارك الله في عمر الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبعي حتى بلغ المائة، عاشها في ظلال مرضاه ربه، عمراً مباركاً لم يبتليه الله فيه بمرض عossal يقعده أو يعذبه، بل عاش سنوات عمره المديد كله معاً يؤدي صلواته جمِيعاً في المسجد، ويزاول عمله في مكتبه بالحضور يومياً في مواعيد كمواعيد الصلاة لا يخلفها إلا لضرورة قصوى، ويلتقي الناس في صالون مجلس بيته في المواعيد المحددة، ويعطي أهل بيته حقهم من الجلوس معهم، ويذهب إلى مكة المكرمة عشقة الكبير لا يغيب عنها طويلاً أبداً مهما كانت مشاغله.

ومن توفيق الله له أنه لم يتعرض في حياته لأمراض خطيرة صاحبته طوال العمر، ولكنه تعرض لحالات مرض تستدعي علاجاً أو عملية جراحية ثم يعود لعافيته. ولم يدركه هذا النوع من الأمراض إلا بعد أن جاوز الثمانين من عمره المديد.

في مواجهة التحديات الصحية

في سن الخامسة والثمانين تطورت مشكلة فقرات الظهر، وعانى من آلامها طويلاً وكثيراً، ولكنه كطبعه في الحياة يقبل التحديات بعزيمة المؤمن، ويواجه الصعوبات بقلب الصابر فيتصر. قبل التحدي وسافر إلى ألمانيا وقضى هناك أكثر من شهرين في مصحة للعلاج الطبيعي، ثم واجه تحدي عملية الفقرات.. وافق على العملية الأصعب التي تستغرق عدة ساعات، حيث يتم ربط الفقرات بالمسامير.. احتمل الألم بصبر وثبات وعاد ليواجه تحديات العمل التجاري دون أن يؤثر ذلك على عزيمته ومعنوياته إطلاقاً.

ثم عانى من مشكلة في الرُّكبتين التي يتعرض لها الكثير من المتقدمين في السن، وقد صبر كثيراً على آلامهما، وظل يقاوم، ولكن في النهاية سافر إلى الرياض وأجرى عملية تغيير مفصل للركبتين تمت بنجاح. وعاد بعد ذلك بقليل يواصل كفاحه بالصبر والتحدي الذي يقف فيه المؤمن بيقين لا يدخله شك أن أمر المؤمن كلّه له خير. وهكذا ظل الشيخ عبدالله محتفظاً بنشاطه وبرامج حياته، وظلّت حركته طبيعية حتى بلغ السابعة والستين من عمره، ثم بدأت حركته تضعف تدريجياً بعد ذلك دون أن يعاني من مرض معين سوى وهن الشيخوخة.

مشاعر الأبوة الجياثة

بعد عملية الظهر والركبتين تخفف من أعباء كثيرة، وكان يذهب إلى المكتب لفترات قصيرة، ثم يعود إلى البيت فيستقبله الموجود من بناته، ويأخذن بيده ويمرون به من الصالة إلى غرفته، ويقولون له: ابق معنا قليلاً، فيعتذر لهم قائلاً: يكفي أنكم موجودون وأسمع أصواتكم. ثم يذهب ليستريح قليلاً، ثم يصلى العصر، فإذا أرادوا الانصراف سلموا عليه وودعوه، فيقول لهم: اللهم لا تجعله آخر العهد. وكأنه كان يخشى أن يفارقهم رحمة الله.

كثرة مكوثه مع أسرته في سنواته الأخيرة

وهكذا تخفف في سنواته الأخيرة من مسؤوليات العمل، وأصبح يمضي وقتاً أطول مع أسرته في بيته، وأصبحت أسعده أوقاته أن يرى وأولاده وبناته وأحفاده حوله، وكان يوصي بناته المتزوجات أن لا يغبن عنه كثيراً، وكان يسعد برؤيتها



حوله وبالقرب منه، وبالتالي زادت لقاءاته بهن، وجلوسه معهن. أما حبه لأحفاده فكان عجباً، ورغم كثرةهم، إلا أنه كان يتبعهم واحداً واحداً في أمور دراستهم لدرجة أنه أحضر لهم مدرساً خاصاً في بيته، وما أكثر ما كان يمازحهم ويداعبهم رحمة الله عليه.

وكان كل سمره مع أولاده حين تعب، فكانوا يضعون له سريراً بالصالحة يرقد عليه، وحين يأتي وقت الصلاة ينزل ليتعشى ويجلس معهم.

وعيه وتوقد ذهنه حتى آخر أيامه

كان وعي عبدالله السبيسي حاضراً دائماً، وكان ذهنه متوقداً، يذكر أشياء قديمة من طفولته، وشبابه، وأعماله التجارية، وشراكاته، والموظفين الذين كانوا يعملون لديه، ربما لا يذكر التاريخ باليوم والشهر والسنة، لكنه يذكر تفاصيلها.. وظل كذلك حتى أصيب بالجلطة، حيث بدأت صحته تتدهور وذاكرته تضعف.

المقاومة بالإيمان عندما عجزت المقاومة بالجسد



في سن السابعة والتسعين تعرض لجلطة في المخ منعه من المشي وأثرت على ذاكرته وإدراكه ودخل على إثرها المستشفى للعلاج. خرج من المستشفى بعد فترة، وكان الوهن قد دب إلى جسده، فرُكِن إلى الجلوس في البيت بين أهله يقاوم وهن الشيغوخة وتبعات المرض بإيمانه العميق. وكان إذا نسي لا ينسى ذكر الله، وإذا غاب عن ذاكرته شيء لا يغيب عنها حفظه لكتاب الله، وكانت أجمل لحظات أسرته معه في البيت حين يستمعون له يتلو بصوته الشجي الحنون آيات من كتاب الله.

سبب حزنه في فترة وباء كورونا

عاش عبدالله السبيسي آخر عامين من حياته في فترة وباء كورونا الذي اجتاح العالم كله، ووجد نفسه بالجبر والاختيار مضطراً للبقاء في البيت، وكان أهل بيته



سعادة بوجوده بينهم. ولكن كان من الصعب على رجل مثله الانعزال الكامل عن الناس، وهو الذي عاش حياته كلها غارقاً بين الناس لا يفترق عنهم إلا في وقت نومه. وكان أشد ما يحزنه في تلك الأيام عدم ذهابه إلى المسجد والصلاحة فيه، وبدأ يشعر بالكدر والضيق بسبب فترة الحظر الكامل وعدم فتح المساجد، وليس هناك أي نوع من أنواع التواصل بين الناس، فقام أولاده – بارك الله فيهم – بإنشاء مُصلى داخل البيت، وفرشوه بسجاد كسجادات المساجد، وجعلوا به محارباً، وكذلك مصاحف، وكانوا يصلون معه هم وأبناؤهم والسائقون والخدم، كل ذلك ليهئوا له جوًّا يشبه جو المسجد..

ورغم ذلك ظل الشيخ عبدالله السبعي متقدراً جدًا. ورغم حرص أولاده على حمايته من العدوى، ولكن لا يُعني حذر عن قدر.

أيامه الأخيرة في المستشفى

أصيب الشيخ عبدالله بوباء كورونا، ولكن بعد فترة ظهرت عليه علامات الشفاء والعافية، ثم لم يلبث أن انتكس قبل وفاته بثلاثة أسابيع تقريباً، وتم نقله إلى المستشفى، وكان في غاية التعب، كف الجسد عن المقاومة، وتتعطل الوعي

وال الفكر والذاكرة بمحضه الأدوية، وظلت الروح تقاوم وربما كان لا يعرف من حوله بفعل الأدوية المهدئه، حتى ارتفعت روحه إلى بارئها يوم ١٥ شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٧ مايو ٢٠٢١ م عن عمر يناهز ١٠٠ عام.. رحمه الله.

أمنية آخر العمر..!



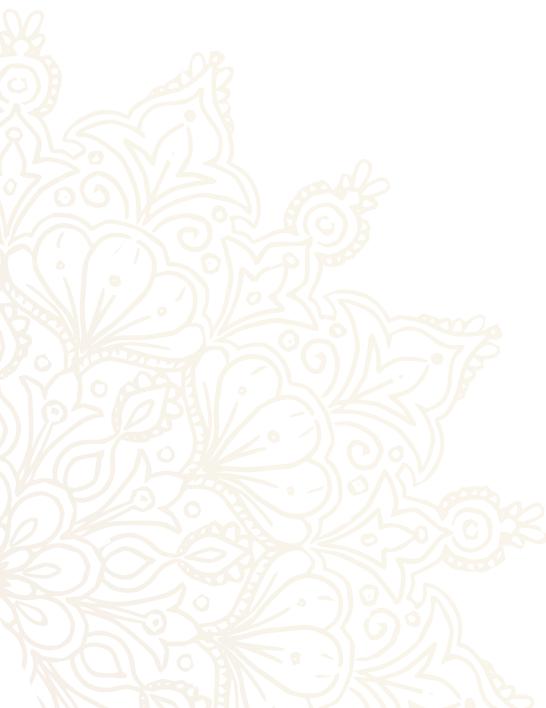
عرف عبد الله السبعاني بحبه الشديد لمكة المكرمة.. وقد كان -رحمه الله- حريصاً على البقاء بها كاملاً شهر رمضان، وبباقي السنة كان يحرص كل أسبوع أو أسبوعين أن يقضي الخميس والجمعة بها في سكنه الخاص بجوار الحرم، فيجلس بجوار الحرم، ويصلِّي الفروض كلها في الحرم، ويفضي يومين أو ثلاثة أو أكثر ثم يعود. كان يقول: إن المشاعر التي تعمري حين أدخل الحرم وأشاهد الكعبة أمامي لا يمكن وصفها، إنها لحظة بالعمر كلها. وكان يتمنى أن يقضي آخر أيامه بمكة المكرمة، وأن يموت بمكة

المكرمة، فكان يحب مكة المكرمة أكثر من أي مكان آخر، كان يحب مكة المكرمة حباً شديداً، وكان يحبها أيضاً لذكرياته بها. وقد كتب الله له أن يدفن بها، فقد دفن في الشرائع؛ مقبرة شهداء الحرم الآن.. رحمه الله، وطيب ثراه، وجعل الجنة مثواه.

الفصل الثالث والعشرون

ما بعد الخاتمة..

ما الذي بقي من عبدالله السباعي؟!





لا يدخل التجار ورجال الأعمال التاريخ بكثرة أموالهم، فأموالهم لهم ولورثتهم من بعدهم، ما لم يتركوا أثراً لوجه الله تعالى يخدم أو طاهم أو يخدم الإنسانية في شكل أعمال خيرة ينفع بها الناس أو يتركوا مبادئ وقيمًا وعبرًا ودروسًا في الحياة تعلم منها الأجيال من بعدهم، وتضيء شمعة على طريق تحدي الصعب وركوب المخاطر لصناعة النجاح بصبر وعصامية. بدون كل ذلك ليس لما يتركه صاحب المال والأعمال قيمة تذكر، لأن أصحاب الأموال كثيرون الذين يرحلون ولا يتذمرون بأموالهم إلا ورثتهم دون أن يتركوا من بعدهم أثراً يبقى لهم عند ربهم أو قلوب الناس فيضيعون في زحمة الأموات ويطوينهم النسيان مع من طوى من طوى من أجيال قبلهم.

القيمة الكبرى في حياته

وعبدالله بن إبراهيم السبيعي ترك ثروة وتجارة من بعده، ولكن لن يبقى للتاريخ والناس منه إلا ما قدمه لله خدمة لدينه ووطنه وأمته، وما تركه من تجربة مكافحة شق طريقه في الحياة كالذي يحفر في الصخر ليزرع شجرة..!

ونعتقد أن القيمة الكبرى في حياة هذا الرجل تمثل في جانبيه، أو هما الأعمال الخيرة الوطنية والإنسانية التي تركها خالصة لوجه الله. وثانيهما في تجربة حياته الغنية بدروس في الصبر والكفاح والمغامرة ومواجهة الصعاب والتحديات، والثبات على المبادئ والقيم وعدم التنازل عنها منها كانت المغريات.. في هذين المحورين تكمن أهمية كتابة تاريخ هذا الرجل.

الدرس الذي صاحبه العمر كله

تعلم عبدالله بن إبراهيم السبيعي مع شقيقه الأكبر محمد منذ باكر صباهما دروساً في الصبر والكفاح والتصميم على النجاح مهما كانت الصعوبات، فقد وجداً أمها الشابة بعد وفاة والدهما المبكرة تتصدى للتحديات التي واجهتها بعزيمة المؤمن وصلابته وثقته بالله، تضحي من أجل تربية وإعاشه ولديها بأجمل ما في الحياة وهو شبابها حين رفضت فكرة الزواج، وظلت تكبح وتعمل من أجل توفير لقمة عيش شريفة لولديها، وفي الوقت نفسه زرعت في نفسها التمسك بأعظم ما يزرع في الإنسان الشعور الدائم بالاطمئنان، وهو التوكل على الله ومحافته والإنابة إليه، وما يتبع ذلك من قيم ترجمتها حياة الشقيقين منذ طفولتهما وهي التزام العبادات في أوقاتها، والتزام قيم الصدق والأمانة والإخلاص وحسن الخلق مع الناس.

سر القدرة على مواجهة التحديات

من الدروس التي تعلمها عبدالله السبيعي وأخوه الأكبر محمد من أمها انطلقاً في الحياة بثقة يواجهان التحديات. واجه عبدالله تحديات إثبات الذات في سوق الجودريه بالعمل صبياً في المحلات التجارية، ولما رأى أنه سيفقد جزءاً منهاً من حرفيته بالعمل لدى الغير اشتغل سقاء لبيوت شعب عامر، ثم انتقل للعمل مع أخيه الأكبر محمد حتى أصبح شريكاً مع أخيه في شراكته مع بن غنيم، وواجه تحديات الشراكة رغم سنه الصغيرة وأثبت في ذلك جداره.

ثم كان التحدي الأكبر له حين أسس الشقيقان شركة خاصة بهما، وكان ذلك قراراً جريئاً وشجاعاً تحمل الشقيقان تبعاته بالتوكل على الله والاجتهاد والكد والعمل الدؤوب. وعندما اتخذ الشقيقان قرار فتح فرع في جدة ليصبح



كان يردد بعد رحيل شقيقه وتوفّه روحه: «لم يمر بي يوم ، بعد رحيل «أخوي محمد» سعدتُ فيه مثلاً كنت أسعد بوجوده في حياتي ، ولم يؤنسني بعده أحد كما كان يؤنسني هو بمجلسه معى، وبأحاديثنا التي لم يكن يفهمها أحد غيرنا ، وكان رحمه الله سر قدرتي على مواجهة التحدّيات»

المقر الرئيس لشركتهما للضرورة التجارية رشحه أخوه الأكبر محمد لتحمل المسؤولية ، وتحمل عبدالله مسؤولية إدارة مكتب جدة وأعماله وهو في حدود العشرين من عمره.

وفي جدة أقدم عبدالله على سلسلة من المغامرات التجارية التي يجتمع فيها التوكل على الله والاستعداد لمواجهة الصعوبات والتحديات ، ونجح في الكثير وفشل في البعض ، ولكنه لم يستسلم للفشل بل اتخذ من تجربته سلّماً يصعد منه إلى طموحاته.



كان مصدر التحديات في حياة عبدالله بن إبراهيم السبيعي طموحاته الكبيرة وهمته العالية، فلم يركن مع أخيه الأكبر محمد إلى الاعتماد على عمل الصرافة وحده، فقد دخل في مكة المكرمة إلى سوق الجودرية بتحدي التجارة في الأقمشة، وأصبحت تجارة الأقمشة شريانًا رئيساً في تجارة الشقيقين، انتقلا به إلى جدة. كانت الفلسفة التجارية التي انطلق الشقيقان السبعان

منها هي عدم الاعتماد على مصدر واحد للدخل. واشتغل الشقيقان السبعان على مبدأ تنويع مصادر وأماكن الدخل، فسافر أخوه الأكبر محمد إلى الرياض يقود العمل هناك ويتوسع فيه.

مخامرة تحقيق الطموحات وصنع الريادات

في جدة قاد عبدالله العمل وتحمل مسؤولية المغامرة بدخول أنشطة تجارية جديدة بهدف تنويع مصادر الدخل بتأييد وتشجيع من أخيه الكبير محمد. واجه عبدالله تحديات، ولكنه لم يتهيب أو يتراجع، فتوسع في الأقمشة، ودلل إلى ميدان العقار مبكراً، فاشترى أراضي وبيوتاً وعمارات، ثم توسع في فكرة التطوير العقاري الذكي، حيث قام ببناء عدة عمارتات في مكة المكرمة قرب الحرم، فكان



من بركة العمر سير الأبناء مع الآباء في دروب الخير والهدى والنور

هذا الحد، فاقتصر مبكراً أيضاً سوق المواد الغذائية الأساسية والكمالية.

وعبدالله السبيعي مثله مثل أي رجل أعمال آخر لم يكسب في كل مشروعاته، فقد خسرت بعض مشروعاته في الصومال والسودان، وخسر أرضاً كبيرة، ثم خسر حوالي ٢٠٠ مليون ريال في مشروع الروبيان الذي اشترك هو وأخوه محمد فيه مع البلاع والراجحي وأوقف ما تبقى من نصيبه لوجه الله. ولكن هذه الخسائر لم تفت في عضده ولم تُلْنَ من عزيمته، فقد كان إيمانه عميقاً أن نصيبه من الرزق الذي يفوتة سيصله بعد حين لو كان مكتوباً له.

من أوائل من خاض تجربة بيع الشقق السكنية الجاهزة. وكرر التجربة في عمارات أخرى في مكة المكرمة. وخاصَّ غمار تجارة المواشي، واحتمل صعوبة ومخاطر السفر إلى السودان والصومال وكينيا، واستطاع أن يصدر محاصيل زراعية إلى المملكة من مزارع السودان وعيّاً منه بأهمية المشاركة في الأمن الغذائي الوطني. ولم يتوقف عند



مثلاً أستطيع عبدالله السبيعي أن يجمع الرجال في ريادة الأعمال جمعهم أيضاً في قيادة الخير وتحقيق الآمال

ريادة وإيثار في صناعة رجال الأعمال

دخل عبدالله السبيعي مع أخيه الأكبر محمد في شراكات مع آخرين في معظم مجالات العمل التجاري التي خاض فيها، وكان يعلم أن بعض هذه الشراكات مع الآخرين مغامرة، احتمال الخسارة فيها أقوى من احتمال المكسب، وكان معظم هؤلاء الشركاء - إن لم يكن كلهم - من موظفيه، أدخلهم شركاء بجهودهم وإدارتهم، وليس بأموالهم.

وكانت بعض هذه الشراكات مغامرات محسوبة انتهى بعضها بالخسارة مثل مشروع فتح محل للذهب. ولكن حسب عبدالله السبيعي أنه كان يهدف لخدمة هؤلاء وزرع الحواجز في نفوسهم، وقد حققت هذه الحواجز أرباحاً للطرفين في الشركات الناجحة، فظهر من وراء هذه الشركات رجال أعمال كبار يدينون له بعد الله بالفضل في ظهورهم وامتلاك ثرواتهم.



من بركة العمر سير الأبناء على خطى الآباء في دروب الخير والهدى والنور

وفي ذلك ريادة، وفيه إيثار، وفيه صناعة رجال، وهذه قيم قلّ ما تجتمع في تاجر ورجل أعمال، لأن المعروف أن التاجر في معظم الأحوال يحرص على الكسب المادي لنفسه وتنمية أمواله وحده إلا من رحم الله.

المشاركة في تأسيس البنوك

لم يغرب عشق الصرافة حبه الأول عن باله، فاستمر فيه بشكل متتطور، فكان من المؤسسين لبنك الجزيرة في جدة سنة ١٩٧٥م، كما كان من الدافعين بالبنك لاعتماد المنهج الإسلامي في تعاملاته المصرافية المستمرة إلى اليوم. وظلت الفكرة تلاحق الشقيقين حتى انتهت إلى إنهاء عملهما المصرفي وتأسيس بنك البلاد شركة مساهمة وطنية مع آخرين سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م على

نهج المعاملات الإسلامية المصرفية، حيث يعتبر بنك البلاد الآن نموذجاً مميزاً للمعاملات الإسلامية المصرفية.

لهذا كله نحسب عبدالله بن إبراهيم السبيقي في سجل الخيرين عند ربه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبه: ١٢٠] ولا نزكي على الله أحدا، وسيبقى في ذاكرة وطنه الذي أحبه وسخر حياته للمشاركة في خدمة الإنسان والاقتصاد فيه، وسيبقى في ذاكرة الناس بكل جميل صنعه لهم، وبكل خير فعله من أجلهم، وبكل كلمة أو فعل أدخل به السرور إلى قلوبهم.. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللُّهُ أَعْلَمُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: ١٢١].



جمعهما مائة عام من الإخاء الجميل ولم يفرقهما إلا الموت ليجتمع ثانية في ظلال رحمة الرؤوف الرحيم

تقریظ



- د. مقبل بن صالح الذكير

- د. محمد بن عبدالله المشوح

- د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي



لقاء الإبداع والحقيقة والتاريخ في كتاب



بِقَلْمِ
د. مُقبل بْن صالح أَعْمَد الْذِكْرِ

إِلَى كُلِّ نَفْسٍ تَحْمَلَتْ صَعُوبَةُ الْمَعَانَاةِ، وَصَبَرَتْ عَلَى مَرَارَةِ الْبَدَيَايَاتِ، كُلِّ قَلْبٍ
آمِنٌ بِأَنَّ الْفَجْرَ يَوْلَدُ مِنْ رَحْمِ الظَّلَامِ، كُلِّ رُوحٍ تَاهَتْ فِي لَيلِ الْفَاقَةِ، وَتَشَبَّثَتْ
بِنَجْمَةٍ أَمْلٍ بَعِيدَةٍ، وَكُلِّ قَلْبٍ نَبْضٌ بِالْعَزْمِ وَسَطٌّ عَوَاصِفَ الْيَاسِ، وَكُلِّ نَفْسٍ
عَانِدَتْ ظَلْمَةَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَأَبْتَ إِلَّا أَنْ تُمْسِكَ نَجْمًا فِي الْأَفْقِ النَّحِيلِ، وَكُلِّ
قَلْبٍ نَبْضٌ بِالْحَلْمِ الْجَلِيلِ، وَكَسَرَ قِيُودَ الْيَاسِ بِعَزْمٍ لَا يَلِينَ، يَقُدِّمُ هَذَا الْكِتَابُ
الْقِيمَ قَصَّةً كَفَاحَ عَبْدَ اللهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ السَّبِيعِيَّ.

بَيْنَ دَقَّةِ الْبَاحِثِ وَحَرَصِ الْمُؤْرِخِ فِي تَحْريِ الْحَقِيقَةِ وَإِبْدَاعِ الْفَنَانِ فِي رَسْمِ
الصُّورَةِ رَأَيْتُ أَخِي د. محمدَ أَبُوبَكْرَ حَمِيدَ يَصُورُ لَنَا حَيَاةَ عَبْدَ اللهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
الْسَّبِيعِيَّ فِي عَصَامِيَّتِهِ وَكَفَاحِهِ.

لَا يَؤْرِخُ هَذَا الْكِتَابُ لَسِيرَةَ حَيَاةٍ فَقْطًا، بَلْ يَرْسِمُ لَنَا الْقَدْوَةَ فِي قَصَّةِ إِنْسَانٍ
تَحْدِي صَعَابَ جَسِيمَةَ، وَعَزْمَ أَنْ يَشْقَ طَرِيقَهُ مَكَافِحًا، مِنْهَا اشْتَدَتْ تَحْديَاتُ
الْبَدَيَايَاتِ وَرِيَاحِ الْمَنَافِسَاتِ وَتَقْلِيبِ الْعَادِيَاتِ.

بين فصول الكتاب المتتابعة وفي تسلسل زمني دقيق، يرصد لنا المؤلف المشهد، مشهد زوايا الفقر القاسية، حيث الجدران المتشقة تحكي قصص الفاقة. هناك في عنيزة ولد رجل لم يعرف الرفاهية يوماً، لكنه حمل في قلبه شرارة طموح لا تخبو. وفي حي شعبي متواضع عاش الطفل عبدالله يتيم الأب، يتقاسم مع أمه وأخيه وجدته القليل من الطعام والكثير من الأحلام المرتبطة بعزם المؤمنين وإرادتهم.

ولم يقتصر المؤلف في تصويره لحياة عبدالله السبيعي على شخصه وحده، بل وقف أيضاً عند العناصر التي شاركت في صناعة شخصيته منذ صغره، وأهمها شخصية والدته المكافحة نورة العماش التي كانت قدوته في جهادها وقوتها إيمانها حيث تشرّب منها أول دروس الحياة.

تتبع المؤلف شخصية نورة العماش وأبرز ملامح شخصيتها بدقة ليُعرّف القارئ عظمة هذه الأم التي صنعت رجلين يعدان من أكثر الرجال العصاميين نجاحاً في عصرهما، إذ رأينا كيف كانت نورة العماش منذ صغرها شخصية عميقية الإيمان، قوية الشكيمة، عفيفة، كبيرة النفس، صبوراً، ذات جلد، وقد حملت معها هذه الصفات إلى بيت زوجها إبراهيم السبيعي، فكانت خير معين له بإيمانها وصبرها وقوتها شكيمتها، فقد علمَها إيمانها الاستعانة بالله وحده في كل شيء، والتوكُل عليه والإنابة إليه طوال السنوات التي عاشتها بصبر عظيم، سنوات لم تنعم فيها بوجود زوجها إلى جانبها إلا شهوراً معدودة، فإذا نفذ من يدها كل شيء، استعانت بإيمانها، لقد كان الزاد الوحيد الذي لا ينفذ أبداً، فتعيش راحة ربها لا ينعم بها كثير من الناس..!

كان الطفل عبدالله يرى في عيون والدته نورة العماش وجدته حصة الواصل وأخيه الأكبر محمد التعب الممزوج بالأمل، كان يتعلم من

والدته في صبرها. وفي سن العاشرة، اضطر الفتى لتحدي قسوة حر الظهيرة اللاهبة، وبرودات الشتاء القارصة، فعزم أن يجتهد مع أخيه ليغير مصيرهم.

بدأ الفتى عبدالله حياته مع أخيه الأكبر محمد بممارسة أبسط الأعمال ليُعود نفسه على تحمل مشاق الحياة، بتحقيق أي كسب يمنحه الثقة لمواصلة الكفاح، كان يؤمن أن كل خطوة تقربه من هدفه.

إنها تجربة مائة عام عاشها عبدالله بن إبراهيم السبيعي من درك الفاقات إلى ذرى النجاحات. ولهذا كان أهم ما أبرزه لنا المؤلف في هذا الكتاب أن عبدالله السبيعي رجل عزم وصدق والتزام لم يغير النجاح أسلوبه في الحياة، ولم يغره المال، بل زاده تواضعاً وزاد معده لمعاناً، فلم يصرفه قيد أنملة عن دينه ومبادئه وقيمه وحبه للخير شكرًا الله على توفيقه. وأمام القارئ الكريم صفحاتٌ مشرقة تصور بطريقة سرد مشوق تفاصيل دروب صعوده، من ظلمة الفاقة إلى نور صباح النجاح الجميل.

ويمضي بنا المؤلف في رصد مسيرة حياة عبدالله السبيعي إلى أعماق الفقر، حيث تتشابك خيوط الأمل مع خيبة الواقع، ونقف على قصة رجل لم يملك سوى حلمه العnid وإرادة لا تلين. ومن شوارع الفاقة، حيث الصعب تترbus، والفرص تكاد تكون سراباً، انطلق عبدالله السبيعي وأخوه الأكبر محمد يواجهان قسوة الحياة وتحدياتها، لتحول العراقل إلى درجات يصعدان بها نحو القمة.

والحقيقة أن هذا الكتاب ليس مجرد قصة كفاح، بل هو شهادة حية وتصوير ممتع لعزيمة تصنع المعجزات، تصوير حي يؤكد أن الإنسان قادرٌ على تحويل أحلامه إلى حقيقة، منها كانت نقطة البداية صعبة وفاشية. إنها حكاية إنسانية عن

الصمود، عن الإيمان الذي يتحدى الصعاب، وعن قلب ألم لم تعرف الاستسلام بعد وفاة زوجها مبكراً تاركاً لها الطفلين محمد وعبدالله السبيعي اللذين كان القدر يخفي لهما مستقبلاً مشرقاً، إنها رحلة تدرجت من تحت الصفر صعوداً متأنياً نحو آفاق نجاحات بسيطة متتالية حتى بلغت بعد أربعة عقود مستويات تبشر بخير عميم قادم.

هذا الكتاب يروي كيف حَوَّلَ رجل مع أخيه الجوع إلى دافع، والعوز إلى عزيمة، فصعدا معًا من تحت الصفر إلى قمم النجاح، ليصبحا من الأثرياء العصاميين الذين يشار إليهم بالبنان، دون أن ينسوا جذورهم، إنها حكاية إنسانية عن الصمود والإصرار، تُلهم كل من يجرؤ على تحدي الظروف ليحوّل حلمه إلى حقيقة، ومع ذلك لم يغيره هذا النجاح، ولم يصرفه قيد أنملاة عن مبادئه وقيمته وحبه للخير شكرًا لله على توفيقه.

أُحِبِّي أخِي المؤلف على هذا الإنجاز الذي يستكمل به حلقة هامة من السلسلة الناجحة التي تصدرها دار النشر الخاصة به (الدار العربية اللبنانية) بعنوان (العصاميون السعوديون) لتكون تجربة حياة العصامي الكبير الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي - رحمة الله عليه - واسطة العقد فيها، والتاج المميز لها.

كلمة لا بد أن تقال ولكل مقام مقال



بِقَلْمِ

د. محمد بن عبدالله المشوّح

مثلما أن حياة أفذاد الرجال وتاريخ كفاحهم لا يبقى مُلْكًا لأبنائهم بعد رحيلهم لأنه ليس إرثاً، فإن الكتابة عنهم وتنعيم ما تأثرهم والتاريخ لتجربة حياتهم ليست من مسؤولية أهلهم وذويهم وحدهم، بل هي مسؤولية أبناء الوطن والأمة كلها؛ لأنهم أصبحوا جزءاً من تراث الوطن وتاريخ الأمة. ولهذا فإننا عندما نرى الوعيين والخلصيين والمحبين من أبناء هذه الأمة يضطّلعون بهذا الدور يجب علينا أن نشجعهم ونساندهم ونشد من أزرهم؛ لأنهم يقومون بهذا الواجب نيابةً عنّا جميعاً.

إن تدوين حياة مثل هؤلاء الشخصيات - وما مرّوا به من ظروف صعبة وكفاح ونصب - أحوج ما نكون إليه ونحن نحمل أمانة هذا الوطن إلى أجيال متلاحقة قد لا تتصور بدقة تلك الظروف التي عاشتها البلاد، ولا التي عاشها الآباء والأجداد قبلنا.

ولهذا، فإن لوحة العمل التدويني السّيرِيّ - الذي كتبه ودونه الأخ الدكتور محمد أبو بكر حميد - عن حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبياعي يعتبر هدية ثمينة

للأجيال اللاحقة التي تنتظر بشغف الاطلاع على صفحات أولئك الأبطال من بناء المجد وصناع الكفاح.

إن عبدالله السبيعي - رحمه الله - بحياته الاستثنائية في كل مراحلها: من البحث والكد في سبيل لقمة العيش، وتحمل المشاق والمصاعب بصلابة وإصرار، إلى تحقيق النجاح.. يمثل أحد أهم وأكبر أبناء المدرسة العصامية في المجال التجاري والاقتصادي الذين أسهموا بعمق في كافة مناحي العمل الخيري والإنساني من منطلق إسلامي.

وإذا كانت اللوحة التي يرسمها الكتاب لهذه السيرة جميلة، فإن جمالها يكتمل بالمنجز الذي تحقق، والعطاء الذي بُذل لاحقاً نحو المجتمع والوطن. وما قدمه الشيخ عبدالله لدينه ووطنه ومجتمعه يمثل لوحات متعددة من المعاناة والصبر والكفاح وصلاح العمل.

فهذا الكتاب يُقدم لنا أنموذجاً يحتذى لكل من أراد أن يطلع على صفحة صادقة دقيقة من صفحات رجالات الوطن الذين بنوا مجدهم، وحفروا اسمهم؛ حتى غدوااليوم أحد أبرزشخصيات الوطن، بل والعالم العربي.

وأعرف غرام الأخ د. محمد بالاطلاع على تاريخ الشخصيات ذات الإنجازات، والكتابة عنها منذ باكر شبابه حتى وصل به الأمر في السنوات العشر الأخيرة إلى تأسيس دار نشر خاصة بتاريخ ومذكرات الشخصيات المؤثرة، وذلك انطلاقاً من فكرة أن تاريخ هذا النوع من الأفراد ملمح متتم لللوحة تاريخ أوطنهم، وهذارأيناه يصدر سلسلة (العصاميون السعوديون) التي تنشر مذكرات الشخصيات العصامية المعاصرة وتاريخ الراحلين منهم.

وعندما أرسل لي - قبل سنة تقريباً - نسخة من كتابه عن حياة العصامي البارز الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي وجدهه أحاط فيه بمعلومات دقيقة

ومفصلة لكافة مراحل حياة الشيخ، فلم أتعجب لأنني أعرف همته العالية، فقد التقى بمعظم أبناء الشيخ وبناته، والتقي من لا يزال على قيد الحياة من الذين عملوا معه في الشركة وفي مكتبه، بل ومن في بيته من خدم وسائقين، وسجل أحاديث طويلة معهم؛ لكي يخرج لنا بهذا الكتاب الشامل في علومه الممتع في أسلوبه.

ولا يسعني إلا أن أهنئ الأخ د. محمد أبو بكر حميد على جهده المخلص الموفق في هذا الكتاب الذي يضع الشيخ عبدالله السباعي في مكانه اللائق بين العظامين في المكتبة السعودية، بل يعد في طليعة الرواد في الاقتصاد السعودي وفي تاريخنا المصري على وجه الخصوص. وأدعوه أخي د. محمد أن يستكمل جهوده في الكتابة عن شخصيات عصامية مماثلة وإصدارها في سلسلته القيمة الناجحة التي تحمل عنوان (العظماء السعوديون) التي تصدرها دار النشر الخاصة به (الدار العربية اللبناني).

رَحِمَ اللَّهُ الشَّيْخُ عَبْدَاللَّهِ السَّبَاعِي، وَرَحِمَ اللَّهُ أَخَاهُ الْأَكْبَرُ الشَّيْخُ مُحَمَّداً، وَجَزَاهُمَا خَيْرًا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ لِلأَجِيالِ الْقَادِمَةِ مِنْ قُدْوَةٍ صَالِحةٍ فِي حَيَاتِهِمَا وَتَعَامِلِهِمَا، وَجَمِيعُهُمَا بِرَحْمَتِهِ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ.



مسار ومتاز



بِقَلْمِ

د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي العمرو

لم أعرف الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي لكنني عرفت عنه، ولم ألتقي به في حياته، فلقيتُ سيرته بعد رحيله، والفارق بين المعرفة الشخصية والسماعية يشبه الفرق بين اللقاء المباشر وعبر المنابر، ولن تسعننا معادلة الزمان، ولا تسعنا خطوط المكان كي نرى معظم رموزنا المجتمعية لفوارق التاريخ والجغرافيا، فتنوب التقنية والتناقل والمؤلفات والمنتديات، فنشر بالوصول الافتراضي الموازي للقرب الحقيقى.

وفي هذا الكتاب السيريّ الشمولي (مائة عام من الكدح والكافح وتجارب النجاح) للدكتور محمد أبي بكر حميد عن حياة وكفاح الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي ما يزيد من رأى توثيقاً، ويضيف لمن لم ير مساراً، ويضيف لكلٍّ مما زاراً يرتادانه ليذكراً ملامح النشأة، ومكونات التربة، ومنطلقات التربية، ولويذكراً بمعاناة أب ونضال أم وتحديات بيئه وشظف حياة وعصامية شقيقين



استعانا بالله، فلم يخدهما حتى صارا مثالين لرمزية التحدي وإيجابية التصدي حتى بلغا الذروة ولم ينسيا السفح، وظلا حفيدين بما ضيئها سعيدين بحاضر هما، ومضيما مطمئنين على مستقبل بلد هما وأولادهما.

الرحلة في هذا الكتاب أو معه تتجاوز الشخص إلى النصوص، فلا يكفي قارئه من حياة فرد، بل يمتد بتاريخ مرحلة وجميل وطن.

بن

الله الرحمن الرحيم

الرقم
٦٣٨٧٦
التاريخ
الشفوعات

المملكة العربية السعودية

المكتب الخاص لجلالة الملك

١٨٠٠٠٠

فقط واحد مليون ريال سعودي
محقة نهرين شيخ محمد وعبد الله بن عبد الله
لقيمه : نرجون متاحون بيدنا في صدوركم بالصادقة المبلغ المذكور أعلاه
وقدرها واحد مليون ريال سعودي فقط وقيد وذلة بالباب ويعتني
عنه علیان بن سعود

٩

خطاب من المكتب الخاص لجلالة الملك سعود موجه للأخرين السباعي بتاريخ ٦/٦/١٣٧٨ هـ

المملكة العربية السعودية

تاریخ	برقیة صادرة	الرقم
تاریخ ارجمنی	من مكتب صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز	

١٤٢٨
 ٢٠٠٠
 مكتوب من المكتب الملكي

حضره الأذران محمد واليبي الحسين
 لابن نجور رضي الله عنه الترجمة به وحضره
 ألف زيد إلى العباس بن رضا وأجر وقيعين

الله ٥٧٨١٩١٢
 اشرف طانقاً
 محمد بن زيد

خطاب من المكتب الخاص لسمو الأمير خالد بن عبد العزيز بتاريخ ٢٣/٢/١٣٧٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُلْكُ الْعَزِيزُ الْمُرْجِفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُلْكُ الْعَزِيزُ الْمُرْجِفُ

مُكتَبُ الرَّئِيسِ

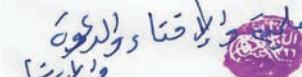
الرقم

التاريخ

المرفات

صَدَرَ عَنْهُ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (بَارِزٌ إِلَى حَاضِرَةِ الْأَقْرَبِيَّةِ)
سَمِعَ وَغَيْرَهُ الْمُرْجِفُ الْمُلْكُ الْعَزِيزُ الْمُرْجِفُ
سَمِعَ مِنْ عَلَيْكُمْ وَرَأَيْتُهُ (اللهُ وَرَبُّكَ تَاهَ دُورَهُ)
تَلَقَّيْتُكُمْ لَكُمْ (الْكَرِيمُ تَاهَ دُورَهُ ١٤٠٩) هُوَ الْمُؤْمِنُ بِالْمُطَهَّرِ
فَلَمَّا رَأَيْتُكُمْ ٢٣٣٣/١٥١٤ وَتَاهَ دُورَهُ ١٤٠٩ هُوَ مُرْجِفُ
سَمِعَهُ عَبْلُغَ حَانَهُ وَمُخْسِنَهُ الْفَرِيقَ ١٥٠٩ تَبرُعَ مُنَامَ مَا ذَرَهُ
الْمُدَعَّةُ فَقُتِلَ (صَدَرَ مِنَكُمْ وَرَأَيْتُكُمْ لَكُمْ (لَا جُنُونَ وَلَا خَلْفٌ عَلَيْكُمْ)
لَا خَلْفٌ أَلْجَرَ بِلَإِنَّهُ جَوَادَ كَرِيمٍ وَلَا لِكَامَ الْمُسْلِمَ
(اللهُ تَعَالَى رَاجِهِ تَقْبِيَهُ نَرِكِيمُهُ) الْمُطَهَّرُ رَقْمُهُ ١٣٧٦
وَسُوفَ تَصْرُفُهُ حَصْرُهُ إِلَيْهِ سَمَاءُ (اللهُ وَرَبُّكَ تَاهَ)

الرَّئِيسُ لِعَامِ



بِلَادِ الْأَرَافَةِ الْمُعَاصِيِّ الْمُعَذَّبِ الْمُعَذَّبِ

وَالْمُرْجِفِ

خطاب موجه من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز موجه للأخوة السبعي عام ١٤٠٩هـ

المؤلف في سطور

- د . محمد ابوبكر حميد أستاذ جامعي ومستشار ثقافي واعلامي ، وكاتب وباحث ومؤرخ ومتّرجم .
- له أكثر من ٤٠ كتاباً وعشرات المقالات والمحاضرات والأحاديث في الصحف والمجلات والقنوات الفضائية .
- ماجستير ودكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٨٨-١٩٨٦)
- عمل بتدريس اللغة الإنجليزية وأدابها بقسم اللغات والترجمة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لمدة ٣٤ عاماً .
- عمل مديرًا لتحرير مجلة الفيصل، ومستشاراً إعلامياً (غير متفرغ) بمستشفى قوى الأمن الداخلي لمدة سبع سنوات .
- عمل مستشاراً لتحرير (مقرضاً) بصحيفة الجزيرة السعودية لمدة عشر سنوات .
- عشق دراسة التاريخ وقراءة المذكرات الشخصية وترجم الأعلام الذين خدموا أوطانهم منذ باكراً شبابه
- اهتم بالدراسات التي ت تعرض لتاريخ المملكة العربية السعودية وسياساتها وانجازات ملوكها ، وله مجلدات ثلاثة عن تاريخ حياة الملك فهد بن عبدالعزيز والملك عبدالله بن عبدالعزيز وحياة وانجازات الأمير سلطان بن عبدالعزيز .
- اهتم بتاريخ مكة المكرمة ورجالاتها وخدماتها فكان أضخم كتاب أنجزه (موسوعة أمانة العاصمة المقدسة) الذي قدم له صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل .
- اهتم بدراسات بالفكرة التربوي والثقافي وجمع الأعمال الكاملة للمفكر التربوي د. محمد أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم السعودي الأسبق في ٢٢ مجلداً .
- أحدث مؤلفاته مجلد (رحلة الشتاء والصيف من دار الندوة إلى غرفة مكة المكرمة) قدم له معالي وزير التجارة آنذاك المستشار في الديوان الملكي د. ماجد بن عبدالله القصبي .
- أسس الدار العربية اللبنانية للنشر التي تخصصت في إصدار المذكرات الشخصية والترجم في سلسلة (العاصميون السعوديون) .



إذا ذكر العصاميون سنجد أن الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي في طليعتهم، ولعل خير من يكتب عن الشخصيات العصامية أخي وصديقي المارس التمرس في هذا المجال وغيره من الأنشطة الثقافية والفكرية د. محمد أبو بكر حميد صاحب الجهد المتواصلة في الكتابة عن العصاميين القدوات. وقد استطاع المؤلف الخبير في هذا الكتاب أن "يسير غور" حياة الشيخ عبدالله الحاقدة، فأحاط بكل مراحل حياته منذ نشأته في عنيزة يتينا على يد والدته المكافحة ثم انتقالهم إلى مكة المكرمة حيث بدأت رحلة الفتى عبدالله مع أخيه الأكبر محمد في صحبة مائة عام على طريق الكدح والكافح وتحقيق النجاح. وقد أحسن أخي د. محمد أبو بكر حميد بإصداره سلسلة (العصاميون السعوديون) ليثري المكتبة السعودية والعربية عاماً بتجارب عدد أ. د. على بن إبراهيم النملة من أفراد رجال هذا الوطن.

بين دقة الباحث وحرص المؤرخ في تحرير الحقيقة وإبداع الفنان في رسم الصورة رأيت أخي د. محمد أبو بكر حميد يصور لنا في هذا الكتاب المفيد الممتع حياة الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي في عصاميته وكفاحه، فهو لا يُؤرخ لسيرته حياة فقط بل يرسم لنا مشاهد حية نعيشها بمشاعرنا مع عبدالله السبيعي وأمه وأخيه محمد في كفاحهم وأصرارهم على تجاوز الصعاب باليمان وشرف وكراهة.

د. مقبل بن صالح الذكير

إن لوحة العمل التدويني **السييري الشمولي** الذي كتبه ودونه الأخ د. محمد أبو بكر حميد عن حياة الشيخ عبدالله ابن إبراهيم السبيعي في هذا الكتاب يعتبر هدية ثمينة للأجيال الحاضرة واللاحقة لتقرأ بشغف وتستفيد العبرة والقدوة من أحداث حياة هذا العصامي الذي صنع قصة نجاح ستظل علامة بارزة في تاريخ أبناء هذا الوطن الغالي.

د. محمد بن عبدالله المشوح

في هذا الكتاب **السييري الشمولي** للدكتور محمد أبي بكر حميد عن حياة وكفاح الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبيعي نرى نصال ألم وتحديات بيئية وشظف حياة وعصامية شقيقين استعانا بالله فلم يخذلهما حتى صارا مثالين لرمزية التحدى وايجابيات التصدي حتى بلغا الذروة ولم ينسيا السفح وظل حفيفين بما ضيئما. الرحلة في هذا الكتاب تتجاوز الشخص إلى النصوص فلا يكتفي قارئه من حياة فرد بل يمتد بتاريخ مرحلة وجميل وطن.

د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

